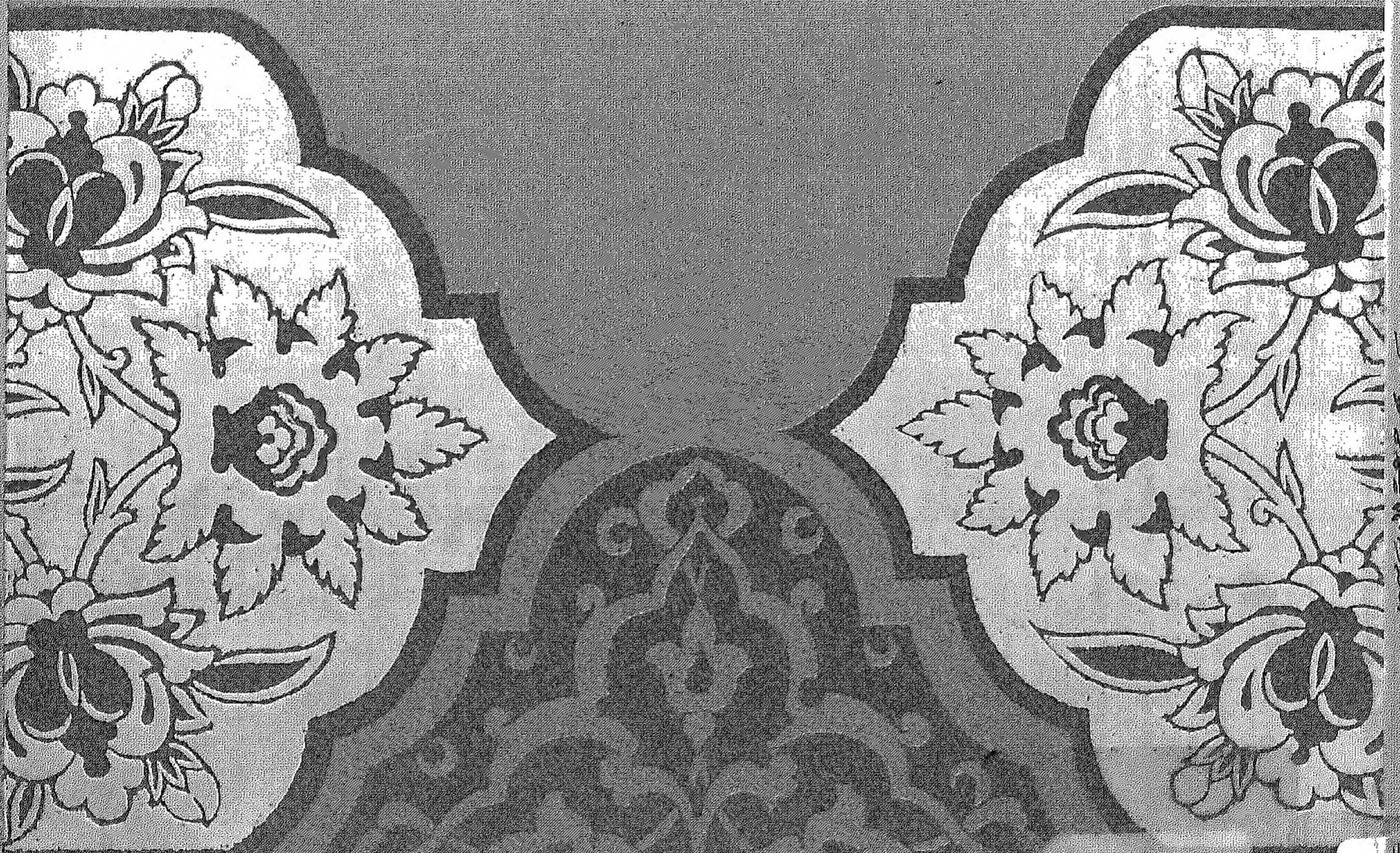


قيام الدولة العربية الإسلامية

في حياة محمد صلى الله عليه وسلم



إبراهيم

أسد التاج الإسلامي

قيام الدولة العربية الإسلامية

في حياة محمد صلى الله عليه وسلم

الدكتور محمد عبد الحليم بن هزور
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة القاهرة





كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ

سُورَةُ الْغَنَةِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا كتاب يتناول ناحية هامة من نواحي تاريخ العرب والإسلام
يتجلى لنا منها فضل الدعوة الإسلامية على العرب ، فقد جعلت منهم أمة
موحدة سياسياً ودينياً بعد أن كانوا شعوباً وقبائل متفرقة لا تجمعهم رابطة دينية
ولا يظلمهم نظام معين ؛ ففي نجد وأطراف الحجاز كانت القبائل العربية تحيا
حياة سياسية فطرية ولا تنقطع الحروب بينها ، وفي أطراف جزيرة العرب
الجنوبية والشرقية والشمالية قامت عدة دويلات عربية ، اتخذت كل منها
مايلائها من نظام الحكم ، وفي بلاد الحجاز نشاهد مدناً ذات حياة سياسية
خاصة .

وبينما كان يسود أقاليم جزيرة العرب ومدنها الاضطراب السياسي وينحضع
بعض أطرافها للنفوذ الأجنبي ويهدد كيائها العصبية القبلية ، وتتقسمها
الديانات والمذاهب المختلفة ، ظهر محمد ﷺ في مكة المكرمة حيث أرسله الله
تعالى بالهدى ودين الحق . فدعا في بادئ الأمر القرشيين - وهم قومه
وعشيرته - إلى الدخول في الإسلام ليعاونوه في نشر الدعوة الإسلامية ويكونوا
عونا له على مخالفه . فلقبت دعوته قبولا من فريق منهم ؛ على حين ناهضه
بعض زعمائهم اعتقاداً منهم أن الإسلام سيقضي على ماكانوا يتمتعون به من
عز وسلطان . ومازالوا يقاومون دعوته ويناثون حتى أصبح بقاؤه

في مكة محفوفاً بالمخاطر ؛ فأثر الرحيل إلى المدينة مع صحابته من المسلمين .

بدأت الدولة العربية الإسلامية في الظهور بالمدينة بعد أن هاجر إليها الرسول وحقق الوحدة بين المسلمين من أهلها ؛ ولم تلبث أن قوى شأنها بعد أن اضطر اليهود إلى الجلاء عن المدينة ، وأخذت هذه الدولة في الاتساع تدريجياً تبعاً لانتشار الدعوة الإسلامية ؛ فبسطت سلطانها في بادئ الأمر على مكة بعد نجاح الرسول في القضاء على مقاومة قريش ونظامها القديم القائم على الوثنية . ثم شملت بلاد الحجاز بعد انضواء الطوائف تحت لواء الإسلام . ولم تنته السنة العاشرة للهجرة حتى امتد نفوذها إلى أنحاء جزيرة العرب المختلفة .

ولما كان الرسول قد بعثه الله للناس جميعاً ، فطبعي أن يوجه الدعوة الإسلامية إلى سائر بلاد العرب ، بل إلى خارجها . ولم تلبث جهوده في هذا السبيل أن تكللت بالنجاح ؛ فعلت كلمة الإسلام في تلك البلاد وارتبطت بعضها ببعض برباط وثيق بعد أن كانت مفككة العرى .

كذلك اهتم الرسول بتأمين حدود دولته الإسلامية المهددة بالخطر من ناحية الشمال ؛ فوجه المسلمين لغزو الأراضي الجنوبية ، لبلاد الشام ؛ ووضع بذلك أساس التوسع للدولة العربية الإسلامية خارج حدودها .

وقد بدأتُ الكتابُ يبحث مظاهر الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام ، لأن دراسة قيام الدولة العربية الإسلامية تتطلب الإلمام بهذه الناحية من نواحي تاريخ العرب ، ثم تحدثت عن ظهور الدعوة الإسلامية في مكة ، والجهود التي بذلها الرسول الكريم في نشرها ، ومآلاتها في سبيل ذلك من شدائد ، اضطرتته إلى اتخاذ المدينة دار هجرة للمسلمين .

كذلك تناولت بالبحث سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة ، فوضحت كيف وحد كلمة المسلمين بها ، ونظم الحياة العامة فيها ، ثم تتبعت موقفه من قريش وحلفائها من عرب الحجاز وبينت الجهود التي بذلها للقضاء على مقاومة هذه القبيلة ، وما كان لذلك من أثر في بسط سلطان الإسلام على بلاد الحجاز .

وعُني أيضاً بشرح الظروف التي اضطرت الرسول إلى إجلاء اليهود عن المدينة ، كما تحدثت عن تتبعه لحركاتهم بعد أن اجتمع شملهم في خيبر ، مما ترتب عليه ضعف شأنهم بالحجاز .

وكان لتوجيه الدعوة الإسلامية إلى خارج بلاد الحجاز نصيب وافر من اهتمامي ، فوضحت السياسة التي اتبعها الرسول لتحقيق ماورد في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام ، وتتبعته جهوده لتأمين حدود بلاد العرب الشمالية وتوطيد سلطان المسلمين عليها ، ثم بينت كيف استجابت القبائل العربية لدعوة الرسول وانضوت تحت لوائه مما ساعد على توطيد أركان الدولة العربية الإسلامية .

والله أسأل أن يوفقني إلى كشف نواحي تاريخ الإسلام والعرب الحافل بأسباب العظمة والمجد .

محمد جمال الدين سرور

أول رجب ١٣٧١ هـ

القاهرة في

٢٧ مارس ١٩٥٢ م

فهرس موضوعات الكتاب

الباب الأول

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام

صفحة

- ١ - المظهر السياسي للقبائل في بادية العرب ١١
- أيام العرب وعوامل قيامها ١٣
- الحروب بين القبائل العربية في نجد وأطراف الحجاز ١٣
- ٢ - الممالك العربية ٢٥
- دول اليمن ٢٥
- مملكة الحيرة ٣١
- مملكة الغساسنة ٣٥
- ٣ - مدن الحجاز ٤٠
- ٤ - الحياة الدينية عند العرب ٥٤
- الوثنية في بلاد العرب ٥٤
- اليهودية والنصرانية في بلاد العرب ٦٠
- الديانة الحنيفية ٦٢

الباب الثاني

ظهور الدعوة الإسلامية

- ١ - بعثة الرسول ٦٧
- إعلان الدعوة الإسلامية ٧٢

صفحة

- ٢ - الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قريش منها ٧٣
 مناهضة قريش الدعوة الإسلامية ٧٤
 هجرة المسلمين إلى الحبشة ٧٦
 خروج الرسول إلى الطائف ، وعدم استجابة أهلها له ٧٩
 الرسول يدعو قبائل العرب في مواسم الحج إلى الإسلام ٨٠
 وفد الأوس والخزرج يبايع الرسول. على الإسلام ٨١
 تخالف الرسول مع عرب يثرب في بيعة العقبة الثانية ٨٢
 هجرة المسلمين إلى المدينة ٨٤

الباب الثالث

سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة

- ١ - تنظيم صفوف المسلمين بالمدينة وتوكيد وحدتهم ٩٣
 الرسول يؤاخي بين المهاجرين والأنصار ٩٣
 تنظيم الحياة العامة في المدينة ٩٥
 تشريع الجهاد وأهميته بالنسبة للمسلمين في المدينة ٩٦
 ٢ - سياسة الرسول في إخضاع عرب الحجاز لسلطته ٩٩
 حرص المسلمين في المدينة على إضعاف نفوذ القرشيين في مكة ٩٩
 النضال بين المسلمين في المدينة والقرشيين وحلفائهم من عرب الحجاز ١٠٠
 غزوة بدر ١٠١
 غزوة أحد ١٠٦
 غزوة الخندق أو الأحزاب ١١١
 صلح الحديبية ١١٧
 نهاية النزاع بين المسلمين في المدينة والقرشيين في مكة ١٢٣

صفحة

١٢٧	قريش والرسول بعد صلح الحديبية
١٢٩	مسير الرسول على رأس المسلمين إلى مكة
١٣٣	دخول المسلمين مكة
١٣٤	موقف قبيلتي هوازن وثقيف من الرسول
١٣٧	دخول قبيلة هوازن في الاسلام
١٣٩	ثقيف ترسل وفداً إلى الرسول بالمدينة
١٤٠	إسلام ثقيف
١٤٢	٣ - موقف الرسول من يهود الحجاز
١٤٣	إجلاء بني قينقاع وبني النضير عن المدينة
١٤٦	القضاء على بني قريظة
١٤٨	تتبع الرسول حركات اليهود في خير وإضعافه شأنهم
١٥٠	٤ - توجيه الدعوة الاسلامية إلى خارج بلاد الحجاز
١٥٠	كتب الرسول إلى أمراء العرب
١٥٢	كتب الرسول إلى ملوك وأمراء الدول المعاصرة
١٥٥	٥ - تأمين حدود بلاد العرب الشمالية وتوطيد سلطان المسلمين عليها
١٥٥	الرسول يوجه الحملات لغزو الأراضي الجنوبية لبلاد الشام
١٥٧	غزوة مؤتة
١٥٨	غزوة تبوك
١٦٠	الرسول ينفذ سراياه إلى الجهات المجاورة لتبوك
	عقد الصلح بين الرسول وأمراء المنطقة الواقعة على الحدود الشمالية لبلاد
١٦٠	الحجاز
١٦٣	حملة أسامة بن زيد

صفحة

- ١٦٦ ٦ - تحقيق الوحدة الدينية والسياسية بعزيرة العرب
- ١٦٦ القبائل العربية ترسل وفوداً إلى المدينة لتعلن إسلامها وولاءها للرسول
- ١٧٩ بعوث الرسول إلى بلاد اليمن ونجاحها في أداء رسالتها
- ١٨٢ بلاد العرب بعد انتشار الاسلام فيها
- ١٨٣ خروج الرسول على رأس المسلمين للحج (حجة الوداع)

اللوحات

رقم	اللوحة	صفحة
١	مدخل مدينة الطائف من ناحية مكة	٥٧
٢	غار حراء بمكة المكرمة	٦٩
٣	مسجد قباء بضواحي المدينة	٨٥
٤	منظر عام للمدينة المنورة	٨٩
٥	الساحة التي دارت فيها واقعة أحد	١٠٧
٦	الكعبة الشريفة	١٢٥
٧	المدينة المنورة ومسجد الرسول ﷺ	١٣١
٨	الروضة الشريفة بالحرم النبوي الشريف	١٦٩
٩	محراب الرسول بمسجده بالمدينة	١٧٥
١٠	منظر من الداخل لمسجد الرسول ﷺ	١٨٧

الباب الأول

الحياة السياسية والدينية في
جزيرة العرب قبل الإسلام

- ١- المظهر السياسي للقبائل العربية في بادية العرب
- ٢- الممالك العربية
- ٣- مدن الحجاز
- ٤- الحياة الدينية عند العرب

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الاسلام

تمهيد : كانت جزيرة العرب مسكناً لأكثر العناصر العربية ، ويتألف غربها من إقليمين كبيرين : الحجاز شمالاً ، واليمن جنوباً ، ويمتد الحجاز من أيلة (على رأس خليج العقبة) إلى اليمن ، وفي جنوبه بلاد اليمن ، وهي تشمل الزاوية الغربية الجنوبية من الجزيرة . أما الزاوية الجنوبية الشرقية منها ، فيقع فيها إقليم عمان ، وهو قطر جبلي على شاطئ البحر . وهناك بجزيرة العرب جزء مرتفع يمتد من جبال الحجاز ، ويسير شرقاً إلى صحراء البحرين يسمى نجداً ، وبين نجد واليمن إقليم اليمامة وهو يتصل بالبحرين شرقاً وبالحجاز غرباً .

لم يكن هناك في بلاد العرب قبل الإسلام دولة عربية ، بل كان بها وحدات سياسية مستقلة تعرف بالقبائل ؛ وهذه الحالة نلاحظها في الجهات الصحراوية التي في أواسط جزيرة العرب مثل نجد وأطراف الحجاز . أما في الحجاز فنجد مدناً ذات حياة سياسية خاصة ، كذلك كان بأطراف جزيرة العرب في الجنوب ممالك اليمن ، وفي الشمال الشرقي مملكة الحيرة ، وفي الشمال الغربي دولة الغساسنة ، ومن ذلك يتضح عدم وجود حكومة مركزية في بلاد العرب .

١ - المظهر السياسي للقبائل العربية في بادية العرب

كانت القبائل العربية في نجد وأطراف الحجاز ، تحيا حياة سياسية فطرية . وقد حرص بعضها على الدخول في رعاية إحدى الدول الكبرى المعاصرة لها لما فطر عليه أهل البادية من التنازع والتخاصم ؛ فسعوا في الانضمام إلى الدول

العربية المتحضرة للاستنجاد بها ، كما سعى بعضهم إلى التقرب منها للتفاخر بخدمتها ؛ فكان بنو يربوع يتفاخرون برعاية أمراء الحيرة لهم ^(١) ، وقد دخلت بعض قبائل البادية في رعاية دولة حمير بلاد اليمن ، فصاروا يؤدون لها الإتاوة كل عام . أما الدول العربية الأخرى فكانت علاقات هذه القبائل معها في كثير من الأحيان تنحصر في عقد محالفات بينها وبينهم ؛ فالمناذرة كانوا يقربونهم إليهم ليستعينوا بهم على الغساسنة ؛ وكذلك كان يفعل هؤلاء للاستعانة بهم على المناذرة .

كانت القبيلة من أهل البادية إذا دخلت في رعاية دولة عربية كدولة حمير ، طلبت إليها أن تولى عليها أميراً ؛ فتختار لها أحد أمراء تلك القبيلة أو أحد أفراد القبائل المعروفة بالقوة والسيطرة .

كان زهير بن جناب الكلابي من أشهر من تولى الرئاسة على بدو الشمال تحت رعاية دولة حمير . وبلغ من تقدير حاكم هذه الدولة له أن ولاه الإمارة على قبائل بكر وتغلب ؛ فصار يدير شئونهم ويأخذ منهم الإتاوة . على أن هذه القبائل لم تظل طويلاً خاضعة لزهير بن جناب ، ذلك لما أصابهم في أثناء إمارته ضيق وأجذبت أرضهم ، تأخروا في دفع الإتاوة المقررة عليهم ، فجاءهم زهير وألح في مطالبتهم بها ، فشكوا إليه عجزهم ، غير أنه لم يصغ لشكواهم فنقموا عليه ؛ فأجابهم على ذلك بإعداده جيشاً من أهل اليمن ، غزا به بكر وتغلب ، وقتلهم قتالاً شديداً ، انتهى الأمر فيه بهزيمتهم وأسر كليب ومهلل ابني ربيعة ، كما أسر جماعة من زعماء بني تغلب ، فعظم ذلك على قبائل ربيعة وولوا عليهم ربيعة والد كليب ، وخرجوا على زهير وأنقذوا الأسيرين منه ^(٢) .

ولما توفي ربيعة أمير وائل خلفه ابنه كليب - وكان يضم الحقد على

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

اليمنيين - فجمع تحت لوائه ربيعة وقضاعة ومضر وإياد ونزار وحارب اليمنيين في معركة عرفت بيوم خزاز^(١) وأوقع بهم الهزيمة وتخلص من سيادتهم^(٢) . وهكذا علت مكانة كليب بين عشيرته ، فولوه الملك عليهم ودانوا له بالطاعة ، وخرجوا بذلك عن سلطان اليمن^(٣) .

على أن خروج هذه القبائل من رعاية اليمن لم يؤد إلى تمتعهم بالاستقلال التام وإنشائهم دولا مستقلة لتغلب البداوة على طباعهم واستمرار النزاع والتخاصم والحروب فيما بينهم أو مع سواهم .

كانت الحروب التي تقع بين القبائل العربية في ذلك العهد تسمى الأيام ، ويرجع السبب في قيامها إلى عوامل مادية ، كطلب المرعى ، أو غير مادية كالأخذ بالثأر . وإذا وقعت الحرب بين قبيلتين ودارت الدائرة على إحدهما ، فإما أن ترضخ القبيلة المهزومة أو تتحين الفرصة للانتقام في وقت آخر ، وكانت الحرب لاتعد متتهية بين الفريقين إلا بعد أن يأخذ الفريق كثير القتلى الدية من الفريق الآخر الذي قتلاه أقل .

لم تنقطع الحروب بين القبائل العربية في نجد وأطراف الحجاز ، ومن بين هذه القبائل ربيعة ومضر ؛ وتعدان من أقوى القبائل العدنانية وأكثرها رجالا . وكانت تنتقل في نجد واليمامة والحجاز سعياً وراء الماء والمرعى والغنائم . وكانت كل منها تغزو أرض الأخرى طمعاً في مالها من إبل أو ماشية أو ماء أو مرعى أو للأخذ بالثأر . وكثيراً ما كانت المعارك الحربية تقوم بين قبائل من ربيعة وقبائل مضر أو بين قبائل ربيعة نفسها أو بين قبائل مضر .

(١) جبل مابين البصرة إلى مكة .

(٢) Nicholson Literary His Lory of the Alabs P.S

(٣) ابن الأثير : ج ١ ص ١٨٦ ، جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

ومن الوقائع التي جرت بين قبيلة تميم من مضر ، وبكر بن وائل من ربيعة يوم الغبيط^(١) ، فقد سار جمع من بني شيان على رأسهم بسطام بن قيس إلى بلاد تميم ، فأغاروا على بعض عشائريهم في صحراء فلج^(٢) ، ودار القتال بينهم ، ولحقت الهزيمة بالتميميين وقتل منهم عدد كبير ؛ وغنم بنو شيان أموالهم ، ثم مروا في طريقهم على مالك بن حنظلة من تميم ، وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة ، فأخذوا إبلهم ؛ ولما بلغ ذلك بني يربوع أكبروا هذا التعدي ؛ وساروا بقيادة عتيبة بن الحرث اليربوعي في إثر بني شيان ، فلحقوا بهم بغبيط المدرة وقتلوه ، ثم انهزمت شيان واستعادت تميم أموالها ، ولحق عتيبة بسطام وأشار عليه اليربوعيون بقتله ، لكنه أبى وسار به إلى بني عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل . فلما توسط عتيبة بيوت بني عامر ، صاح بسطام واشيانه ولا شيان لي اليوم . فبعثت إليه عامر بن الطفيل « إن استطعت أن تلجأ إلى قبتي فافعل ، فإن سامنك ، وإن لم تستطع فاخذ نفسك إلى الركي^(٣) التي خلف بيوتا » ، ولما علم عتيبة بذلك أتى ابن الطفيل وقال له : قد بلغني الذي أرسلت به إلى بسطام ، فأنا مخيرك فيه خصالا ثلاثا ، فقال عامر : وما هي ؛ قال : إن شئت فاعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك حتى أطلقه لك ، فقال عامر : هذا ما لاسبيل إليه ، فقال عتيبة : تتبعني إذا جاورت هذه الرابية فتقارعني عنه على الموت ، فإما لي وإما على ، فقال عامر : هذه أبغضهن إلي ، فانصرف عتيبة بسطام . ولما شاهد بسطام ركب أم عتيبة ، قال : يا عتيبة أهذا رحل أمك ؟ ، قال نعم ، قال مارأيت رحل أم سيد قط مثل هذا ، إن ركب

(١) الغبيط : أرض لبني يربوع .

(٢) واد لبني النير بن عمرو بن تميم يقع أول الدهناء ، حاشية رقم ١ - كتاب أيام العرب في الجاهلية ص ١٩٧ .

(٣) جمع ركية وهي البئر . حاشية رقم ١ أيام العرب ص ١٩٩ .

أمك لرت ، فقال عتية : واللوات والعزى لأطلقك حتى تأتيني أمك بهودجها - وكان ذا قيمة كبيرة - ، ثم أرسل بسطام فأحضر هودج أمه وفدى نفسه بأربعمائة بعير ، وقيل بألف بعير وثلاثين فرساً وهودج أمه . ونجا من الأسر^(١) .

وكان يوم الزورين^(٢) من بين الأيام التي حدثت بين بكر وتميم ، وسببه النزاع على الماء والمرعى ، ذلك أن بلاد بكر بن وائل أجذبت . فانتجعوا بلاد تميم (بين اليمامة وهجر) وتفاقم الشر بينهما بسبب ذلك حتى صار لا يلقي بكرى تميمياً إلا قتله . ولا يلقي تميمى بكرياً إلا قتله ، وإذا أصاب أحدهما مال الآخر ، أخذه ؛ ثم خرج الحوفزان بن شريك والوادك بن الحارث وكلاهما من شيان ومعهما قوة من بكر ليغيرا على تميم ؛ وكانت تميم إذ ذاك قد اجتمعت في جمع كثير ، وسارت إلى بكر بن وائل ، وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي ، فبلغ خبرهم بكر بن وائل . فتقدموا وعليهم الأصم عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني أبو مفروق ، وأقبلت على تميم ببعيرين مجللين مقرونين وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفيين معقولين وسموهما زورين (يعني إلهين) ، وقالوا : لا نولى حتى يولى هذان البعيران ؛ فلما وقف أبرمفروق على خبر البعيرين « قال : أنا زوريكم وبرج بين الصفيين ، وقال : قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر ، ثم التقى الفريقان ودار بينهما قتال شديد وذبحت شيان البعيرين ، ولحقت الهزيمة ببني تميم ، وقتل مقدمهم أبو الرئيس ، وغنمت بكر أموالهم ونساءهم وأخذت كثيرا من أسراهم^(٣) .

ومن الأيام التي أحرزت فيها تميم النصر على بكر يوم النجاج^(٤)

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ . (٢) الزوران . بعيان مجلان .

(٣) ابن الأثير : ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٤) النجاج . ماء على عشر مراحل من البصرة ، وثبتل ، ماء قرب النجاج (ياقوت ج ٨ ص

٢٤٠ - ٢٤٤ ، ج ١ ص ٣ .

وثبتل ، وسببه حب الغزو ؛ وكان زعيم تميم في هذا اليوم قيس بن عاصم المنقري الذي خرج مع بعض بطون تميم للاغارة على بكر وائل ، فلما وصل النباج سقى خيله ثم أراق ما مع رجاله من الماء ، وقال لهم : قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم فأغاروا على أهل النباج من بكر ، ودار القتال بين الفريقين وحلت الهزيمة ببكر ، ووقع في يد قيس من غنائمهم ما لا يحصى كثرة وكان قيس قد أنفذ سلامة بن ظرب ليغزو مكاناً آخر للبكرين يعرف بثبتل فلما فرغ من النباج عاد مسرعاً نحو ثبتل ، فوجد سلامة ومن معه لم يغزوا بعد ، فأغار برجاله على ثبتل وأوقع بالبكرين وغنم منهم مثل ما غنم بالنباج^(١).

كذلك دارت معارك بين تميم وقبائل أخرى نذكر من بينها يوم شعب جبلة ، وسببه أن لقيط بن زرارة سيد بني تميم عزم على غزو بني عامر ابن صعصعة للأخذ بثأر أخ له كان أسيراً عندهم ومات . وبينما كان يتجهز للقتال أتاه الخبر بحلف بني عبس وبني عامر ، فاستنجد لقيط ببني ذبيان لعداوتهم لبني عبس ، فأجابته غطفان كلها كما خرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان ، وأقبلت تميم وأسد وذبيان نحو جبلة ، فلقوا في طريقهم كرب بن صفوان من أشراف سعد ، فخافوا أن يطلع أعداءهم على خبرهم ، وسألوه لماذا لا يصحبهم في الغزو ، فقال . إنه يبحث عن إبل ضلت منه ، وتعهد ألا يخبر أحداً بمسيرهم ، ولكنه مالبت حين دنا من عامر وعبس أن أخذ خرقة وضع بها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين بمائيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم ، فأخذها بعضهم وجاء بها الى قيس بن زهير أمير عبس ، فعلم ما يعنى الرجل بهذه الأمور وقال : هذا رجل قد أخذ عليه عهد ألا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم مثل التراب كثرة وأن شوكتهم شديدة ، وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرقتان اليمانيتان

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ٢٣٨

فهما حيان من اليمن معهم ، وأما الحرفة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار فهي عشر ليال يأتكم القوم بها ، قد أنذرتكم فكونوا أحراراً واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام » ، فأنثوا على حكمته واستشاروه في ماذا يعملون فقال : « أدخلوا إبلكم هذه شعب جبلة ثم أظمتوها هذه الأيام لا توردها الماء ، فإذا جاء القوم أخرجوها عليهم وانحسوها بالسيف والرماح فتخرج مداعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم وأخرجوا أنتم في آثارها » . ففعلوا ما أمرهم به وكثر القتل في تميم ، وأسر جماعة من رؤسائهم وقتل لقيط بن زرارة ، وتمت هزيمة تميم وغطفان^(١).

ومن الأيام التي دارت الحرب فيها تميم وغيرها من القبائل القحطانية يوم الكلاب الثاني^(٢) ، وسببه أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدم نجران على بني الحارث بن كعب - وهم أخواله - وحدثهم بما أصاب بني تميم ، وأن أموالهم وذرائعهم في مساكنهم لا مانع لها فاجتمعت بنو الحارث من مذحج وأحلافها في عسكر عظيم ، بلغوا ثمانية آلاف ، ثم ساروا يريدون بني تميم ، فحذرهم كاهن لهم ونصح لهم بالأيمن غزواتهم . ولما بلغ الخبر تميم ، اجتمع ذوو الرأي منهم إلى أكثم بن صيفي الأسدي ، فأشار عليهم بأن ينزل حنظلة بن مالك بالدهناء ، وينزل سعد بن زيد مناة والرباب^(٣) : الكلاب . وأوصاهم بالأيمن أخذوا معهم نساءهم ، وحذرهم الخلاف فقبلوا مشورته وقبلت مذحج ومن معها من قضاة فقصدوا الكلاب ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً ، وحمل بنو تميم على أهل اليمن حملة صادقة ، فانهزموا وبذلك تمت الغلبة لتيميم على مذحج^(٤).

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٤ - ٣١٦ .

(٢) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة حاشية رقم ٨ ص ١٢٤ كتاب أيام العرب

(٣) كلامهما من تميم .

(٤) ابن الأثير : ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

ومن الأيام التي وقعت بين قبائل ربيعة نفسها ماجرى بين بكر وتعلب ، نعى بها حرب السوس ، وذلك أنه لما رفض وائل بن ربيعة الذي يلقب بكيب حموع اليمنيين وهزمهم ، اجتمعت تحت رايته كل قبائل معد وأبسته تاجاً ، وجعلوه في مقام الملوك ، وظل فترة من الزمن على هذه الحال ، ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، فاتخذ لنفسه مساحة من الأرض لا يجسر أحد أن يطأها ، وصار إذا جلس لا يمر أحد بين يديه إجلالاً له ، ولا يغير إلا بإذنه ولا نوقد نار مع ناره ولم يكن بكري ولا تغلبى أن يجير رجلاً ولا بعيراً أو يحمى حمى إلا بأمره ، وتجاوز من سبقه من أصحاب الحمى ، فجعل حمايته تشمل كل أنواع الوحش حتى كان يقول : « وحش أرض كذا في جوارى فلا يهاج »^(١).

تزوج كليب جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيان بن بكر ، ولها أخ اسمه جساس بن مرة ، وكان فارساً شهياً فحدث ذات يوم أن قال كليب لامراته جليلة : هل تعلمين على الأرض أمنع منى ذمة ؟ فقالت : أخوئى جساس وهمام ، فاستاء من هذا القول . وكانت لجساس خالة نزلت عليه اسمها اليسوس بنت منقذ بن تميم . ولها ناقة ومعها فصيل لها ، فلما خرج غاضباً من قول زوجها جليلة رأى فصيل ناقة اليسوس ، فرماه بقوسه ، فقتله ، وظل كليب ينقم على أخوى زوجته حتى إذا مرت به إبل جساس وفيها ناقة اليسوس رمى ضرعها فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها ؛ فلما رأتها اليسوس صاحت : واذا له ! فقال لها جساس : إني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غلالاً وهو فحل إبل لكليب لم يرفى زمانه مثله . وكان جساس يعنى بمقاتله كليلاً .

ولما مرت بعض قبائل بكر على بعض مواطن المياه منعهم كليب من

(٦) كتاب أيام العرب ص ١٤٣ .

الاقتراب منها ؛ فساء ذلك جساس ، وقال لكليب : طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً ، فقال كليب : مامنناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون ، فقال له : هذا كفعلك بناقة خالتي . وكان جساس إذ ذاك راكباً فرسه . فعطف على كليب وطعنه برمح أرداه عن فرسه ، فقال : يا جساس أغثنى بشربة من ماء ، فلم يأت به بشيء وقضى كليب نجهه ، ثم انصرف جساس إلى أهله راكباً فرسه وقد بدت ركبتاه ، فقال له أبوه : ما وراءك يا بني ؟ قال : ورائي أني قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمنا ، فقال له أبوه : ومن طعنت ؟ قال : قتلت كليياً : فقال له أبوه : « إذن نسلمك بجريرتك ، ونريق دمك في صراح العشيرة ، والله لبئس مافعلت ، ثم أخذ يتأهب للحرب فدعا قومه إلى نصرتيه فأجابوه .

لما علم مهلهل بقتل أخيه كليب ، أعد نفسه للحرب ، وجمع قومه ، ثم جز شعره وقصر ثوبه وآلى على نفسه ألا يهتم بلهو ولا يشم طيباً ولا يشرب خمراً ولا يدهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلاً من بكر بن وائل ، وحث بني تغلب على الأخذ بالثأر ، وانطلق رهط من أشراف قومه حتى أتوا مرة والد جساس ، وقالوا له : « إنكم أثبتم أمراً عظيماً بقتلكم كليياً بناقة ، وقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحُرمة ونحن نكره العجلة عليكم ذون الإعذار ، وإننا نعرض عليكم خلالاً أربعاً لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع : إما أن تحيي كليياً أو تدفع إلينا قاتله جساساً فننقلته به أو هماماً فإنه كفء له ، أو تمكثنا من نفسك فإن فيك وفاء لدمه » فقال لهم مرة : « أما إحيائي كليياً فلست قادراً عليه ، وأما دفعي جساساً إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه ولا أدري أي بلاد قصد ، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وكلهم فرسان قومهم ، فلن يسلموه بجريرة غيره ، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل ، فما أتعجل الموت ولكن لكم عندي خصلتان أما أحدهما فهؤلاء ابنائي الباقون ، فخذوا أيهم

شتم فاقتلوه بصاحبكم وأما الأخرى فإن أذفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر . فغضب القوم من إجابته ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة بأبيها وقومها ، ودارت بين الفريقين عدة وقائع ، ومنها يوم عنيزة ، وكانا فيه متكافئين ، ثم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيان نازلة عليه ، وكان رئيس تغلب مهلهل ورئيس شيان الحارث بن مرة ، ودارت الدائرة في هذا اليوم على بني تغلب ، ثم التقى الفريقان بالذئاب^(١) حيث أحرز التغلبيون النصر ، وهكذا طال أمد النزاع بين بكر وتغلب ودامت الحرب بينهما التي عرفت بحرب البسوس أربعين سنة .

تكبد بنو بكر وتغلب كثيراً من الخسائر في هذه الحرب ووجه مهلهل إلى قومه وصية ضمنها رغبته في الإبقاء عليهم بعد ما فقدوه من الأموال والأنفس من جراء القتال الدائر بينهم وبين بني بكر فقال : « قد رأيت أن تبفوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم وقد أتت على خربكم أربعون سنة ، ومالكم على ما كان من طلبكم بوتركم ، فلو مرت هذه السنون في رفاهة عيش لكانت تمل من طولها فكيف وقد فنى الحبان ، وثكلت الأمهات ، ويتم الأولاد ، ورب نائحة لاتزال تصرح في الواحى ، ودموع لاترفا ، وأجساد لاتدفن ، وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة ، وابن القوم سيرجون إليكم غدا بمودتكم ومواصلتهم . وتتعطف الأحماء حتى تتواصوا ، أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب ، وأخاف أن أحلكم على الاستئصال ، وأنا سائر عنكم إلى اليمن »^(٢).

ومن أيام العرب التي وقعت بين القبائل المصرية حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ، سببه قيس بن رهم سيد بني عبس ، سار إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر ويأخذ بتار أخيه زهير بن جدعة الذي قتله

(١) الذئاب . موضع نحد (أبو عبيد البكري : معجم ما سجع ص ٣٨٥)

(٢) ابن الأثير : ج ١ ص ١٩٣ ، كتاب أيام العرب ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

بخالد بن حنظل الكلابي العامري ، فأتى أحيحة بن الجلاح^(١) يشتري منه درعا موصوفة تسعى ذات الحواشي ، فقال له : « لولا أن تذهني بنو عامر لو هتھالك » ثم باعها إليه ، وعاد قيس إلى قومه ، ومرت اثناء عودته بالربيع ابن زياد العبسي - أحد زعماء عبس - فدعاه لمساعدته على الأخذ بثأر أبيه ، فأجابه إلى ذلك ولما رأى الربيع الدرع التي يحملها قيس أعجبته ولبسها واحتفظ بها لنفسه وأبى أن يردھا إليه ، فحقق قيس على الربيع وعول على الانتقام منه ، فأغار على إبله وأخذ منها أربعمئة بعير وسار بها إلى مكة ، فباعها واشترى ثمنها خيلا ، كان من بينها فرسان أسماها داحس والغبراء ، وتبعه الربيع فلم يلحقه .

وكان أهل مكة يفاخرون قيسا أثناء وجوده بينهم بإقامتهم بنجوار البيت الحرام فقال لهم : « نحوا كعتكم عنا وحرمكم وهاتوا ماشئتم » فقال له عبدالله بن جدعان : « إذا لم نفاخر بالبيت المعمور والحرم الأمن فبم نفاخرك ؟ » ، فمل قيس مفاخرتهم وحرم على الرحيل عن مكة ، فسر ذلك قريشا لكراهتهم مفاخرته ولحق قيس ببني بدر بن فزارة^(٢)

لما نزل قيس ببني بدر أجاره حذيفة بن بدر سيد ذبيان ، وكان حذيفة يغدو ويروح إلى قيس فينظر إلى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك في نفسه ، كما أنه كره قيسا وأراد إخراجه من جواره ، ولكنه لم يجد مبررا لفعله ، فعدل عن ذلك .

لما سار قيس إلى مكة لأداء العمرة ، تفاخر فتى من عبس يقال له ورد بن مالك مع حذيفة في الخيل ، ثم تراهنا على فرسين من خيل قيس ومن خيل حذيفة ، غير أن هذا الرهان لم يرض به قيس حين عاد من مكة ، وقال

(١) سيد الأوس قبل الإسلام ، حاشية رقم ٣ ص ٢٤٦ كتاب أيام العرب .

(٢) إحدى بطون ذبيان .

لحذيفة : علام تراهني ؟ فقال حذيفة : على فرسيك داحس والغبراء وفرسي الخطار والحنفاء ، وأعدت معدات السباق ، وأضمر حذيفة الغدر بقيس ، فأقام رجلا من بني أسد في الطريق وأمر أن يلقي داحساً في أسفل أحد الوديان إن جاء سابقاً ، فلما أرسلت الخيل سبقتها داحس سبقاً بيناً ، فعارضه الأسدى وألقاه في الماء ، وكاد يغرق هو وراكبه ، ولم يخرج إلا بعد أن فاتته الخيل أما الغبراء فجاءت سابقة وتبعها الخطار ، ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله .

ولما علم قيس بالأكيدة التي دبرت لفرسه رفض أن يعطى حذيفة ما رآه أنه حقه في الرهان ، وقتل ابنه ندبة حين وفد إليه ، ونادى : يا بني عبس الرحيل . فرحلوا جميعهم ووقعت بسبب ذلك عدة وقائع بين قبيلتي عبس وذبيان ، كانت الحرب فيها سجلاً يوماً للذبيان ويوماً لعبس . ولما مل بنو عبس الحرب بعد أن فقدوا كثيراً من رجالهم وأموالهم بعثوا بوفد منهم إلى بني ذبيان لوقف القتال ، وانتهى الأمر بعقد الصلح بينهم^(١) .

* * *

ومن الوقائع التي دارت بين القبائل المضرية يوم الفجار الأول ، وكان بين كنانة وقيس عيلان ، وقد عرف بذلك لأن القتال فيه وقع في الشهر الحرام ؛ وسببه أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نضر بن معاوية ابن بكر بن هوازن ، فقتل النضري الكناني وذهب إلى سوق عكاظ^(٢) بقرده وصار ينادي « من يبيعني مثل هذا بمالي على فلان الكناني » . فلما طال نداؤه مر به رجل من كنانة ، فضرب القرده بسيفه وقتله ، فصرخ النضري في قيس وصبح الكناني في كنانة ، فاجتمع الحيان وتحاوروا حتى

(١) ابن الأثير ج ١ ص ٢٠٠ - ٢١٢ .

(٢) كانت تقام فيما بين نخلة والطائف ، ونخلة موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم .

(حاشية رقم ٧ ص ٣٢٦ كتاب أيام العرب) .

كادت الحرب تقع بينهم ، ثم توسط عبدالله بن جدعان في عقد الصلح بين الفريقين^(١).

كذلك وقع الفجار الثاني بين كنانة وقيس عيلان ، ولم يكن في أيام العرب أشهر منه ، وسببه أن البراض بن قيس بن رافع الكنان كان رجلاً سكيراً خليعاً ، فخلعه قومه وتبرءوا منه لكثرة شره ، فخرج حتى قدم على النعمان ابن المنذر ملك الحيرة - وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة^(٢) للتجارة إلى عكاظ تباع له - فقال النعمان : من يحيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ ، فقال البراض : أبيت اللعن أنا أجيزها على بني كنانة ، فقال النعمان : إنما أريد رجلاً يحيزها على أهل نجد ، فقال عروة بن عتبة الكلابي وهو من قيس عيلان - وكان حاضراً إذ ذاك : « أكلب خليع يحيزها لك ، أبيت اللعن ، أنا أجيزها على أهل تهامة ونجد » ، فغضب البراض وقال : « وعلى كنانة تجيزها يا عروة ؟ » فقال عروة . « وعلى الناس كلهم » ، فدفع النعمان اللطيمة إلى عروة وأمره بالمسير بها ، وخرج البراض يتبع أثره ، وعروة يرى مكانه ولا يخشاه ، حتى إذا كان بين قومه أدركه البراض بنواحي فذك ووثب عليه بالسيف فقتله وأخذ العير إلى خير وتبعه رجلان من قيس ، فاختلفا عليهما حتى قتلها وسار بالعير إلى مكة ، وبعث رسولا إلى حرب بن أمية كبير قريش ، يخبره أنه قتل عروة ويحذره من قيس ، فبعث حرب بن أمية إلى أشرف قريش - ومنهم عبدالله بن جدعان وهشام بن المغيرة المخزومي - يخبرهم بذلك ، فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا : نخشى أن تطلب قيس ثأر صاحبهم منا ولا نرضى أن يقتل البراض به لأنه خليع ، ثم قابلوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب سيد قيس وأخبروه

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦ ، ابن الأثير : ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) اللطيمة : الجمل التي تحمل البز والمسك . (حاشية رقم ٢ كتاب الإسلام السياسي ج ١

بما حدث وكاد الصلح يتم بين الفريقين لولا أن نفرأ من قريش - كانوا في عكاظ - بلغهم مافعله البراض فخشوا أن يكون قومهم في مكة في ضيق ، فساروا إليها لنصرتهم ، فلما بلغ عامر بن مالك سيد قيس ذلك عده غدرأ وقال . غدرت قريش ، وخذعني حرب بن أمية ، وأقسم ألا تنزل كنانة عكاظ أبداً ، ودار القتال بين القرشيين والقيسيين في نخلة ، وكادت قريش تنهزم ، فلدجات إلى الحرم للاحتباء به - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم إذ ذاك وله من العمر عشرون سنة .

ولما دخلت قريش الحرم ، رجعت قيس عنها وقالت لهم : يامعشر قريش ، إنا لانتزك دم عروة وميعادنا عكاظ في العالم المقبل ، وانصرفنا إلى بلادها يحرض بعضها بعضاً على الأخذ بالثأر ، ثم جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها من قبائل العرب وجمعت قريش جموعها ومنهم كنانة وخرجوا في الموعد وعلى رأسهم - حرب بن أمية ، وتقدمت قيس إلى عكاظ قبل قريش وعقل حرب نفسه ، وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما ، وقالوا : لن يبرح رجل منا مكانه حتى نموت أو نظفر ، فسموا يومئذ العنابس ، أى الأسود ، ودار القتال بين الفريقين ، فكان النصر أول النهار لقيس وانهمز كثير من بنى كنانة وقريش ، ولما انتصف النهار عاد الظفر لقريش وكنانة ، فقتلوا كثيراً من قيس وانتهى الأمر بانهمز قيس ثم تداعوا إلى الصلح واتفق الفريقان على أن يعدوا القتلى ، فإذا ما وجد فريق أن قتلاه زاد عددهم عن قتلى الفريق الآخر ، أخذ دية العدد الزائد من هذا الفريق ، وبذلك وضعت الحرب أوزارها بين قريش وقيس ، وتعاهدوا على ألا يؤذى بعضهم بعضاً فيما كان من أمر البراض وعروة^(١).

(١) ابن الأثير: ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٧ . كتاب أيام العرب ص ٣٢٦ - ٣٤١ .

٢ - الممالك العربية

أولاً : دول اليمن :

كانت اليمن قبل الإسلام تنقسم إلى محافد جمع محفد ، والمحفد يشمل عدة قصور ، وكان القصر إذ ذاك كالحصن أو القلعة ، يحيط به سور ، ويقام فيه شيخ أو أمير ، ويعرف صاحب المحفد أو القصر بلفظ « ذو » أى صاحب وكان يضاف هذا اللفظ إلى اسم المحفد فيقال « ذو غمدان » أى صاحب غمدان . (وذو معين) أى صاحب معين ، ومن أشهر المحافد : غمدان وناعظ وصرواح وسلحين بمأرب وظفار وبراقش ومعين^(١) .

كان يحدث في بعض الأحيان أن تجتمع عدة محافد ويتولى شئونها أمير واحد يسمى (قيل)^(٢) . ويطلق على مجموع المحافد مايلحقها من القرى والمزارع (مخلاف) .

كان الأقبال يغزو بعضهم بعضاً ، ويغير أحدهم على جاره ، وقد نجح بعضهم في مد سلطانهم على جيرانهم ، وهؤلاء عرفوا بالملوك وأصبح محفدهم حاضرة لهم ، وتوالى الحكم في أعقابهم ، وبهذه الوسيلة قام في بلاد اليمن قبل الإسلام عدة دول أشهرها ثلاث .

١ - الدولة المعينية (١٣٠٠ - ٦٥٠ ق . م) : لم يرد لتلك الدولة ذكر في كتب العرب ، لكننا وقفنا على أنحارها من النقوش التي كشفت في جنوب جزيرة العرب ، وكذلك مما كتبه مؤرخو اليونان . ورد في النقوش المعينية أن الحكم في هذه الدولة كان ملكياً وراثياً ،

(١) الممداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٠٣ .

(٢) جمعه أقبال ، وسمى بذلك لأنه ذو القول أى إذا قال لم يرد أحد قوله . (حاشية رقم ٣ ،

ابن هشام : سيرة النبي ، ج ٤ ص ٢٥٨) .

ينتقل من الأب إلى الابن وقد يشترك الاثنان معاً^(١) . وقد حقق D . S Muller أسماء ستة وعشرين ملكاً من ملوكها . لكننا لانعرف شيئاً مفصلاً عن أعمالهم ومدد حكمهم . ويستدل من تلك النقوش أيضاً أن نفوذ دولة معين امتد إلى شمال جزيرة العرب^(٢) .

أقام المعينيون بمنطقة الجوف بين نجران وحضرموت ، واتخذوا قرناو عاصمة لهم^(٣) وكانوا يشتغلون بالتجارة عملاً بما تقتضيه طبيعة الإقليم الذي استقر مقامهم به ، واقتبسوا الأبجدية الفينيقية لتدوين حساباتهم لسهولة استعمالها ، ودونوا بها لغتهم^(٤) .

٢ - دولة سبأ (١٩٥٠ - ١١٥ ق . م) . أقام السبئيون بحوار المعينين واختلطوا بهم واقتبسوا لغتهم وعاداتهم وديانتهم . ولما اشتد ساعدتهم قضوا على المعينيين وأسسوا دولتهم ، واتخذوا في بادئ أمرهم قلعة صرواح حاضرة لهم^(٥) .

كانت دولة سبأ ذات نظام ملكي وراثي ، ويستدل من مقابلة أسماء ملوك سبأ المدونة على آثار مارب^(٦) أن السبئيين تدرجوا في الحكم من الإمارة البسيطة إلى الملك الواسع .

(1) O'leary ' Arabia before Muhammad P . 95

(2) Margoliouth ' The Relations between Arabs and Israelites

Prior to the Rise of Islam P . 51

(3) Hitti . History of the Arabs , P . 52 - 54

(٤) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١١٣ - ١١٤ .

(5) — Hitti , History of the Arabs , P54

(٦) تقع مارب على ارتفاع ٩٠٠ قدم فوق سطح البحر ، على بعد مائة كيلو متر إلى الشرق من صنعاء ، وكانت مركزاً هاماً للتجارة .

أما عن لفظ مارب فهو آرامي الأصل ، مركب من « ماء » و « راب » أي الماء الكثير أو السيل الكبير .

Hitti . History of the Arabs P . 55

جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام .

مرت دولة سبأ بعصور مختلفة تتميز بالقاب ملوكها ، ففي العصر السبئي الأول الذي ينتهى سنة ٦٥٠ ق . م كان لقب القائم على أمور دولة سبأ « مكرب سبأ » وهذا اللقب يتضمن معنى الكهانة أى أن حاكم سبأ كان ملكاً وكاهناً^(١) . أما في العصر السبئي الثانى (٦٥٩ - ١١٥ ق . م) فنجد الحاكم تجرد من صفته الدينية وأصبح يطلق عليه « مالك سبأ » . وفى هذا العصر أصبحت مأرب عاصمة للسبئيين^(٢) .

كانت دولة سبأ تتمتع بثروة عظيمة ، ولا أدل على ذلك من منشأتها وخاصة الخزانات التى منها سد مأرب ، ويعرف أيضاً بسد العرم وهو بمدينة مأرب وقد تيسر لأهالى مأرب بواسطة هذا السد أن يرووا أرضهم رياً منظماً .

اتفق المؤرخون من العرب على أن السبب فى زوال هذه الدولة يرجع إلى تصدع سد مأرب ، إذا اضطر السبئيون بعد أن غمرت المياه ماحوله من القرى والمزارع إلى الرحيل من مأرب وتعمير بلدة ظفار ، ثم أخذوا بعد ذلك ينزحون إلى الجهات الشمالية والشرقية من جزيرة العرب ، فهاجر بنو غسان إلى حوران ، وبنو لخم إلى أرض الحيرة . وقد جعل الغساسنة حادثة إنفجار السد بداية عهدهم الجديد وصاروا يؤرخون بها حوادثهم^(٣) .

٣ - دولة حمير (١١٥ ق . م - ٥٢٥ م) : كان الحميريون يقيمون فى ريدان التى عرفت أيضاً باسم ظفار . ولما تغلبوا على إخوانهم السبئيين صار لقب كبيرهم (ملك سبأ وذو ريدان) ومنذ ذلك الوقت بدأت دولة حمير الأولى التى ظلت قائمة حتى سنة ٣٠٠ م . وكانت عاصمة الأسرة الحميرية

(1) Nicholson , Literary History of the Arabs P . 10

(2) Hitti , History of the Arabs P . 54 - 55

(3) Hitti , History of the Arabs P . 64 - 65

أخذت قوة عرب الجنوب في الضعف خلال عهد الدولة الحميرية الأولى ، ذلك أن زمام احتكار التجارة البحرية في البحر الأحمر أخذ يفلت من بين أيديهم . وقد بدأت أول محاولة لانتزاع سيادة عرب اليمن على البحر الأحمر منذ أعاد بطليموس الثاني فتح القناة التي تصل النيل بذلك البحر^(٢) .

أما دولة حمير الثانية فتبدأ حوالي سنة ٣٠٠ م . حيث أصبح اللقب الملكي في جنوب جزيرة العرب (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمناة)^(٣) وقد لقب بهذا اللقب الجديد شميريرعش^(٤) (٢٨٠ - ٣٠٠ م) وهو من أشهر ملوك حمير . ويروى مؤرخو العرب أنه غزا أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنهم وخرب مدينة الصفد وراء نهر جيحون وبنى مدينة هناك عرفت بشمرقند وهي التي تعرف باسم سمرقند^(٥) .

وكانت مدينة حمير موضع تنافس بين كل من الدولة الساسانية في فارس والدولة الرومانية الشرقية . وقد استخدمت هذه الدولة السلاح الديني في بسط سيادتها فنشرت المسيحية في بلاد الحبشة ، كما أدخلت هذه الديانة إلى بلاد اليمن نفسها ، وأصبح في نجران جالية نصرانية قوية . وكان الروم يرمون من وراء نشر المسيحية في هذه البلاد أن يكون لهم نفوذ سياسي واقتصادي فيها فصارت تجارتهم تسير بين الخليج الفارسي والبحر الأحمر

(1) Hill , History of the Arabs P . 55 - 58

(2) Hill , History of the Arabs P . 58 -59

(3) Hill , History of the Arabs P . 60

(4) Philby , The background of Islam P . 100 - 111

(٥) ابن هشام : كتاب التيجان في ملوك حمير ص ٢٢٢ ، جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام ٢٩

مارة ببلاد اليمن ، الأمر الذي استاء منه العرب وحملهم على مضايقة الروم والوقوف في وجه تجارتهم .

كان الفرس في هذه الأثناء قد وقفوا على ما يرمى إليه الروم من وراء نشر المسيحية في بلاد اليمن ، فعمدوا إلى عرقلة مجهوداتهم في سبيل تنمية متاجرهم الشرقية ، فبعثوا بفريق من جندهم إلى شواطئ الخليج الفارسي من ناحية حدود جزيرة العرب . ولما علم بذلك قيصر الروم أرسل إلى بني حمير يحرضهم ضد الفرس فلم يجيبوا طلبه . وظلوا يعترضون تجارة الروم أثناء اجتيازهم اليمن بتجارتهم الهندية مما كان سبباً في وقوف حركتها ^(١) .

كذلك انتشرت اليهودية باليمن في عهد الدولة الحميرية الثانية ، واشتد ساعدها في أوائل القرن السادس الميلادي ، بحيث أن آخر ملوك حمير وهو ذو نواس كان يهودياً

اشتدت المنافسة بين عرب الجنوب الذين انضموا تحت لواء هاتين الديانتين . وكان ذو نواس يمثل الروح القومية في البلاد ، فرأى في النصاري من مواطنيه ما يذكره بسيادة الأحباش المسيحيين ^(٢) . فقام بهجوم عنيف على نجران حوالي سنة ٥٢٢ م ، وخير أهلها الذين كانوا يدينون بالمسيحية بين الارتداد عن دينهم أو الاستشهاد ، فوقفوا منه موقفاً حازماً تحت رئاسة أمرائهم وقساوستهم ، فأبيدوا دون رحمة في الخنادق التي أعدت لإحراقهم ^(٣) .

لما بلغ الامبراطور البيزنطي Justin ما حل بأهل نجران من التنكيل كتب إلى نجاشي الحبشة يحرضه على جزيرة العرب ^(٤) فأنفذ حملة تحت

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٣٨ .

(٢) Hitti , History of the Arabs P— 62 .

(٣) Philby , The background of Islam P. 119 .

(٤) Margolouth , the Relation between Arabs and Israelites

Prior , to Rise of Islam P, 65 .

قيادة أرباط لفتح بلاد اليمن . فتغلب أرباط على ذى نواس وقبض على زمام الأمور في بلاد حمير . وظل يحكم هذه البلاد إلى أن أخذ عليه قواده انحيازه إلى فريق منهم في توزيع العطاء والغنائم ، فاجتمعوا بقيادة أبرهة وقضوا عليه وبذلك خلا الجو لأبرهة ، فولى الحكم في بلاد حمير بدلا من أرباط^(١).

لم يلبث الأحباش بعد أن دخلوا بلاد اليمن أن عملوا على استغلال أراضيها واستثمارها ، كما وجهوا اهتمامهم إلى نشر النصرانية بين أهلها ، فبنى أبرهة في صنعاء كنيسة كبيرة تعد من أفخر الكنائس التي بنيت في هذا العصر ، وكان يطمع أبرهة في تحويل حجاج العرب إليها ، فأرسل جيشاً لهدم الكعبة بمكة ، لكن حملته أصيبت بالفشل ، وتعرض هو وجنده لمختلف الأمراض ، ثم توفي بعد عودته منهزماً^(٢) ،

لم يمض غير قليل على تلك الهزيمة التي منيت بها حملة أبرهة حتى قامت حركة وطنية في دولة حمير لتخليص اليمن من حكم الأحباش ، وكان على رأس هذه الحركة سيف بن ذى يزن الحميري الذي سعى في إنقاذ قومه من الأحباش ، فسار إلى ملك الحيرة ليتوسط له لدى كسرى أنوشروان ليمنه بقوة يستعين بها قى إخراج الأحباش من بلاد اليمن .

وكان العرب المسيحيون في تلك البلاد يتطلعون إلى الحماية والرعاية من الروم كما كان اليهود والوثنيون من العرب يلوذون بالفرس ويطلبون العون منهم . فلما استنجد سيف بن ذى يزن بكسرى فلوس ، أمدّه بحملة سنة ٥٧٥م تحت قيادة وهرز ، وقد تغلب هذا القائد على الأحباش في اليمن وأنقذ هذه البلاد من حكمهم البغيض .

قامت على أثر ذلك في بلاد اليمن حكومة مشتركة ، تقلد سيف بن ذى ن

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٣٠ .

(٢) فيليب حقي : تاريخ العرب ج ١ ص ٨٣ - ٨٤ .

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام ٣١

فيها ولاية اسمية^(١) . واستحل وهرز وظيفة نائب ملك في تلك البلاد التي أصبحت منذ ذلك الوقت إحدى أقاليم الامبراطورية الفارسية .

على أن سيطرة الفرس على اليمن لم تدم طويلا ، فقد انسلخت عنها تلك البلاد حين اعتنق باذان آخر ولاية الفرس على اليمن الإسلام ودخل في طاعة الرسول^(٢) .

ثانيا - مملكة الحيرة :

كان العرب في العصور القديمة يقدون إلى تخوم جزيرتهم الشرقية ، حتى إذا وصلوا وادي الفرات أقاموا في ربوعة ، وفي أوائل القرن الثالث الميلادي بدأت تفد قبائل من تنوخ ترجع إلى أصل يمني ، فاتخذت لها مساكن في المنطقة الخصبة الواقعة إلى الغرب من الفرات . وقد وافق قدومهم قيام الدولة الساسانية في فارس ، وكان التنوخيون يعيشون في بداية أمرهم في خيام ؛ ومن ثم أصبح نخيمهم قاعدة تعرف بالحيرة (من السريانية حرثا أي نخيم) ، وتقع على بعد ثلاثة أميال جنوباً من الكوفة .

أما عن سكان الحيرة الأصليين ، فكانوا من قبائل شتى من بطون العرب ، اعتنقوا النصرانية على مذهب الكنيسة السورية الشرقية التي عرفت فيما بعد بالنسطورية^(٣) .

أطلق مؤرخو العرب على هذه القبائل العباد ، وقيل في سبب تسميتهم بالعباد ، أنهم اتخذوا شعاراً لهم : يا آل عباد الله ، حين حاربهم سابر الأكبر كسرى الفرس ، وقيل أيضاً أنهم عرفوا بذلك لأنهم كانوا يعبدون الله^(٤) .

(١) Hitti History of the Arabs P . 65 - 66

(٢) Philbslam P 81kground of Islam P 124 - 125

(٣) Hitti , History of the Arabs P . 81 .

(٤) البكوى : معجم ما استعجم ج ١ ص ٢٥٥ .

لما قامت الدولة الساسانية في فارس حاولت طرد العرب من تحوم دولتها لكنها لم تستطع ذلك ورأت من حسن السياسة الانتفاع بهم ، فأسست إمارة الحيرة سنة ٢٤٠ م ، وعينت عمرًا بن نصر بن ربيعة بن لخم أميراً عليها ، وظلت أسرته تتقلد زمام الحكم فيها حتى دخلت في حوزة الدولة العربية الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق .

كانت العلاقة بين دولة فارس وإمارة الحيرة قائمة على أساس أن يقدم عرب الحيرة الطاعة لكسرى فارس وهو يولى عليهم أميراً من بينهم . وعليهم أن يصدوا كل مغير يحاول الاغارة على بلاد الفرس من نواحيهم ، وفي مقابل ذلك يعفون من دفع الإتاوة .

ساعدت إمارة الحيرة دولة فارس في حروبها التي أعلنتها على الدولة الرومانية الشرقية ، فلبى أميرها المنذر الثالث بن امرئ الميسر الملقب بابن ماء السماء (٥٠٥ - ٥٥٤ م) دعوة كسرى الفرس وأوقع الهزيمة بالروم . واضطر الامبراطور الروماني جستنيان إلى عقد الصلح سنة ٥٣٢ م ، كان من شروطه أن يدفع الروم مبلغاً من المال للملك الفرس والمنذر .

على أن ملوك الفرس من الساسانيين عدلوا في أواخر القرن السادس الميلادي وأوائل القرن السابع عن سياسة استخدام عرب الحيرة في أداء أغراضهم الحربية والسياسية ، كما عمدوا إلى إزالة استقلال هذه المملكة وصاروا يتدخلون في تولية أمرائها ، فولى النعمان بن المنذر الذي يكنى بأبي قابوس الحيرة (٥٩٠ - ٦٠٣ م) بمساعدة عدى بن زيد العبادي^(١) . وهو أحد رجال بلاط كسرى أنوشروان^(٢) .

وكان بالحيرة حزب آخر يطمع في الوصول إلى الملك يرأسه أخ للنعمان يقال له الأسود . فلما فشل في تحقيق غرضه ، أخذ يكيّد لعدى بن زيد ،

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ٢٠٩ .

(٢) Guidi , L'Arabia Ant'islamique P 25

ويسعى به سراً لدى النعمان ، حتى حقد عليه النعمان وبعث يستأذن كسرى في أن يسمح لعدي بزيارته في الحيرة ، فأجاب كسرى طلبه . ولما قدم عدي إلى الحيرة ، أمر النعمان بزجه في السجن فأخذ عدي ينظم القصيدة تلو القصيدة في استعطاف النعمان ، لكن النعمان رغم ذلك خشي أن ينقلب عليه إذا ما أطلق سراحه ، فأبقاه في سجنه ، وبعث إليه جماعة قتلوه خنقاً ، ومالبث أن ندم على قتله وأخذ يقرب إليه ابنه زيدا ويرعاه تكفيراً عن إساءته لأبيه ، فطلب منه زيد أن يرجو كسرى أبرويز بن هرمز ليعينه مكان أبيه ، فلى رعبته ، وحاز سعيه قبولاً لدى كسرى ، وبذلك أصبح لزيد المكانة التي كانت لأبيه في بلاط ملك الفرس^(١) .

كان زيد بن عدي يظهر إعجابه بالنعمان ويضممر له سوء ، فأخذ يترقب الفرص للأخذ بثأر أبيه . فلما احتاح كسرى أبرويز بن هرمز أن يخاطب نساء لرجال أسرته ، أشار عليه زيد أن يطلب من النعمان بعض بنات عمه ، وأثنى على جماله . فأنفذ كسرى ابن عدي إلى النعمان ليلفقه طلبه ، فاستاء النعمان من هذا الطلب وقال لزيد : « أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته »^(٢) وكتب لكسرى : « إن الذي طلب الملك ليس عندي »^(٣) فغضب كسرى على النعمان وبعث يستقدمه إليه ، فحمل النعمان سلاحه وما استطاع حمله ، ثم لحق بطيء - وكان متزوجاً منهم - فأبت طيء معاونته خوفاً من كسرى ، فأخذ يطوف على قبائل العرب حتى نزل على بني شيبان بذي قار^(٤) سراً ، فلقى هانيء بن مسعود الشيباني ، فاستجار به ، فأجاره ، ثم أودعه النعمان أهله وماله وتوجه إلى كسرى ، فلما وصل إلى

(١) غنية . الحيرة ص ٧٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) أي أما في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا .

(٣) ابن الأثير : ح ١ ص ١٧٣ .

(٤) ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة .

حاضرة ملكه ، بعث إليه من قيده وحبسه ، وظل في السجن حتى توفي سنة ٦١٣ م .

ولى كسرى على الحيرة بعد وفاة النعمان إياس بن قبيصة الطائي - وكان من أشرف طيء وفصحائها المشهورين ، وله منزلة عظيمة عند ملك الفرس لبلائه الحسن في الدفاع عنه ، ولما أداه له من خدمات جليلة - ومع ثقة كسرى أبرويز به - فإنه لم يوله وحده على الحيرة ، بل جعل إلى جانبه حاكما فارسياً^(١) .

طلب كسرى أبرويز من إياس بن قبيصة بعد أن ولاه على الحيرة أن يرسل إليه ما خلفه النعمان من الدروع وغيرها فبعث إياس إلى هانيء بن مسعود الشيباني يطلب منه ودائع النعمان ، فأبى أن يجيبه إلى طلبه ، فأرسل كسرى إلى بني شيبان أن يسلموا ما تركه النعمان عندهم أو يعلن عليهم الحرب ، فاختاروا الحرب ، ودارت المعركة بين إياس بن قبيصة ومعه جند الفرس ومن انضم إليهم من قبيلتي تغلب وإياد ، وبين بكر بن وائل يتقدمها هانيء بن مسعود الشيباني فحلت الهزيمة بالفرس ، وتعرف هذه الواقعة بيوم ذي قار^(٢) .

كان لانتصار العرب على الفرس في يوم ذي قار ، رنة فرح وسرور في بلاد العرب . ولاغرو فإن العرب أنفسهم اعتبروه بداية عهد جديد^(٣) . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع بهذا النصر الذي أحرزته قبيلة بكر ، قال : « هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى انتصروا^(٤) » . وما لاريب فيه أن اندحار الفرس في هذه المعركة كان له

(١) غنيمة : الحيرة ص ٢١٥ - ٢١٦ ، فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ١١٣ .

(٢) راجع ماورد عن هذا اليوم في ابن الأثير ج ١ ص ١٧١ - ١٧٤ وكتاب أيام العرب ص ٦ -

٣٩ .

(٣) Nicholson . Literary History of the Arabs P — 70 (٣)

(٤) ابن الأثير : ج ١ ص ١٧١ .

أثره فيما بعد ، فقد مهد السبيل للمجاهدين من العرب في العهد الإسلامي ، فأحرزوا انتصارات كبرى على الساسانيين^(١) .

ولّى إمارة الحيرة بعد إياس بن قبيصة رجل فارسي ، يقال له أذاذبه ، وهذا يدلنا على أن كسرى فارس رأى بعد واقعة ذي قار أن يوطد سلطانه في الحيرة عن طريق تعيين عمال من الفرس عليها . غير أن المناذرة مالبثوا أن استعادوا سلطانهم على الحيرة فولى إمارتها المنذر بن النعمان أبي قابوس سنة ٦٢٨م بعد أن أقصيت أسرته عن الملك . ومن الأسباب الرئيسية التي مهدت له سبيل إعادة سلطان آبائه ، تلك الفتن والثورات التي قامت في دولة فارس ، وكان لها أثرها البعيد في اضعاف كيان الفرس وتقويض أركان سيطرتهم . وقد ظل المنذر والياً على الحيرة حتى فتحها خالد بن الوليد^(٢) .

مانبا مملكة الغساسنة :

لما هاجرت الأزد من بلاد اليمن بسبب ما حل بسد مأرب من الخراب واستقرت إحدى قبائلها بجوار ماء اسمه غسان بالشام فنسبت إليه . وكانت بادية الشام أرضاً عربية من أقدم الأزمنة ، فوفد إليها بعض القبائل من البادية ، كما هاجر اليه الضجاعة وهم من ولد سليخ بن عمرو بن حلوان ابن قضاة ، ونزلوا بالبلقاء وظلوا بها الى أن قدم عليهم الغساسنة ، فطالبهم لضجاعة بالإتاوة .

كان الروم اذ ذاك لا يهتمون بهجرة هذه القبائل ، إنما يوجهون عنايتهم إلى حراسة حدودهم الشرقية ، فعهدوا إليها بحراسة تلك الحدود ، وأقاموا سلسلة من الحصون والقلاع تأميناً للشام من غارات الفرس .

(١) غنيمة : الحيرة ص ٢١٨ . Guide L'Arable Ant'eislamique

(٢) غنيمة : الحيرة ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

ظل الغسانيون يؤدون الأتاوة للصحامة على كره منهم حتى تغلبوا عليهم وانفردوا بالسلطان ، وأنشأوا لأنفسهم دولة فيما هو معروف بالبلقاء وهوران ، عرفت بدولة الغساسنة واتخذوا بُصرى عاصمة لهم^(١) .

لما احتاح الروم إلى معونة الغساسنة ضد الفرس ، حالفوهم على أن يمدّهم الروم بأربعين ألفاً إذا هاجمهم العرب ، وأن يمدّوا الروم بعشرين ألفاً إذا حاربهم الفرس .



اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في عدد ملوك هذه الدولة ، وفي مدة حكمها . وأن مآذره بعضهم لا يخلو من الاختلاط والاضطراب لتناقضه ونقصه ومخالفته في بعض الأحيان لحوادث الدول المعاصرة . فيقول حمزة الأصفهاني^(٢) : إن ملوك غسان كانوا اثنين وثلاثين ملكاً ، حكموا نحو ستمائة سنة ، وذكر أبو الفدا^(٣) : تسعة وعشرين ملكاً تولوا الملك في دولة لغساسنة ، بينما ابن قتيبة^(٤) والمسعودي^(٥) لا يذكران إلا أحد عشر ملكاً . ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى أن حياة الغساسنة كانت غير مستقرة ، كما أنهم اتخذوا أكثر من عاصمة ، ثم إن الروم كانوا ينظرون اليهم على أنهم حراس لحدودهم الشرقية فيدفعون لهم أجراً معيناً على حراسة هذه الحدود .

وقد حاول المستشرق الألماني نولدكا أن يوضح الغموض الذي أحاط بتاريخ دولة الغساسنة ، فهدد الأخبار التي وردت عنها في المراجع العربية

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٨٤ .

(٢) سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١١٥ - ١٢٢ .

(٣) المختصر في أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٤) المعارف : ص ٣١٤ - ٣١٦ .

(٥) مروج الذهب ومادن الجواهر : ج ١ ص ٢٠ - ٣٢ .

واليونانية والسريانية ، فظهر له أن ملوكها الذين عرفهم الروم لا يتجاوز عددهم عشرة ملوك ، حكم أولهم في آخر القرن الخامس للميلاد ، وآخرهم عند ظهور الإسلام ، وبذلك لا تتجاوز مدة حكمهم قرناً وبعض القرن^(١)

رأى الغساسنة تحت تأثير ما بينهم وبين البيزنطيين من علاقات أن يعتنوا النصرانية ، غير أنهم لم يتبعوا المذهب الملكاني - مذهب الدولة الرومانية الشرقية - بل اعتنقوا المسيحية على المذهب المنوفستي السائد في البلاد السورية^(٢) .

كان من أعظم أمراء الغساسنة الحارث بن جبلة (٥٢٩ - ٥٦٩ م) . وقد سطر الامبراطور Justinian سلطته على جميع القبائل العربية في بلاد الشام ، كما أنعم عليه بلقب Patricus and phlarch وهو أعلى رتبة بعد لقب الامبراطور نفسه^(٣)

قضى الحارث أكثر أيام ملكه يقاتل في سبيل بيزنطة ، ويدأب على خدمه مصالحها ، فاشترك معها في قمع ثورة السامريين ، كما حارب المندر بن ماء السماء أمير الحيرة لادعائه ملكية الطريق الممتد جنوب تدمر^(٤) ، وانتصر كسرى لأمير الحيرة وأوعز إليه سراً أن يتوغل في غزو سورية فأجابه إلى طلبه ، وقامت الحرب بسبب ذلك بين الحيرة ودولة الغساسنة . ثم تقدم كسرى وحليفه المندر في أراضي سورية وآسيا الصغرى وأوشكا على فتح القسطنطينية ولما علم بذلك الامبراطور البيزنطي ، استنجد بالحارث بن جبلة وطلب منه أن يعاون قائده بليزاريوس في صد الفرس والمناذرة فسار زاريوس على رأس الجيش

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٨٦ .

(٢) فيليب حتى ج ١ ص ٣٠

(٣) Hitti , History of the Arabs P . 76

(٤) تقع تدمر في واحة بأواسط بادية الشام على طريق التجارة الممتد بين جنوب جزيرة العرب وشمالها .

الروماني قاصداً بلاد الفرس ، وخلف الحارث ورائه فلما وُصل إلى كسرى نبأ تقدم بليزاريوس في بلاده ، أسرع في الرجوع إليها واضطرت حملة بليزاريوس الى العودة من حيث أتت^(١) .

لم يمض على هذه الغزوة زمن طويل حتى عاد الأميران العربيان الحارث بن جبلة والمندر بن ماء السماء الى القتال ، فاشتبك في حرب طال أمدها وانتهت بواقعة أدت إلى دخول قنسرين^(٢) في حوزة الحارث بن جبلة بعد قتل المندر بن ماء السماء ، وتعرف هذه الواقعة بيوم عين أباغ^(٣) .

ذهب الحارث بن جبلة في أواخر عهده سنة ٥٦٣م الى القسطنطينية لزيارة الامبراطور جستنيان ، وللاتفاق مع حكومته على أن يخلفه في الحكم ابنه المندر ، فاحتفل امبراطور الروم باستقباله . وكانت هذه هي المرة الأولى التي زار فيها الحارث عاصمة البيزنطيين ، فدهش مما رآه فيها من مظاهر العظمة والأبهة ، كما أعجبت حاشية قصر الروم بمراى ذلك الشيخ العربي ، غبر أن الحارث لم يطب له المقام بها لبعدها عما ألفه من طلاقة البادية وبساطة المعيشة فيها ومن ثم عاد مسرعاً إلى بلاد الشام^(٤) .

استطاع الحارث بن جبلة أثناء إقامته في القسطنطينية أن يظفر بتعيين يعقوب البردعي أسقفاً على الكنيسة السورية . وكان يعقوب هذا متحمساً في نشر مذهبه حتى أن الكنيسة المنوفستية السورية قد عرفت بعده باسم اليعقوبية^(٥) .

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٩٢ .

(٢) تقع بالقرب من حمص

(٣) واد وراء الأنبار على طريق الفرات الى الشام .

(٤) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٩٣ .

(٥) فيليب حني : ج ١ ص ١٠٤

لما توفي الحارث خلفه ابنه المنذر ، ولم يكد يستتب له الأمر حتى اشتبك في حرب مع قابوس بن المنذر ملك الحيرة لإغارته على أراضى العساسنة فأوقع به الهزيمة

وقد حذ المنذر حذو أبيه في مناصرة المذهب المنوفستي فأدى ذلك إلى الإقلال من عطف بيزنطة عليه . وكانت تؤيد المذهب الملكاني . وقد أثارت تلك السياسة الغساسنة ، ثم هدد عرب الحيرة تخوم الروم ، مما اضطرهم إلى استرضاء الأمير الغساني ، فدعاه الامبراطور البيزنطي لزيارة القسطنطينية ، فرحب المنذر بهذه الدعوة سنة ٥١٠ م واستقبله الإمبراطور II . Tiberius استقبالا حافلا ، وأنعم عليه بالتاج ، ولذلك سماه بعض مؤرخي العرب « المنذر ملك العرب »

وعلى الرغم من أن المنذر بن الحارث قد غزا في سنة ٥٨٠ م عرب الحيرة وانتصر عليهم ، فإن عمله هذا لم يمح ما أحاط به من شبهات الخيانة وعدم ولائه للروم ، فتنكر الامبراطور له ودبر مؤامرة للتخلص منه ، فألقى القبض عليه وأرسل مخفورا إلى القسطنطينية ، ثم نفى منها إلى صقلية حيث توفي سنة ٥٨٢^(١).

لم تكتف الحكومة البيزنطية بالقبض على المنذر ونفيه ، بل اتعت هذا العمل بقطع الإتاوة التي كانت تعطيها سنوياً لدولة الغساسنة ، فكان ذلك سببا لخروج أبناء المنذر الأربعة على البيزنطيين بزعامة أخيهم الأكبر النعمان ابن المنذر الغساني ، الذي ساءت علاقته بالروم بعد أن شن الغارة على أراضهم ، فقبضوا عليه وأخذوه أسيراً إلى القسطنطينية^(٢) .

سادت الفوضى بلاد الغساسنة بعد أسر النعمان وتفككت عرى الوحدة

(١) فيليب حلي : تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) حلي : تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٥ .

في بادية الشام . فصارت كل قبيلة تختار رئيسها ، وقد انتفع الفرس بتلك الفوضى السائدة في بلاد الشام ، فأغار كسرى أبرويز عليها واستولى على بيت المقدس ودمشق (٦١٣ - ٦١٤ م) وبذلك ضعف أمر الغساسنة .

على أن الروم مالبثوا أن نجحوا في استرداد بلاد الشام من الفرس سنة ٦٢٠ م وظهر من الغسانيين إذ ذاك جبلة بن الأيهم ، ويعد آخر أمراء البيت الغساني . وقد اشترك مع الروم في واقعة اليرموك^(١) التي كان النصر فيها حليف المسلمين من العرب .

٣ - مدن الحجاز

لم يكن هناك ببلاد الحجاز قبل الإسلام ما يسمى بالدولة العربية ، وإنما قام بها مدن لكل منها نظام سياسي ، ومن أشهرها مكة ، ويثرب ، والطائف .

مكة .

تعد مكة من أهم حواضر الحجاز وهي عبارة عن قرية في واد ضيق غير ذي زرع تحيط به الجبال من جميع الجهات ، ويروى أنها سميت بذلك لقله مائها أخذاً من قولهم أمتك الفصيل ضرع أمه (أى امتصه) ، وقيل لأنها تمسك الذنوب بمعنى أنها تذهب بها ويقال لها أيضاً « بكة » بإبدال الميم باء موحدة ، وقد ورد ذكرها بهذه الصورة في القرآن الكريم في قوله تعالى ، (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً) ، وقيل مكة بالميم معناه الحرم كله ، وبكة المسجد خاصة^(٢) .

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٥

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ١٣٤ - ١٣٥ ، الألوسى : بلوغ الأرب في احوال .

العرب ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

كان العمالقة أول من سكن مكة ، ثم خلفتهم قبيلة جرهم اليمنية ، وفي عهدها قدم إلى مكة سيدنا إبراهيم مع زوجته هاجر وابنه اسماعيل ، وأصبح لها فيها بعد السيادة على البيت الحرام ، غير أن ولاتها لم يراعوا حرمة هذا البيت فكثرت في أيامهم البغى والفساد ، واغتصب كثير منهم مال الكعبة الذي كان يهدى إليها . ويقال إن ماء زمزم نضب في عهدهم ، كما أن البشر نفسها زالت معالمها .

وبينما كانت جرهم مقيمة بمكة تفرق عرب اليمن بسبب سيل العرم . فهاجر ثعلبة بن عمرو بن عامر إلى مكة هو وفومه ، فرفضت جرهم أن تسمح له بالإقامة في هذه المدينة واشتبكت معه في قتال دام ثلاثة أيام انتهى الأمر فيه بهزيمتها .

ظل ثعلبة بن عمرو مقيماً بمكة حتى أصابته الحمى ، فرحل إلى الشام وولى أمر مكة وحجابه الكعبة ابن أخيه وسبيعة بن حارثة بن عمرو وهو لحي ، وعرف قومه بخزاعة . وقد انحاز إليهم بنو إسماعيل بن إبراهيم - وكانوا قد اعتزلوا الحرب التي دارت بين جرهم وثلعة^(١) .

آلت ولاية مكة وحجابه الكعبة إلى عمرو بن لحي بعد وفاة أبيه وعلت مكانته بين العرب إلى حد أن قوله أصبح ديناً لا يخالف . وكان عمرو بن لحي أول من أطعم الحجاج بمكة لحوم الإبل على الثريد ، كما قام بنصب الأصنام حول الكعبة وأحل عبادة الأوثان محل الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام^(٢) .

ظلت خزاعة تلي البيت الحرام بمكة نحواً من ثلاثمائة سنة وكانت قريش إذ ذاك متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قصي بن كلاب ووجد بين بطونها .

(١) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٤٢ - ٥١ .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٥٤ ، الفلشندي : صبح الأغشى ج ٤ ص ٢٦٢ .

ويذكر بعض المؤرخين عن طموح قصي إلى نصرة قريش وحرصه على تقلدها الرئاسة بمكة أن أباه كلاباً توفي وتركه صغيراً مع أمه فاطمة بنت عمرو التي تزوجت ربيعة بن حرام - وهو من قضاة - ، ثم رحلت مع زوجها إلى أرض قضاة ببلاد الشام وأخذت بصحبته ابنها قصي فلما بلغ قصي أشده تحدث إليه رجل من قضاة بقوله : « ألا تلحق بنسبك وقومك فإنك لست منا » فاستاء قصي من هذا الرجل وأخبر أمه بذلك الحديث ، فقالت له : « والله أنت يا بني خير منه وأكرم ، أنت ابن كلاب بن مرة وقومك عند البيت الحرام وما حوله » فصمم قصي على الخروج إلى قومه واللحاق بهم وكره الغربية في أرض قضاة ، ومالبت أن سار إلى مكة ، وأقام بها وتزوج ابنة زعيم خزاعة حليل بن حبشه بن سلول الذي كان يلي إذ ذاك أمر الكعبة ومكة ، وظل قصي مقبياً معه حتى أنجب أولاده عبدالدار وعبد مناف وعبد العزى

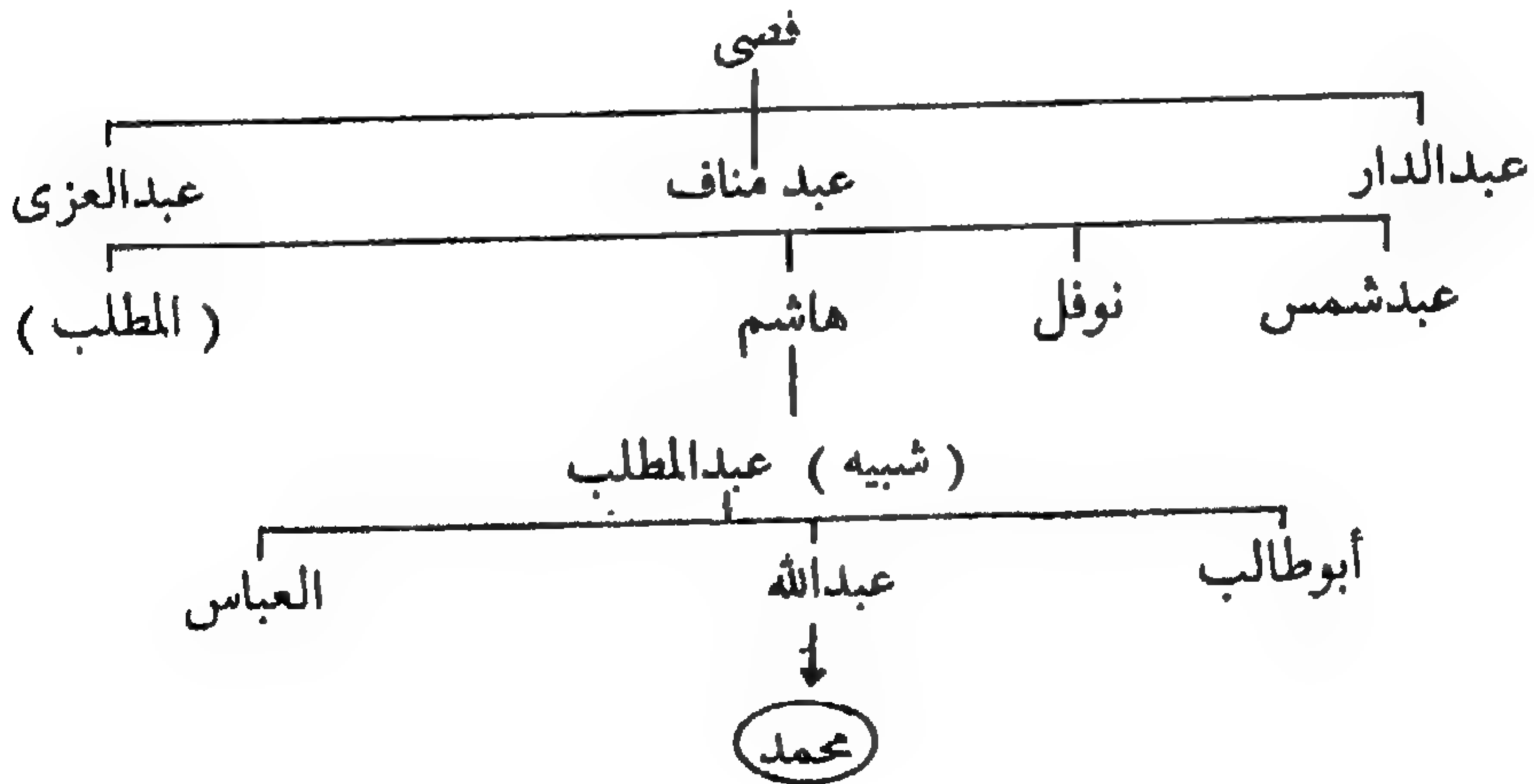
كان حليل يثق بابنته زوجة قصي ، فإذا ما أصابه المرض ، سلمها مفتاح الكعبة لتقوم بشئونها بدلا منه ، وكانت بدورها تعطى المفتاح لزوجها حين يتعذر عليها الخروج من بيتها بسبب المرض .

ولما شعر زعيم خزاعة بدنو أجله ، دعا قصياً وعهد إليه بولاية البيت الحرام . كما سلم إليه مفتاح الكعبة ، غير أن قبيلة خزاعة مالبت بعد وفاه زعيمها أن حالت بين قصي وبين الإشراف على شئون البيت الحرام ، وأخذت مفتاح الكعبة من زوجته ، فبعث قصي إلى قريش يطلب منها مؤازرته ضد خزاعة ، فلبى القرشيون دعوته ، كما سارع القضاة إلى نجدته حين أرسل إليهم يدعوهم لمصرته ويخبرهم عما قامت به خزاعة من الحيلولة بينه وبين ولاية البيت الحرام . وخرج قصي بمن انضم إليه من قريش وقضاة لمحاربة خزاعة بمضى ؛ فدار بين الفريقين قتال شديد ، ثم تداعوا إلى الصلح بعد أن تداخلت قبائل العرب بينهم ، واتفقوا ، على أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام ٤٣

اختلفوا . ففضى بينهم ذلك الرجل بأن قصياً أولى بحُجّابة الكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبني بكر موضوع ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة وقضاعة ففيه الدية ، كما حكم لخزاعة بأن تظل في مساكنها بمكة . وبذلك أصبح قصى ملكاً على قومه وأهل بيته ، فكان أول من ظفر بالملك ولد كعب بن لؤى وساعد على رفع مكانة قريش بين العرب وازدياد نفوذها بمكة^(١) .

قام قصى بتقسيم مكة إلى رباع ، وزعها بين قومه ، وأبقى لكل فريق منهم منازلهم التي استقروا بها . كما أنشأ دار الندوة ، وفيها كان يجتمع كبار القرشيين تحت رئاسته للتداول في شئوهم ، ولم يكن يدخلها من قريش إلا من بلغ الأربعين من عمره ، ثم تصدى لإطعام الحجاج وسقايتهم على اعتبار أنهم صيوف الله وروار بيته ، وفرض على قريش خراجاً سنوياً يؤدونه إليه لينفق منه على إطعام فقراء الحجاج .



(١) الأزرقي ، أخبار مكة ج ١ ص ٥٦ - ٦٠

كان من أشهر أبناء قصي : عبدالدار وعبدمناف وعبدالعزى . وقد ارتفع شأن عبدمناف في حياة أبيه ؛ وبلغ من الشرف درجة عظيمة ، فرأى قصي قبيل وفاته أن يخلفه ابنه الأكبر عبدالدار في رئاسة الندوة والحجابة واللواء والسقاية والرفادة حتى يصبح موضع تقدير قومه . فلما توفى قصي قام ابنه عبدالدار بهذه الأمور ، وتولاها من بعده أبنائه ، فنازعهم فيها أبناء عبدمناف بن قصي : عبدشمس وهاشم والمطلب ونوفل الذين رأوا في انفسهم من الناهة والفضل ما جعلهم يشعرون بأنهم أحق من بنى عبدالدار بولاية الأمور في مكة وأجمعوا على أخذ ما بأيديهم من الوظائف .

وقد أدى ذلك إلى تفرق القرشيين ؛ فمال فريق منهم الى بنى عبد مناف بن قصي ، كما رأى فريق آخر ألا يتزع من بنى عبدالدار بن قصي ما أسند قصي إليهم . وعقد كل فريق منهم خلفاً مؤكداً على ألا يتخاذلوا ؛ فأحضر بنو عبدمناف ومن تابعهم من قريش وهم : بنو الحارث بن فهر ، واسد بن عبدالعزى ، وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة جفنة مملوءة طيباً ، ثم عمسوا أيديهم فيها وتعهدوا هم وجلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسموا المطيين .

أما بنو عبدالدار ، فقد أخرجوا ومن انضم إليهم من قريش وهم مخزوم ابن يقظة وجمح وسهم وعدى بن كعب ، جفنة مملوءة دماً وفعلوا ما فعله بنو عبدمناف عند الكعبة ، وتعهدوا على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ، وسموا الأحلاف

على أن المطيين والأحلاف مالبثوا أن تداعوا إلى الصلح واتفقوا على أن يعطوا بنى عبدمناف بن قصي السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء ورئاسة الندوة لبنى عبدالدار بن قصي^(١) .

(١) ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٤ ، ابن الأثير ج ١ ص ١٦٠ .

ورعت الوظائف التي أخذها بنو عبد مناف* بن قصي بين هاشم وأخيه عبد شمس ، فولى هاشم السقاية والرفادة ، أما القيادة فوليها عبد شمس وأبناءؤه من بعده^(١) . وكان هاشم بن عبد مناف يطعم الحجاج في كل موسم بما يجمعه من قريش من الأموال . ولما أصاب الناس في مكة جذب شديد ، خرج هاشم إلى الشام واشترى بما اجتمع من ماله دقيقاً وأتى به إلى مكة وذبح الذبائح وصار يهشم الخبز لقومه ؛ فسمى هاشماً . وكان اسمه قبل ذلك عمراً .

حدثت منافسة بين هاشم بن عبد مناف ، وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، سببها أن هاشماً كانت إليه الرفادة مع السقاية ، وعلت مكانته بين قريش لعنايته باطعام الحجاج وحمل الماء إليهم . وقد ساعده على ذلك ثروته ، فحسده أمية بن عبد شمس - وكان ذا مال - ورأى أن يطعم القرشيين كما يفعل هاشم ، لكنه عجز عن أداء هذا العمل ، فشمت به بعض القرشيين وعابوه ، فغضب أمية وازداد حقه على هاشم ودعاه إلى الاحتكام إلى رجل من العرب ليحكم أيهما أعز نفراً وأكثر فضلاً ، كما أعلن أن من تكون عليه الغلبة يخرج خمسين ناقة سود الحديق لتنحر ببطن مكة ، وأن يحلو عن مكة عشر سنين ، فحكم بينهما الكاهن الخزاعي بأن هاشماً سق أمية إلى المآثر ، وبذلك الحكم احتفظ هاشم بما ظفر به من شرف وفضل وأخذ الإبل من أمية ، فنحرها وأطعم لحمها من حضر إليه من القرشيين ، وخرج أمية إلى لشام وظل بها عشر سنين . وقد أدى ذلك الأمر إلى قيام أول عدواة بين بني هاشم وبني أمية .

لما توفي هاشم خلفه أخوه المطلب في إقامة الرفادة والسقاية ، وكان دا

(١) (الأرزقي : اخبار مكة ح' ٦٢ - ٦٣ .

شرف وفضل في قومه ، وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته وفيضه . وكان المطلب متآلفاً مع أخيه هاشم . وقد حافظ أبناؤهما على ذلك التآلف حتى قال النبي ﷺ : « لم يفترق هاشم والمطلب في جاهلية ولا إسلام » .

حلف المطلب في السقاية والرفادة ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم ، فعنى عناية فائقة في إقامتها مما كان سبباً في ازدياد محبة العرب له وعلو شأنه بينهم . فظل يسقى الحجاج ويطعمهم حتى توفي ، فقام بأمر السقاية والرفادة من بعده العباس بن عبدالمطلب . ولم يزل يتولاها حتى دخل رسول الله عليه وسلم مكة سنة ٨ هـ فأبقاها في يده .

كذلك وزعت بين بني عبدالدار ماخصهم من المناصب ؛ فقام عثمان ابن عبدالدار بالحجابه ، وتولى أخوه عبدمناف رئاسة دار الندوة . أما اللواء ، فكان في بني عبدالدار كلهم ، يليه منهم ذوو السن والشرف .

لم يزل بنو عثمان بن عبدالدار يلون الحجابه حتى كان فتح مكة ، فتولاها رسول الله من أيديهم وفتح الكعبة ودخلها ، وبعد أن خرج منها قال له العباس بن عبدالمطلب : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أعطنا الحجابه مع السقاية ، فأنزل الله على نبيه : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها^(١)) ، فاستدعى الرسول عثمان بن طلحة من بني عبدالدار ورد مفتاح الكعبة إليه ، وقال : « خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه ، واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم » ، فظلت حجابه الكعبة في بيته إلى اليوم^(٢) .

(١) سورة النساء آية ٥٧

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ١ - ٦٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٤ -

كان لقريش مركز كبير بين القبائل العربية من جراء سيادتهم على الكعبة كما علت مكانتها بين العرب لعقدتها حلف الفضول ، ذلك أن بعض قبائل قريش اجتمعت في دار عبدالله بن جدعان التيمي وتعاهدوا على أن ينصروا كل مظلوم بمكة سواء أكان من أهلها أو من سائر الناس ، وأن يكونوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وسمى هذا الحلف حلف الفضول لأنهم تحالفوا على رد الفضول إلى كل مقيم بمكة . وقد دخل في الحلف بنو هاشم والمطلب وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة ، ولم يشترك فيه بنو عبد شمس وبنو نوفل بن عبد مناف وشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

كذلك تمتعت قريش بمركز ممتاز بين العرب لاتساع متاجرها ، فكان تحارها يخرجون من مكة بتجارهم في قوافل عظيمة . فيذكر الطبري أن قافلة من هذه القوافل بلغت ألفاً وخمسمائة بعير . وكانوا يذهبون بتجارهم في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام ، وقد امتازت رحلاتهم التجارية بتمتعها بالأمن لأنهم أهل حرم الله وولاية بيته ، فلا يتعرض لهم الناس بسوء ، على حين كان غيرهم من العرب مهدداً بالاغارة عليهم .

وعد جنى القرشيون من تجارتهم ثروات كبيرة وأصبحوا في سعة من العيش حتى امتن الله عليهم^(٢) بذلك في قوله (لا يلا ف^(٣) قريش . إيلافهم . رحلة الشتاء والضيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)^(٤) .

ويقول الله تعالى : (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجيى إليه ثمرات كل شيء

(١) ابن هشام : ح ١ ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ح ٤ ص ٢١٤ .

(٣) الإيلاف : الأمان .

(٤) سورة قريش آية ١ .

رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون^(١).

كذلك أدى اشتغال القرشيين بالتجارة إلى ارتقاء معاملهم ، فاختلطوا بشعوب مختلفة وقفوا على كثير من مدنياتها وأحوالها الاجتماعية ، كما تعاملوا مع أمم أجنبية تتكلم بلغات تختلف عن لغتهم مما اضطرهم إلى تعلمها^(٢). وقد أتاح كل ذلك الفرصة أمام كثير من رجالهم لإظهار مواهبهم في الحروب والسياسة بعد ظهور الإسلام .

يثرب :

كانت يثرب من بين مدن الحجاز المتحضرة . وقد ورد ذكرها بهذه التسمية في القرآن الكريم في قوله تعالى تعالى في سورة الأحزاب آية ١٣ : (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا) . وهي تقع إلى الشمال من مكة في مستو من الأرض ، ويحدها من الشمال جبل أحد ، وتمتاز معظم أراضيها بخصوبة التربة^(٣). وكان لذلك أثره في انتشار الزراعة بها .

كان العماليق أول من سكن يثرب ، ثم تغلب عليهم بعض القبائل اليهودية واستوطنوا بها . يحدثنا صاحب الأغاني^(٤) عن هجرة اليهود إلى يثرب بقوله « كان ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية يقال لهم العماليق ، وكانوا قد تفرقوا في البلاد ، وكانوا أهل غزو وبغى شديد . . . وكان ملك الحجاز يقال له الأرقم ينزل ما بين تيماء وفدك . فبعث موسى بن عمران إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم ولا يستبقوا منهم أحداً ، فقدم هذا الجيش الحجاز وأظهرهم الله على العماليق » . فكان هذا بداية استيطان اليهود

(١) سورة القصص : آية ٥٧ .

(٢) أحمد أمين . فجو الإسلام ص ١٧ - ١٨ .

(٣) باقرت معجم البلدان ج ٧ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ والقلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٨٥ .

(٤) أبو الفرج الأصفهاني : ج ١٩ ص ٩٤ .

بيثرب^(١).

على أن هجرة اليهود إلى يثرب لم تظهر بشكل واضح إلا في القرنين الأول والثاني الميلاديين على أثر الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود بسوريا والتي انتهت بطردهم منها وتشتتهم في أنحاء متفرقة ، فهاجر منهم بنو النضير وبنو قريظة إلى شمال جزيرة العرب^(٢) ، وأقاموا بيثرب .

اختلط اليهود بالعرب المقيمين بيثرب وتأثروا بنظمهم الاجتماعية ، فعاشوا معيشة قبلية . وبلغ من تأثرهم بالعرب أن استحالَت أسماءهم إلى أسماء عربية ونبغ من بينهم بعض الشعراء كالسموئل بن عادية

كان لليهود أثر بعيد المدى في الحياة الاقتصادية بيثرب ، فقبضوا بأيديهم على الناحية المالية فيها وازدادت ثروتهم من وراء اشتغالهم بالتجارة وعنايتهم بمرافقها ، كما ركزوا اهتمامهم في فلاحه الأرض في ضيعاتهم الخاصة وبرعوا إلى جانب ذلك في الفنون الميكانيكية وصناعة الذهب وصناعة الأسلحة والآلات الزراعية^(٣) . وقد اشتهرت قبيلة بني قينقاع اليهودية بصفة خاصة بالصياغة حتى أن أحد أسواق يثرب عرف باسمهم^(٤) .

ظل بنو النضير وبنو قريظة مقيمين بيثرب حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج الوثنية^(٥) بسبب سيل العرم الذي خرب بلادهم ولم يزل هؤلاء العرب بها حتى هاجر إليها النبي ﷺ فأمنوا به ونصروه وسموا

(١) Margoliouth , The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam P . 59 -60

(٢) Margoliouth , The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam P 60

(٣) Lammens , Le Berceau de L'Islam . P 154

(٤) المقرئى امتاع الاسماع ج ١ ص ١٠٥ .

(٥) Margoliouth , The Relations between Arabs and Israelites

Prior to the Rise of Islam P — 60

(م ٤ - قيام الدولة العربية)

الأنصار^(١)



كانت العلاقة بين اليهود ، والأوس والخزرج حسنة أول الأمر فاشتركوا معهم في قوافلهم التجارية ، كما اشتغلوا بالزراعة في أرضهم . يقول السمهودي^(٢) عن العلاقات بين اليهود والأوس والخزرج : « أقامت الأوس والخزرج بالمدينة ووجدوا الأموال والأطام^(٣) والنخيل في أيدي اليهود ، ووجدوا العدد والقوة معهم فمكثوا ، ماشاء الله ، ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً ، يأمن به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به عن سواهم ، فتعاقدوا وتحالفوا وتعاملوا ، فلم يزالوا على ذلك طويلاً ، وصار للأوس مال وعدد ، فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم ، فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم » . ولما استبدت القبائل اليهودية بيثرب بالأوس والخزرج ، استنجدوا بالغساسنة ، فقدموا لنجدتهم أنفة من تنسلط اليهود على بني عمهم في يثرب^(٤).

كان الأوس والخزرج على وفاق في بداية عهدهم ، ثم وقعت بينهم حروب طويلة اشتركت فيها القبائل العربية ، وكان النصر في أغلب الأحيان محالفاً للخزرج حتى اضطرت الأوس أن تسعى إلى محالفة قريش لتكون عوناً لها على الخزرج . لكن قريشاً كانت أحرص من هاتين القبيلتين فلم ترد الدخول في حرب لاتعود عليها بفائدة ، لذلك نجد الأوس تعقد حلفاً مع بعض القبائل اليهودية بيثرب ، فحالفت بني قريظة وبني النضير .

(١) القلقشندی : للأند الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، ورقة ٤٩ .

(٢) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ ص ١٢٥

(٣) الأطام : جمع أطم وهي بيوت من حجارة .

(٤) القلقشندی : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٤ .

ولما بلغ الخزرج نبأ تحالف الأوس مع هاتين القبيلتين اليهوديتين أرادت أن تتأكد من أنهما لن يساعدا الأوس عليها ، فأرسلت إليهم تستوضح موقفهم ، فأخبرهم اليهود أنهم لا يرغبون في الحرب ، لكن الخزرج رغم ذلك قالت لليهود « أعطونا رهائن وإلا فلا نأمنكم » فأعطوهم أربعين غلاماً من بينهم ، ثم مالبت أن خيرتهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان ، فأثروا الخروج من ديارهم ، غير أن كعب بن أسد القرظي حملهم على العدول عن عزمهم مضحياً بالرهائن في سبيل بقائهم يثرب ، فقتل الخزرج الغلمان . وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر في نفوس اليهود ، فجاءوا بحلفهم مع الأوس واشتركوا معهم في محاربة الخزرج والتقى الفريقان ساعثاً^(١) ، حيث وقعت بينهما حرب عرفت بحرب فجار يثرب أو فجار الأوس والخزرج لقتل الغلمان ، انتهى الأمر فيها بانتصار الأوس ، ثم تصالح الفريقان واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور في يثرب ، وأ يكون عبدالله بن أبي^(٢) بن سلول الخزرجي والياً عليهم . وبينما كانوا يتأهبون لذلك هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب ، فخضع الجميع له وعدلوا عن تولية عبدالله بن أبي الذي اضطر إلى الدخول في الإسلام بعد أن اعتنقه قومه ، وصار على رأس المنافقين في المدينة وإليه يجتمعون^(٣).

الطائف :

كانت الطائف تسمى وجاً نسبة إلى وج بن عبدالحى أحد العمالقة الذين سكنوها ، وتقع على بعد اثني عشر فرسخاً شرقي مكة على مرتفع من الأرض ، لذلك أصبحت مصيفاً لأهل مكة ، وتمتاز بخصوبة تربتها حتى قيل إنها بقعة من الشام انتقلت إلى الحجاز ، كما اشتهرت ببساتينها وحدائقها

(١) من أعمال قريظة بيند .

(٢) أبي هو مالك بن الحرث بنعبيد ، واسم أم عبید سلول .

(٣) السهمودي ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٥

الرائعة^(١) التي كان يزرع بها كثير من الفواكه مما يشابه فواكه الشام ، وهي إلى جانب ذلك طيبة الهواء وبها مياه جارئة^(٢) .

وقد زاد موقع الطائف الطبيعي من أهميتها كمركز تجارى ، فيمر بها طريق القوافل الممتد من جنوب بلاد العرب إلى شمالها ، ومن العراق إلى اليمن . وكان هناك صلات قوية بين أهالى الطائف ومكة . فالأثرياء من قريش كان لهم عقار في الطائف ، كما أنهم كانوا يقرضون أهاليها ما يحتاجون إليه من مال ، فيحدثنا الأزرقى^(٣) أن العباس بن عبدالمطلب كان له كرم بالطائف ، وأنه كان يداين أهل البلد ويأخذ منهم الزبيب ويسقيه الحجاج في موسم الحج ، وفضلاً عن ذلك فإنه كان بين هاتين المدينتين علاقات تجارية .

استفاد أهالى الطائف من الزراعة والتجارة ، فزادت ثروتهم وصارت بلدهم تقرن بمكة ، فيقال المكيين والقريتين ، وهذه التسمية وردت في قوله تعالى في سورة الزخرف (آية ٣١) : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) .

كانت قبيلة ثقيف بالطائف ؛ ويروى المؤرخون في سبب إطلاق اسم ثقيف على هذه القبيلة . أن قسيماً بن منبه بن بكر بن هوازن لما رحل من وادى القرى إلى وج التى عرفت باسم الطائف قابل زعيمها عامر العدوانى ، وطلب منه أن يزوجه إحدى بناته ، فزوجه إياها وأنجب منها أولاداً ثم توفيت ، فتزوج أختها ، واستقر مقامه بهذا البلد وغرس بأرضه بعض العيدان التى أخذها من عجوز يهودية كان قد أقام عندها بوادى القرى ، فلما أثمرت العيدان ، قال أهالى وج : قاتله الله كيف ثقف عامراً حتى بلغ منه

(١) Lammens , Le Berceau de L'Islam . P.93

(٢) الفلندى صح الأعمش ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩

(٣) أخبار مكة ج ١ ص ٦٥

مابلغ ، وكيف ثقف هذه العيدان حتى جاء منها ما جاء ، فسمى ثقيفاً من يومئذ^(١) وتكاثر نسله وأصبحت قبيلته في سعة من العيش مما جعل أنظار من حولهم من العرب تتجه إليهم ، لذلك رأت ثقيف أن تبني سوراً يكون حصناً لهم وأطلقوا عليه الطائف لإطافته بهم ؛ ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف^(٢) .

كانت ثقيف تنقسم إلى طبقتين ، تمثل الأولى في بني مالك وتعرف الأخرى بالأحلاف ، فلما أثرى الأحلاف وكثرت خيلهم حموا^(٣) لبني مالك حمى من أرض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاستاء بنو نصر من ذلك وحاربوا الأحلاف ، وكان يتزعم بني نصر عفيف بن عوف بن عباد النصرى ثم خلفه اليربوعي . أما رئيس الأحلاف فهو مسعود بن معتب فلما قامت الحرب بين بني نصر والأحلاف ، انتهز هذه الفرصة بنو مالك - ورئيسهم جندب بن عوف - لبضعائن كانت بينهم وبين الأحلاف ، فحالفوا بني يربوع ضد الأحلاف . ولما علم الأحلاف بذلك اجتمعوا وقاتلوا بني مالك وحلفاءهم من بني نصر في يوم الطائف . وانتهى الأمر في هذه المعركة بانتصار الأحلاف وإخراج بني مالك إلى واد وراء الطائف ، وقتل من بني مالك وبني يربوع عدد كبير ، ثم رأى بنو مالك إزاء القتال المستمر بينهم وبين الأحلاف أن يسعوا إلى محالفة بعض القبائل ، فحالفوا دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف ، كما خرج زعيم الأحلاف مسعود بن معتب إلى المدينة يتغنى الحلف من الأنصار

(١) البكري : معجم ما استعجم ج ١ ص ٧٦ - ٧٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١٢ -

١٣

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ١٤

(٣) يقال حمى فلان الأرض يحمها أي جعل للناس لا تقترب إليها . والحمى ، موضع فيه كلا يحس من الناس ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحس على الناس حمى كما كانوا في الجاهلية يفعلون (حاشية رقم ١ ، الإسلام السياسي ج ١ ص ٢٧٣) .

على بنى مالك . فلما قدم على أحيحة بن الجلاح الأوسى ، نصحه بمصالحة بنى مالك ، وروده بسلاح ومؤن كما أعطاه غلاما يجيد بناء الأطم بالمدينة ، فبنى لمسعود بن معتب أطماً . فكان أول أظم بنى بالطائف ، ثم تلاه بناء أطم أخرى فيما بعد واستفرت الأمور منذ ذلك الوقت بنى مالك والأحلاف ولم تقم بينهم حرب تسنحو الذكر^(١) .

٤ - الحياة الدينية عند العرب

شاعت الوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام ، وقد قامت هذه الوثنية على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة كالأرض والسماء والنجوم والكواكب . ولما كان العرب يعتقدون بوقوعهم في حياتهم تحت تأثيرها ، لذلك حرصوا على إرضائها اجتلاباً لخيرها . فاتخذوا لها أشكالاً مختلفة من بيوت وأشجار وأحجار مصورة تمثل إنساناً أو حيواناً وأخرى غير مصورة . وصاروا ينظرون إليها على أنها رمز القوة الطبيعية ، ومن ثم أصبحت معبودات لهم . وكانوا يطوفون حولها ويتاجرون عندها ويعتبرون المكان الذى فيه المعبود حرماً ، يحرم الإتيان فيه بأشياء معينة .

وكان البدو يؤدون الطقوس الدينية لمعبوداتهم تحت تأثير التقاليد الموروثة في قبائلهم ، دون أن يعرفوا حقيقتها ، كما أنهم كانوا قليلي الاهتمام بأمور دينهم وليس هناك ما يدل على وجود شعور ديني عميق لديهم .

، قد قيل إن عمرو بن لحي الخزاعى لما ساد قومه بمكة وأصبحت له السيادة على الكعبة ، سار إلى مدينة البلقاء بالشام على أثر مرض أصابه ، فرأى أهلها يعبدون الأصنام : فقال لهم : ماهذه الأوثان التى أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها ، نستنصرها فننصر ، ونستسقى بها فنسقى ، فقال : ألا تعطون منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب عند بيت الله الذى تفد

(١) ابن الأثير : ح ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤

إليه العرب ، فأعطوه صنما ؛ يقال له هبل ، فقدم به إلى مكة فوضعه عند الكعبة^(١).

كان بغض القبائل يعبدون أصناما معينة ، عرفت بالأصنام لانفرادهم بعبادتها ، منها ود ، سواع ، يغوث ، يعوق ، نسر ، فاتخذت قبيلة كلب وأحياء قضاة ودا بدومة الحنديل . وكان تمثالا لرجل بتقلد سيفاً وبين يديه حربة . واتخذت همدان يعوق بقرية خيوان إلى الشمال من صنعاء ، أما نسر فكان لحمير ، وهو صنم مقام بصنعاء^(٢).

وكان يعبد هذه الأصنام الخمسة قوم نوح ، وقد ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز بقوله . (قال نوح رب إنهم عصوا واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً . ومكروا مكرا كئيباً . وقالوا لا تذرن الهتك ولا تذرن دنا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً)^(٣).

أما الأصنام العامة فكان معظمها كثير من الفسائل : ومنها اللات والعزى ومناة . وقد ورد ذكرها في القرآن في سورة النجم (آية ١٩) : (افرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . إذا قسمة ضيزى) .

وكانت اللات صخرة مربعة بالطائف عليها بناء ولها حي وحرم يقصده العرب ويقدمون لها الذبائح . وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف^(٤).

(١) البعقوبى : تاريخ البعقوبى ج ١ ص ٢١١ .

(٢) البعقوبى : تاريخ البعقوبى ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) سورة نوح آية ٢١ .

(٤) الأبرشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ج ٢ ص ١٧ فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١

أما العزى ، فكانت عبارة عن شجرة بوادى نخلة إلى الشرق من مكة . وكانت من أعظم الأصنام عند القرشيين ، فكانوا يزورونها ويقدمون لها الذبائح . كما خصصوا لها موضعاً على مثال حرم الكعبة^(١).

وكانت مناة عبارة عن حجر أسود ، أقيم له معبد فى قديد على الطريق بين مكة ويثرب . وقد عظمها العرب وشاعت عبادتها بصفة خاصة عند الأوس والخزرج وغسان وخزاعة^(٢) ، ولم تزل على ذلك حتى خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة لفتح مكة سنة ٨ هـ ، فعهد إلى على بن أبى طالب بهدمها .

وقد اتخذت قريش « هبل »^(٣) وهو صنم على صورة إنسان ، كما اتخذوا أيضاً « أسافاً » و « نائلة » ، ووضعوا كل واحدة منها على ركن من أركان بيت الله الحرام ؛ فكان الطائف إذ طاف بدأ بأساف فقبله وختم طوافه به . كذلك نصب القرشيون على جبل الصفا صنماً يقال له « مجاور الريح » وعلى جبل المروة صنماً يقال له « مطعم الطير » ؛ فكانت العرب إذا حجت البيت سألت قريشاً عن تلك الأصنام ، فيقولون لهم : نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى^(٤).

لم يتخذ العرب جميعهم الوثنية ديناً قبل الإسلام بل عبد بعضهم النجوم والكواكب . وقد ظهرت هذه الديانة فى حران وبلاد البحرين ، كما انتشرت فى البادية ، ويروى أنه كان بمكة رجل يسمى « أبوكبشة » عبد نجماً اسمه الشعري ودعا قريشاً إلى عبادته . وقد ذاعت هذه العبادة بين بعض قبائل لخم وقريش وخزاعة . ولما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا قريشاً

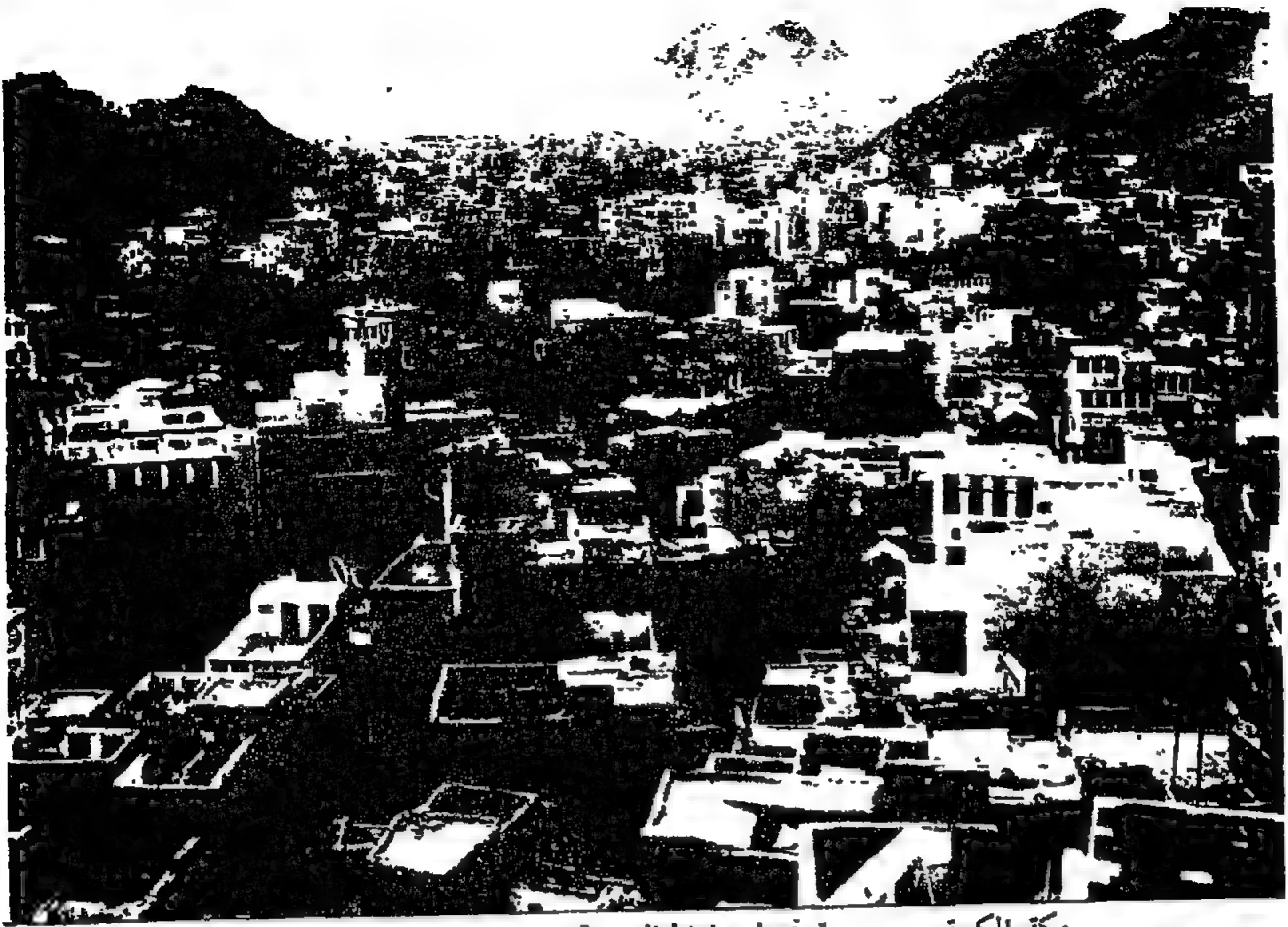
(١) الكلبي : كتاب الأصنام ص ١٨ - ١٩ .

(٢) الكلبي : كتاب الأصنام ص ١٣ .

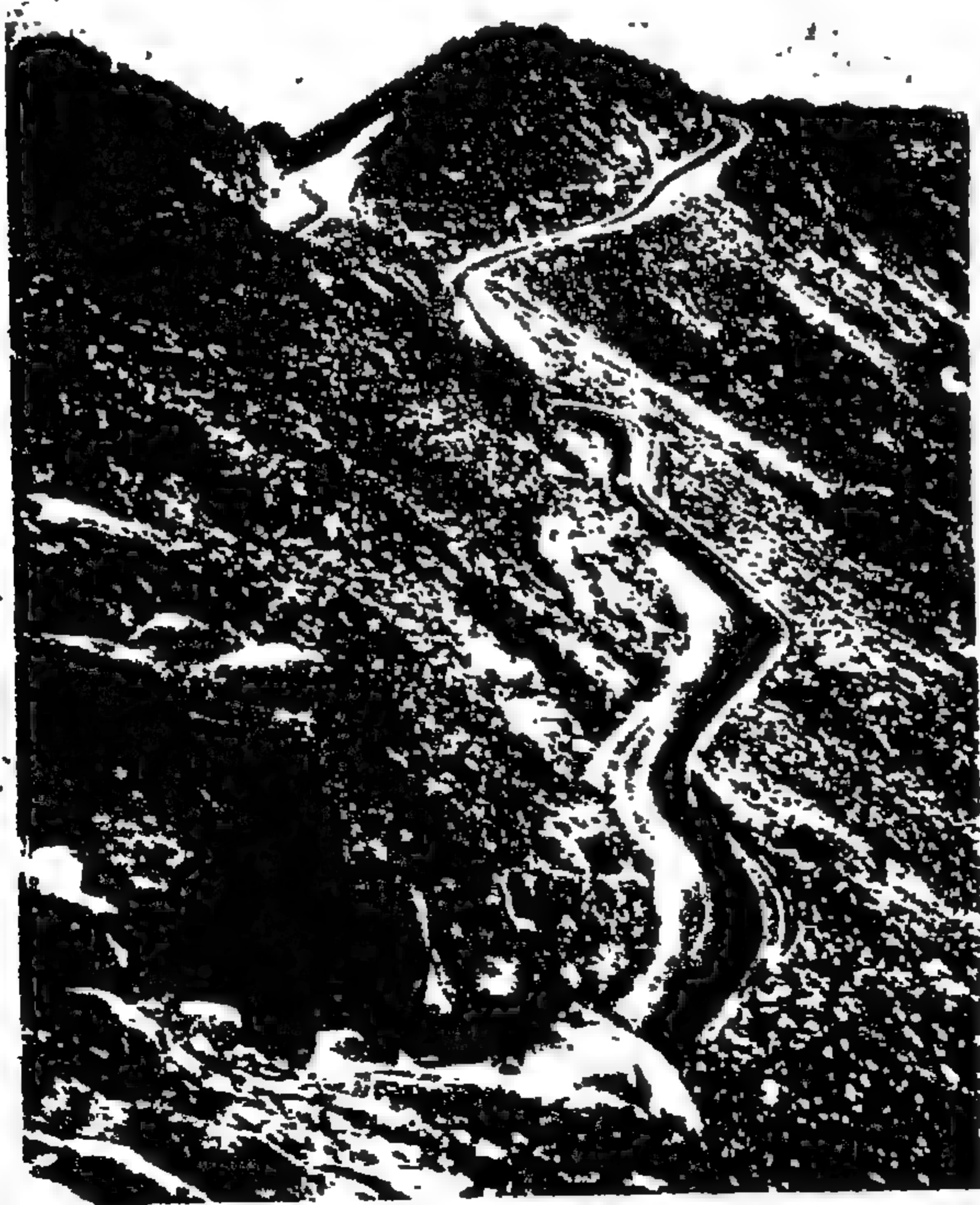
(٣) هبل : كلمة آرامية معناها البخار والروح (فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص

١٣٩)

(٤) البعقوي : تاريخ البعقوي ج ١ ص ١٢٢ .



مكة المكرمة . مدينة تحيط بها الجبال . وقد امتد عمرائها فيما وراء ذلك



الطريق إلى الطائف بعد مهبأ عبر الجبال

إلى عبادة الله أطلقوا عليه ابن أبي كبشة لأنه خالفهم في عبادتهم كما خالفهم من قبل أبو كبشة في عبادة الشعري التي عتاها الله بقوله « وأنه هورب الشعري »^(١) وخصها بالذكر لانتشار عبادتها بين القبائل العربية^(٢).

دلك مريب الحيرة عبادة القمر^(٣) وقد اشار الله تعالى إلى تلك العبادة بقوله : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم تعبدون)^(٤).

كما شاع في بلاد اليمن عبادة الشمس يدلنا على ذلك ماورد في القرآن الكريم عن ملكة سبا : (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزير لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون)^(٥).

ومن الديانات التي اعتنقها بعض العرب ، الزرادشتية . وقد عرفت بذلك نسبة إلى زردشت Zoroaster - أحد فلاسفة الفرس - وهي ديانة رمزية تتخيل أن في العالم : قوتين تتنازعان هما قوة الخير وقوة الشر^(٦).

وقد اتخذ أتباع هذه الديانة النار رمزاً لعبادتهم كسائر الفرق المجوسية ، فكانوا يعبدون النار لاعلى أنها العنصر المحرق ، بل على أساس أنها مصدر النور الذي هو أساس الخير ، وصارت لهم أماكن توقد فيها النار باستمرار تعرف بمعابد النار .

وقد ظهرت فرق المجوسية ومن بينها الزرادشتية في بلاد الفرس ، ومنها

١ : ره اسم . . .

(١) الألوسي : بلوغ الأرب في احوال العرب ج ١ ص ٢٦٢

(٣) عبيد الحرة ص ٣٠

(٤) سورة فصلت آيه ٢٧

(٥) سورة النحل آية ٢٣

(٦) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٧٧ ، احمد امين : فخر الإسلام ص ١٢٢ - ١٢٤

انتقلت الى شرق بلاد العرب ، يقول ابن قتيبة^(١) عند كلامه على أديان العرب في الجاهلية : « وكانت المجوسية في تميم منهم زرارمة وحاجب بن زارمة . . وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة » .

كان هناك بجانب هذه الديانات في بلاد العرب : اليهودية ، والنصرانية ؛ فانتشرت اليهودية في خيبر ويثرب ووادي القرى وفدك وتيما ، وهذه النواحي من أحسن واحات الجزء الغربي من جزيرة العرب ، وتسيطر على طرق مكة الممتدة إلى سوريا^(٢) ، كما دخلت هذه الديانة بلاد اليمن على يد أسعد أبوكرب أحد ملوك حمير^(٣) وذاعت بين كثير من أهلها . بل تعصب لها ذو نواس بعد أن آل إليه ملك حمير في أوائل القرن السادس الميلادي ، فلجأ إلى العنف والشدة في سبيل حمل المسيحيين من أهل نجران على اعتناقها^(٤) . كذلك ظهرت اليهودية في بني كنانة وبني الحارث بن كعب ، ولعلها وصلت إليهم من مجاورة اليهود لهم في يثرب وخيبر^(٥) .

نشر اليهود في البلاد التي نزلوها بجزيرة العرب تعاليم التوراة من بعث وحساب كما كان لهم أثر كبير في اللغة العربية ؛ فأدخلوا عليها كلمات كثيرة لم يكن يعرفها العرب ، ومصطلحات دينية لم يكن لهم بها علم^(٦) .

كذلك دخلت المسيحية بلاد العرب ، فانتشرت بين الغساسنة ، كما بان بها معظم أهالي الحيرة^(٧) . وقد أنشأ نصارى الحيرة البيعة والأديرة ؛ ومن أشهرها : دير هند الكبرى - أم عمرو بن المنذر ، ودير هند

(١) كتاب المعارف .

(٢) Lammens . L'Arabie Occidentale avant l'Empire P 54 .

(٣) ابن خلدون : ج ١ ص ٥٣ .

(٤) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٢٧ .

(٥) الألويسي : بلوغ الأرب في أحوال العرب ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٦) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٣٠ .

(٧) غنيم : الحيرة ص ٣٠ - ٣١ .

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام ٦١

الصغرى^(١). وكان النعمان الثالث (الملقب بأبي قابوس بن المنذر الرابع) ملك الحيرة يخرج إلى هذين الديرين في كل عيد .

يقول البكري^(٢) : « كان النعمان يركب في كل عيد ومعه أهل بيته عليهم حلل الديباج المذهب ، وعلى رءوسهم أكاليل الذهب ، وفي أوساطهم الزنابير المفضضة وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان ؛ فإذا قضوا صلواتهم انصرفوا إلى مستشفة في النجف وكنيسة دير هند الكبرى ودير هند الصغرى وغيرهما من الديارات . »

كان للمسيحية أيضا أتباع كثيرون في جنوب جزيرة العرب ، فقد تسربت إليها مبادئ هذه الديانة على يد بعض الرسل السوريين ، فأوفد الإمبراطور Constantine سنة ٣٥٦م أول سفارة مسيحية إلى الجنوب برئاسة ثيوفلس . وكان من أهم البواعث التي حلت الإمبراطور البيزنطي على إنفاذ هذه السفارة التنافس بين الفرس والروم على توطيد نفوذهم في جنوب جزيرة العرب^(٣). وقد نجح ثيوفلس في إنشاء ثلاث كنائس . منها كنيسة بظفار وأخرى بعدن^(٤).

كانت نجران أهم موطن للمسيحية في جنوب بلاد العرب ، فقد نقل إليها هذه الديانة على المذهب المنوفستي رجل ورع من سوريا اسمه فيميون حوالي سنة ٥٠٠م^(٥)، كما أسس بها كنيسة المنوفستية^(٦)، وكان بهذه المدينة بيعة

(١) جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ص ٢٠ .

(٢) معجم ما استعجم . ج ١ ص ٣١٦ .

(٣) Hitti , History of the Arabs P . 61

(٤) Margoliouth . The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam

P . 63

(٥) Hitti , History of the Arabs P . 63.

(٦) Phillby , The Background of Islam p . 112

بناها بنو عبدالدار بن الديان الحارثي على مثال الكعبة وسموها كعبة نجران^(١).

وكان يتولى شئون نجران رؤساء ثلاثة : السيد والعاقب والأسقف . فالسيد يعهد إليه تنظيم القوافل ووسائل النقل وإدارة العلاقات الخارجية ، والعاقب كان يتحمل جزءاً كبيراً من المسئولية ، فعليه إدارة الأمور الداخلية الدنيوية^(٢) . أما الأسقف ، فضلاً عن إشرافه على المدارس الدينية التابعة لطائفته ، فإنه يشترك في أعمال الحكومة ، فلا تصدر أي قرار دون أخذ رآيه^(٣).

كذلك كانت بعض قبائل قريش تدين بالمسيحية . نحص بالذكر منها بني أسد بن عبد العزى - الذين شاركهم مواليتهم المعتقون معتقداتهم^(٤) - كما اعتنق هذه الديانة أيضاً بنو امرئ القيس بن زيد مناة من تميم ، وبنو تغلب من ربيعة وبعض قبائل قضاة^(٥).

وعلى الرغم من أن اليهودية والنصرانية لم تنتشر انتشاراً واسعاً في بلاد العرب فإنها أثرتا في الوثنية العربية تأثيراً كبيراً ، ويتجلى هذا التأثير في ظهور أفراد مستنيرين شكوا في هذه الوثنية فتركوها وتهدوا وتنصر البعض . واكتفى فريق ثالث بفعل الخير وتجنب الشر ، وأخذ هذا الفريق يبحث عن ديانة إبراهيم الخليل - وكان حنيفاً يوحد الله ويعبده - فلما اهتدوا إليها اعتنقوا هذه الديانة . ومن هؤلاء ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٣١ .

(٣) Lammens . Le Berceau de L'Islam . P . 252

(٤) Lammens . L'Arabie Occidentale avant L'Hégire P 37

(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢١٤ ، الألوسي : بلوغ الأرب في أحوال العرب ج ٢

وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العري الذي قال عنه ابن هشام^(١) ، « وأما زيد بن عمرو فوقف ولم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة ، وقال أعد رب إبراهيم » .

ومنهم أيضا : كعب بن لؤى بن غالب ، وهو أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يجمع فريشا ويطلب منهم التفكير في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ويذكرهم بالموت وأحواله واليوم الموعود وأحواله ، ويبشرهم بمبعث رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا من أوضح البراهين على تمسكه بدين إبراهيم عليه السلام وأخذه بالحنيفية^(٢)

وقد سمي هذا الفريق من العرب بالحقاء نسبة إلى لفظ حنفاء هم دبر إبراهيم عليه السلام الذي أشار إليه الله تعالى في هذه الآيات . (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الأفلج ، فلما رأى القمر بازعا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدينى لآكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت ، قال يا قوم إني برئ مما شركون ، إني وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)^(٣) .

وقال الله تعالى في سورة آل عمران ١٠٥ : (

(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنفا مسلما وما كان من المشركين) .

وقال الله تعالى في هذه السورة أيضا (آية ٩٥) :

(قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) .

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ٢٤٤

(٢) الألويسى : بلوغ الأرب في أحوال العرب ج ٢ ص ٣١١ .

(٣) سورة الأنعام : آيات رقم ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .

الباب الثاني

ظهور الدعوة الإسلامية

١- بعثة الرسول

٢- الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قريش منها

١ - بعثة الرسول

كان محمد من نخبة بني هاشم وأشرف العرب بدواً وحضراً ، وأفضلهم بيتاً . نشأ يتيماً ، فقد توفي أبوه عبدالله بن عبدالمطلب وهو حمل في بطن أمه آمنة بنت وهب ، ثم توفيت أمه وله من العمر ست سنين وثلاثة أشهر ، فكفله جده عبدالمطلب بن هاشم ، وكان يحمله ويتوسم فيه الخير ، ويدعه يجلس على فراشه ، ذلك أنه كان يفرش لعبدالمطلب بفناء الكعبة ، فلا يقرب أحد فراشه حتى يأتي رسول الله - وهو غلام - فيتخطى رقاب أعمامه ، فيقول لهم عبدالمطلب : دعوا ابني إن لابني هذا شأناً^(١).

لما مات جده ، كفله عمه أبوطالب بن عبدالمطلب وشمله برعايته وعطفه ، وخرج به إلى الشام في تجارة وهو في الثانية عشرة من عمره . فرأى أبوطالب ومن معه آيات نبوته مازاده حرصاً عليه ، وحين التقى به بحيرا الراهب في بلدة بصرى لمح فيه علامات النبوة وطلب من أبي طالب أن يرجع به لئلا تراه اليهود فيلحقون به شراً^(٢).

وعلى الرغم من صغر سن محمد في ذلك الوقت ، فإنه استفاد كثيراً من الرحلات التجارية التي خرج فيها مع عمه ، وظل يخرج بالتجارة إلى بلاد الشام واليمن ويأكل من ثمرة عمله وكسب يده حتى ذاع بين الناس حسن أخلاقه وأمانته . ولما سمعت به السيدة خديجة بنت خويلد التي كانت تدعى

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ٩٩ . تاريخ يعقوب ج ٢ ص ٨
(٢) المقرئى : إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ج ١ ص ٧ - ٨ .

في الجاهلية بالطاهرة ، عرضت عليه أن يخرج في تجارة فإلى الشام مع غلامها ميسرة . فرأى ميسرة من صدق حديثه وأمانته ويسر معاملته وعلو شأنه ما أعجبه ، فلما عاد إلى سيدته أخذ يمتدحه ويثنى عليه ، فرغبت خديجة في الزواج به لما رجته في ذلك من الخير ، فقبل الرسول أن يتزوجها بعد موافقة أعمامه .

عاش محمد مع السيدة خديجة على أتم وفاق ، ولم يفكر في الزواج بغيرها حتى توفيت ، لأنها كانت خير من عاونه في بداية حياته ، وقد تحدث الرسول عن ذلك بقوله : « آمنت بي حين كفر بي الناس وصدقتني ، حين كذبتني الناس ، واعطتني مالها حين حرمني الناس »^(١) .

كان الرسول يعتنق دين الحنيفية - وهو دين إبراهيم - الذي دان به كثيرون من العرب الذين تنبهت عقولهم إلى انحطاط الوثنية ، ويخلو بغار حراء^(٢) فيقيم فيه بعض الليالي ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود بالطعام ويعود ثانية إلى الغار ليقضي به ليالي أخرى يتحنث فيها^(٣) .

لما بلغ الرسول الأربعين من عمره ، نزل عليه الوحي وهو يتعبد بغار حراء يوم الاثنين ١٧ من رمضان ، وذلك أن جبريل عليه السلام أتاه ، فقال له : اقرأ ، قال : لست بقارئ ، فضمه إلى صدره ضمة قوية ، ثم أطلقه ، وقال له : اقرأ ، قال : لست بقارئ فقال له في المرة الثالثة : اقرأ (باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم)^(٤) فكانت هذه الآيات أول ما نزل من القرآن

(١) جاد المولى : محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل .

(٢) يشرف جبل حراء على مكة من شرقها ، ويرى البيت الحرام من أعلاه وفيه الغار الذي كان يتعبد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (القلقشندي : ج ٤ ص ٢٤٦) .

(٣) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٢ .

(٤) سورة العلق آية ١ - ٥ .



في أعلى جبل النور وأمام غار حراء



غار حراء بمكة المكرمة



جبل النور وعلى قمته غار حراء

لم يعرف الرسول في بادئ الأمر حقيقة الحالة التي شاهدها وهو يتعبد في غار حراء ، فعاد إلى زوجته خديجة وهو يرتجف وقال : قد خشيت على نفسي ؛ فهدأت من روعه وقالت : كلا أبشر فوالله لا تخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل^(١) وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر^(٢).

مكث الرسول فترة من الزمن بعد أن جاءه جبريل بغار حراء لا يرى شيئاً وفتر عنه الوحي ، فاغتم لذلك وصار يذهب إلى جبال مكة شوقاً إلى مشاهدة وحى الله إليه ، ثم ظهر له الملك الذي جاءه أولاً بين السماء والأرض وبشره أنه رسول الله حقاً ، فلما رآه تهب منه ورجع إلى داره وقال : دثروني ، دثروني ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر^(٣)) . فكانت الحالة الأولى التي رآها الرسول بغار حراء نبوة وإيحاء ، ثم أمره الله تعالى في هذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل ، فأخذ يفضي بالدعوة الإسلامية للمختصين به كزوجه خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة الكلبي ، ثم استجاب له أبوبكر عبدالله بن أبي قحافة القرشمي التيمي ، فأزره في الدعوة إلى دين الله وصدقه فيما جاء به ، فأسلم على يديه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، والزبير بن العوام ، وسعد ابن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وتلا هؤلاء بعض رجالات قريش كأبي عبيدة عامر بن الجراح ، والأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف - وكان النبي يستخفي في داره^(٤).

(١) الكل : العبء أو الثقل يتكلف الرجل حمله (حاشية رقم ٦ المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٣) .

(٢) النبهان : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ، ص ٣٩ .

(٣) سورة المدثر آية ١ - ٤ .

(٤) كانت تقع على جبل الصفا ، وقد أسلم فيها كثير من العرب .

من قريش^(١) - وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، وجعفر بن أبي طالب ، كما أسلم من غير القرشيين خباب بن الأرت من بني تميم ، وعبدالله بن جحش ، وصهيب مولى عبدالله بن جدعان وكثيرون غيرهم . كذلك استجاب لدعوة النبي نفر غير قليل من طبقة قريش الظواهر التي كانت تتألف من بطون قريش المستضعفة وحلفائها^(٢) .

ظل الرسول ثلاث سنين يدعو إلى الإسلام سراً كل من يثق فيه ويطمئن إلى استعدادة النفس لقبول مبادئه ، وكان يصلى هو وأتباعه خفية في شعاب مكة^(٣) إلى أن أمره الله بإظهار دينه فيما أنزل عليه من الآيات (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين^(٤)) . وقوله : (وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون)^(٥) . فهذه الآيات بمنزلة إعلان الدعوة الإسلامية ودعوة الناس إلى الإسلام .

جهر الرسول بأمر ربه بعد نزول هذه الآيات ، وأعلن الدعوة إلى وحدانية الله . وقد لجأ في ذلك أول الأمر إلى طريقة النداء التي كانت متبعة عند قريش ، فسار إلى جبل الصفا بظاهر مكة ، ونادى كل بطن من بطون قريش ، باسمها . ولما اجتمعوا إليه قال لهم : « إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، وإني لأملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٥ - ١٨ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ٢٦٩ - ٢٧٤ .

(٣) ابن هشام : ج ١ ص ٢٧٥ .

(٤) سورة الحجرة : آيتان : ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) سورة الشعراء آيات : ٢١٤ - ٢١٦ .

تقولوا لا إله إلا الله ، فقال له أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا^(١)؟
فأنزل الله في أبي لهب وزوجه (تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله
وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل
من مسد)^(٢).

واصل الرسول الجهر بالدعوة رغم مالقى في بداية الأمر من معارضة كبار
القرشيين له الذين آثروا البقاء على دينهم القديم خشية أن يفقدوا مكانتهم بين
العرب إذا ما أيدوا الدعوة الإسلامية .

٢ - الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قريش منها

لما بلغ القرشيين ما أكرم الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من النبوة
راعهم وكبر عليهم . ولم ينكروا عليه شيئاً من دعوته حتى عاب آلهتهم وسفه
أحلامهم ، فأظهروا استياءهم من جهره بالدعوة إلى وحدانية الله خشية
القضاء على عبادة الأوثان التي كان وجودها في الكعبة مصدراً هاماً لثرائهم ،
فعملوا على مناهضته وعادوه^(٣) . ولكن الله صان رسوله بعمه أبي طالب الذي
كن شريفاً في قومه ، مطاعاً فيهم ، فصدهم عنه .

لما رأى القرشيون أن أبا طالب عم الرسول لم يتعرض لدعوته ، بل ظل
يعطف عليه ويحزص على صد كل أذى عنه ، سار إليه فريق من أشrafهم ،
يسألونه أن يكف عنهم رسول الله ، وقالوا له : « إن ابن أخيك قد سب آلهتنا
وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آبائنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن نخلى بيننا
وبينه ، فإنك على مثل مانحن من خلافه » .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) سورة المسد .

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٨ .

فرد عليهم أبوطالب رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله ينشر دعوته^(١).

ذاعت دعوة الرسول بين أهالي مكة ، وكثر التحدث عنه بين القرشيين ؛ وصار يحرض بعضهم بعضاً عليه ثم استقر رأيهم على أن يشكوه إلى عمه أبي طالب لعله ينصرف عن التعرض لمعبوداتهم ، فذهب إليه وفد منهم وقالوا له : « يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استهينناك من ابن أخيك ، فلم تنه عنا وإنا والله لانصير على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله » ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعدواتهم ، وبعث إلى الرسول وحدثه عما قاله قومه ، فظن أنه قد ضعف عن نصرته ومؤازرته ، وقال له : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته » ، فقال أبوطالب : « اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لأأسلمك لشيء أبداً^(٢) » .

واصلت قريش سياستها في مناهضة الدعوة الإسلامية ، فعهدت إلى بعض أفرادها بمهاجمة المسلمين في قبائلهم وإلحاق الأذى بهم ليفتنوهم عن دينهم ولما رأى أبوطالب ما أصاب بني هاشم والمطلب من أذاهم ، دعاهم إلى عدم التعرض للرسول ، فأجابوا طلبه^(٣).

على أن قبيلة قريش لم تعدل عن موقفها إزاء سيدنا محمد رغبة منها في المحافظة على نظامها وكيانها ، وتحقيقاً لهذه الغاية منوه بتوليته الملك عليهم إذا كف عن عودته ومهاجمته أو ثأنهم ، لكنه رد عليهم بقوله : « إن الله بعثني رسولا وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ،

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٢٧٨ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٢٨١ .

فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم^(١) .

لما رأى القرشيون أن جداهم للرسول لم يُجدهم نفعاً ، ولم يضعف من نشاطه في نشر الدعوة الإسلامية ، استعانوا عليه بأحبار اليهود في يثرب . فذهب إليهم بعض القرشيين وطلبوا منهم أن يدلوا برأيهم في الرسول ، فقالوا لهم : سلوه عن ثلاثة ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يجب فهو متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، وعن رجل طواف وعن الروح^(٢) .

وقد قيل إن هذه الأسئلة لما أقيت على سيدنا محمد لم يجب عليها من فوره ، ففرحت قريش ، ثم أنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم أصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذوالقرنين ، وقال في الروح : (ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .

لما علمت قريش بإجابة الرسول على الأسئلة التي وجهها أحبار اليهود استاءت واشتد تعرضها لمن آمن به ، فأقبل سفهاء أهل مكة من الكفار على المسلمين يعذبونهم ليردوهم عن دينهم حتى أن أبا جهل بن هشام بن المغيرة مر بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب ، فطعنها بحربة أصابت منها مقتلاً ، وكان أبوبكر الصديق إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه ، ومنهم بلال وعامر ابن فهيرة^(٣) . وكان كفار قريش يضربون المسلمين ويضعون الصخور العظيمة على صدورهم في شدة الحر ، فلم يزدتهم ذلك إلا

(١) النبأ : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٤٥ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٢١ .

(٣) النبأ : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٤٦ .

إيماناً ، هذا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، ولا يصدّه عن ذلك صاد ، ولا يأخذه في الله لومة لائم^(١) .

لما رأى الرسول ما أصاب أصحابه من الاضطهاد ، أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة لما كان يعهده في ملكها من العدل والتسامح ، وقد سبقهم عثمان ابن عفان ومعه زوجته السيدة رقية بنت الرسول ، وتبعه المسلمون في الفرار من مكة ؛ فخرج أحد عشر رجلاً وأربع نسوة متسللين إلى الشعيبة^(٢) فركبوا سفينتين لبعض التجار إلى بلاد الحبشة ، وخرجت قريش في آثارهم فلم يدركوا منهم أحداً^(٣) .

على أن بعض المهاجرين المسلمين إلى بلاد الحبشة مالبثوا أن ازمعوا العودة إلى مكة حين شاع بينهم نبأ دخول قريش في الإسلام ؛ فلما قدموا إليها تبين لهم أن ما وصلهم عن إسلام أهل مكة غير حقيقى ، واشتد عليهم قومهم ولقوا منهم كثيراً من الأذى . فأذن لهم الرسول في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية فلاقوا في خروجهم مشقة عظيمة وتعنيفاً شديداً من قريش . وقد تتابع المسلمون في الهجرة من مكة فهاجر إليها ثانياً من الرجال ثلاثة وثمانون ، ومن النساء ثمان عشرة امرأة ، فأكرمهم نجاشى الحبشة وأمنهم على حياتهم^(٤) .

لا شك في أنه كان لهذه الهجرة أثر كبير في نشر الإسلام وترغيب الناس فيه ، فقد ذاع بين العرب أن فريقاً من القرشيين هاجروا إلى الحبشة فراراً بدين تلقوه عن نبي بمكة ، وبذلك سمع عن الدين الإسلامى من لم

(١) المقرئى ؛ إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٨

(٢) الشعيبة مرفأ مكة ومرسى قبل جدة (حاشية رقم ٤ كتاب إمتاع الأسماع للمقرئى

ص ٧٠)

(٣) ابن سعد ؛ كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٨٨

(٤) ابن سعد ؛ كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٩١ - ١٩٢

يُسمع به من قبل ، كما أنه كان لخروج هذه الجماعة أثر في تخفيف حدة عداة قومهم ، إذ رأوا فريقاً مضطهداً ، أو ذى في دينه حتى اضطر أن يهاجر به إلى مكان بعيد .

وقد اضطربت قريش حين علمت بأمر هذه الهجرة ، إذ رأت أن الإسلام قد بلغ في نفوس أهله مبلغاً كبيراً ، وأن كثيراً من الناس سيسارعون إلى الدخول فيه حين يرون أن وجودهم بالحبشة سينجيهم من عدوان قريش ، هذا إلى أنه إذا ما ازداد عددهم وتلاحقوا إلى الحبشة أصبح في استطاعتهم الوقوف في وجه قريش .

لما رأت قريش أن المسلمين استقروا بأرض الحبشة ، بعثت في أثرهم وفداً عملاً بالهدايا والصحف يطلب من نجاشي الحبشة ردهم إلى مكة . وكان من أعضاء هذا الوفد عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة ، فلم يجبههم إلى ما طلبوا فوشوا إليه أن المهاجرين يقولون في عيسى قولاً عظيماً ؛ فاستدعى المسلمين إلى مجلسه وزعيمهم جعفر بن أبي طالب فقال : ماتقولون في عيسى ؟ فتلا عليه جعفر صدرأ من سورة (كهيعص) ، فبكى النجاشي وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ؛ فرجع وفد قريش خائباً^(١) .

وهكذا لم تنجح وفادة قريش فبقى هؤلاء المهاجرون في الحبشة حتى طلب النبي من النجاشي - بعد أن استقر له الأمر في المدينة - أن يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم فأذن لهم بمغادرة بلاده فعاد كثير منهم وظل بعضهم مقيماً بالحبشة إلى السنة السابعة للهجرة^(٢) .

وبينما كان هناك فريق من المسلمين مهاجراً بالحبشة ، ظل الرسول مقيماً

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات ج ١ ص ١٩٢ .

بمكة يدعو إلى الله ، معرضاً نفسه لعداوة قريش وخصومتها . وكان أشد القرشيين عداوة للرسول أبوجهل بن هشام بن المغيرة ، وأبوهب عبدالعزى ابن عبدالمطلب ، وعقبة بن أبي معيط . فلما أسلم حمزة بن عبدالمطلب في هذه الفترة ، كف القرشيون عن بعض ماكانوا ينالون من الرسول لاعتقادهم أن حمزة سيصدهم عنه إذا محاولوا التعرض له . كذلك كان لإسلام عمر بن الخطاب في ذلك الوقت أثر كبير في تقوية شأن المسلمين بمكة . فكانوا قبل إسلامه لا يستطيعون الصلاة عند الكعبة . فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عندها وصلى معه المسلمون ، وأصبح من اليسير على المسلمين أن يجهروا بتلاوة القرآن ، ولم يكونوا قبل ذلك يستطيعون الجهر به ؛ كما دخل في الإسلام كثير من أهل مكة اقتداءً بحمزة وعمر^(١).

لما بلغ قريش إكرام النجاشي للقادمين عليه من المسلمين ، استاءت من ذلك ولجأت إلى وسيلة تؤذي بها محمداً وأتباعه ، فاتفقوا على أن يكتبوا فيما بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ألا يعاملوا بنى هاشم وبنى عبدالمطلب في بيع ولايتاجروا معهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم ولا يزوجهم ولا يتزوجوا منهم حتى يسلموا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة ، توكيداً على أنفسهم^(٢).

كان من أثر هذه المقاطعة أن انحاز بنو المطلب وبنو هاشم إلى شعب أبي طالب بشرقي مكة وظلوا مقاطعين ثلاث سنين ، لقوا فيها كثيراً من العناء ؛ فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، ولا يصل إليهم القوات

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤ ، النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب

اللدنية ص ٤٢ .

الضرورى إلا خفية ؛ وأخيراً أخذت الحمية والرافة نفرأ من القرشيين ، خرجوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب وأمروهم بالعودة إلى مساكنهم ؛ وبذلك نقضت صحيفة المقاطعة^(١).

فقد الرسول بعد حادث المقاطعة بقليل عمه أبا طالب وزوجته خديجة ؛ فتألم لفقدتهما فى عام واحد وسماه عام الحزن ، واشتد أذى قريش له بعد وفاة عمه . وقال : « مانالت قريش منى شئ أكرهه حتى مات أبوطالب » ، ذلك أنه لم يكن فى عشيرته وأعمامه حامياً له ولا مدافعاً عنه غيره^(٢).

رأى الرسول بعد أن نالت قريش منه وتجرات على إلحاق الأذى به بعد وفاة عمه أبى طالب ، أن يلجأ إلى بلد آخر غير مكة ، ينشر فيه دعوته ، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف النصر لأنهم كانوا أخواله ، ويدعوهم إلى عبادة الله . فأقام بالطائف عشرة أيام ، دعا خلالها سادة ثقيف عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بن عمرو بن غمير إلى نصرته والقيام معه على من خالفه ؛ فلم يجيبوه ، وخافوا على أحداثهم أن يتأثروا بدعوته ، وطلبوا منه الخروج من بلدهم ، وأغروا به سفاءهم ؛ فصاروا يرمونه بالحجارة ؛ وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج فى رأسه . ثم انصرف الرسول من الطائف عائداً إلى مكة دون أن يستجيب له أى فرد من أهالى ذلك البلد .

ولما وصل الرسول إلى حراء عائداً من الطائف ، بعث رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عدى ليجيره حتى يبلغ رسالة ربه ، فأجاره ودخل رسول الله مكة ، وعاود نشر الإسلام بين أهلها^(٣) ولم يمض غير قليل حتى أسرى برسول الله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى بيت المقدس ، حيث

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج١ ص ١٩٤ .

(٢) المقرئى : إمتاع الأسماع ج١ ص ٢٧ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج١ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

عرج به من الصخرة المقدسة^(١) إلى سدره المنتهى^(٢). يقول الله تعالى :
(سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى
باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)^(٣). وفرضت عليه
الصلوات الخمس تلك الليلة^(٤).

لما رأى النبی أن قريشاً لازالت تعمل على مناوآته فكر فى التحول عن
مكة . فصار كلما اجتمعت قبائل العرب فى موسم الحج يقدم نفسه إليهم
ويدعوهم إلى الله وإلى الإسلام . ويقول لهم : من رجل يحملنى إلى قومه
فيمنعنى حتى أبلغ رسالة ربى فإن قريشاً قد منعون أن أبلغ رسالة ربى^(٥).
ومن هذه القبائل : بنو عامر وغسان وبنو فزارة ، وبنو مرة ، وبنو حنيفة ، وبنو
سليم ، وبنو عبس ، وبنو نصر ، وكندة ، وکلب ، وبنو الحارث بن كعب ،
وبنو عذرة ؛ فلم يستجب منهم أحد^(٦). ويقال إن الرسول صلى الله عليه
وسلم بدأ بكندة ، فدعاهم إلى الإسلام ثم أتى كلب ثم أتى بنى حنيفة ،
فدعاهم إلى الله ، فلم يكن أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم ، ثم أتى بنى
عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله ، فقال رجل منهم : « أرايت إن نحن
تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أیكون لنا الأمر من
بعدك ؟ » فقال له الرسول « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء »^(٧).

كان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم يهود المدينة بنى قريظة والنضير
أن نبياً سيعت ويتوعدونهم به إذا حاربوهم ، فلما قدموا لزيارة البيت الحرام فى
السنة الحادية عشرة من البعثة ، رأوا الرسول يدعو الناس

(١) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) النبهان : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٥١ .

(٣) سورة الإسراء آية ١ .

(٤) المقریزی : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩ .

(٥) المقریزی : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٠ - ٣١ .

(٦) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ٢٠١ .

(٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٨٣ - ٨٤ .

إلى الله فلاحظوا أمارات الصدق لائحة عليه ، وقال بعضهم لبعض : والله هذا الذى توعدكم يهود به ، فلا يسبقنكم إليه ثم انصرفوا إلى بلادهم .

ولما قدم بعض الأوس إلى مكة يطلبون محالفة قريش ضد قومهم من الخزرج أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام ، فقال أحدهم وهو إياس بن معاذ : هذا والله خير مما جئنا له . ثم عاد وفد الأوس إلى المدينة دون أن يعقدوا حلفاً مع قريش^(١).

وفى موسم الحج التالى ليوم بعثت خرج الرسول يعرض نفسه على قبائل العرب كعادته فى كل موسم وبينما كان عند العقبة بمبنى لقي ستة نفر من الخزرج فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فلقبت دعوته قبولاً منهم ؛ وعادوا إلى المدينة حيث أخذوا ينشرون الإسلام بين قومهم حتى لم تبق دار من دور عرب المدينة إلا وفيها ذكر الرسول^(٢).

فلما كان العام المقبل وفد إلى مكة اثنا عشر ، منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ؛ فبايعوا الرسول عند العقبة بمبنى على الإسلام ، وتعرف تلك البيعة ببيعة العقبة الأولى ، وبعث معهم الرسول مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ليقرئهم القرآن ويدعوهم إلى عبادة الله . فنزل مصعب بإحدى دور المدينة وصار يدعو أهلها من العرب إلى الإسلام ، ويصلى بالمسلمين ويتلو عليهم القرآن . ولم يمض عام حتى أصبحت كل أسرة من عرب المدينة تضم فريقاً ممن دخل فى الإسلام على يد مصعب بن عمير^(٣).

وفى العام التالى خرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأوس والخزرج ، من المسلمين الذين أسلموا حديثاً قاصدين مكة ، وكان

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٣٥ ، المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبى ج ٢ ص ٣٨ - ٣٩ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٣٦ .

(٣) ابن الأثير : ج ٢ ص ٣٦ - ٣٧ .

(م ٦ - قيام الدولة العربية)

بصحبتهم مواطنوهم من المشركين^(١). وقد اجتمع الرسول بهؤلاء الوافدين من يثرب بالعقبة حتى لا يثير قريش ولا يستهدف لعداوتها ؛ وكان يرافقه عمه العباس - مع أنه لا يزال على دين قومه - وأبو بكر ، وعلي بن أبي طالب . وقد بدأ العباس بالكلام في ذلك الاجتماع فأنى على ابن أخيه وذكر أنه في عز من قومه ومنعة في بلده ، على أنه أب الانحياز إلى أهل يثرب ، وطلب منهم أن يتدبروا قبل أن يأخذوا على عاتقهم الوفاء له وحمايته ممن يخالفونه وأن يعقدوا العزم على ألا يرجعوا عن عهدهم إذا ما استهدفوا لخطر ، عندئذ أكد البراء ابن معرور - أحد رجال الخزرج - أنهم صادقون في عزمهم وطلب إلى الرسول أن يتكلم في صراحة ؛ فقام سيدنا محمد وبدأ حديثه بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم ودعاهم إلى الله ورسوله ورغبهم في الإسلام فقبلوا دعوته وبايعوه وتعهدوا له بالدفاع عنه ، كما رحبوا بهجرته إلى بلدهم ، ثم قام أبو الهيثم مالك ابن التيهان - أحد رجال الأوس - ، فقال : « يا رسول الله ، إن بيننا وبين الناس (يعني اليهود) حبالا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا » فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « بل الدم الدم والهدم الهدم^(٢) . أنتم مني وأنا منكم ، أسلم من سالمتم وأحارب من حاربتم أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونوا نقباء على الناس ، فاختروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ليكونوا رؤساء عليهم . وهذه البيعة التي تعرف ببيعة العقبة الثانية تمهدت للمسلمين الهجرة إلى يثرب .

ولاشك أن ميادرة هؤلاء الممثلين للأوس والخزرج إلى اعتناق الإسلام والترحيب بهجرة الرسول إلى مدينتهم ، ترجع إلى عدة عوامل ،

(١) الطبري : ج ٣ ص ٩٠

(٢) أي ذمى وحرمنى حرمتكم (ابن هشام ج ٢ ص ٥)

فمن الناحية الدينية كان عرب يثرب كثيراً ما يسمعون من اليهود أن نبياً سيبعث ، فلما رأى حجاجهم سيدنا محمد وعرفوا أنه نبي مرسل ، تحدثوا عنه إلى قومهم ، فبادروا إلى تصديقه ، هذا إلى أنه لم يكن للأوس والخزرج فائدة مادية من وراء التمسك بالوثنية ، كما كان لقريش في مكة ، لأن سادتها ضعف أمرهم من جراء الحروب التي أنهكت قواهم ، فلم يقاوموا النظام الجديد كما حدث في مكة حيث لاحظنا أن رجالات قريش هم الذين قاوموا الدعوة الإسلامية دون غيرهم من عامة العرب .

ومن الناحية السياسية ، كانت علاقة اليهود بعرب يثرب سيئة ، حتى أن هؤلاء العرب صمموا قبل هجرة النبي إلى المدينة على جلاء اليهود عنها واحتلال أراضيهم التي كانت أخصب بقاع المدينة . كذلك كان العرب أنفسهم متعادين ، فقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب طويلة نخص بالذكر منها ما حدث في « بعث » حيث غلبت الخزرج قبل الهجرة بسنوات قلائل .

وقد وجد بعد موقعة بعث ميل من جميع القبائل العربية يثرب من الأوس والخزرج إلى تولية عبدالله بن أبي بن سلول سيد الخزرج^(١) ، غير أنه حدث أن قصد حجاجهم مكة واجتمعوا بالرسول صلى الله عليه وسلم بالعقبة ثم بايعوه وقبلوا دعوته ، كما رحبوا في العام التالي بهجرته إلى بلدهم حين طلب منهم ذلك ، وتعهدوا له بحمايته ، فلما رجعوا إلى قومهم ، دعوهم إلى نصرته الإسلام والدخول في طاعة الرسول ، فلقبت دعوتهم قبولا منهم وعدلوا بذلك عن تمليك عبدالله بن أبي^(٢) .

وقد سارع الأوس إلى قبول دعوة الرسول والترحيب بهجرته ، لاعتقادهم أنه لن يتقدم عليه أحد يثرب . أما الخزرج ، فقد رحبوا بدعوة

(١) السهمودي : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ ص ١٥٥ .

(٢) ابن خلدون : ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

الرسول وهجرته إلى مدينتهم لأنه من أكرم بيوتات قريش وساداتها ، ولصلة النسب التي تربطهم به ، فهو ابن آمنة بنت وهب من بنى النجار إحدى بطون قبيلتهم^(١) ، فضلاً عن ذلك فإن انهمامهم في موقعة بعاث جعلهم يسارعون إلى قبول دعوته ومبايعته لوثوقهم من أمانته. يستطيع جمعهم مع الأوس تحت لوائه .

لما علمت قريش نبأ تحالف الرسول مع عرب يثرب في بيعة العقبة الثانية ، اضطربت اضطراباً شديداً ، واشتد أذاها على المسلمين ، فأذن الرسول لأتباعه بمكة في الهجرة إلى المدينة ، وقال ، « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها^(٢) » ، فتجهزوا إليها في ستر وخفاء وصاروا يتعاونون بالمال . وكان كل مهاجر من قريش وحلفائهم يستودع دوره وماله رجلاً من قومه . فمنهم من حفظ الوديعة ومنهم من تصرف فيها وفق رغبته ، وخرج المسلمون جماعة بعد جماعة ، حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب ومن اعتقله المشركون كرها^(٣) .

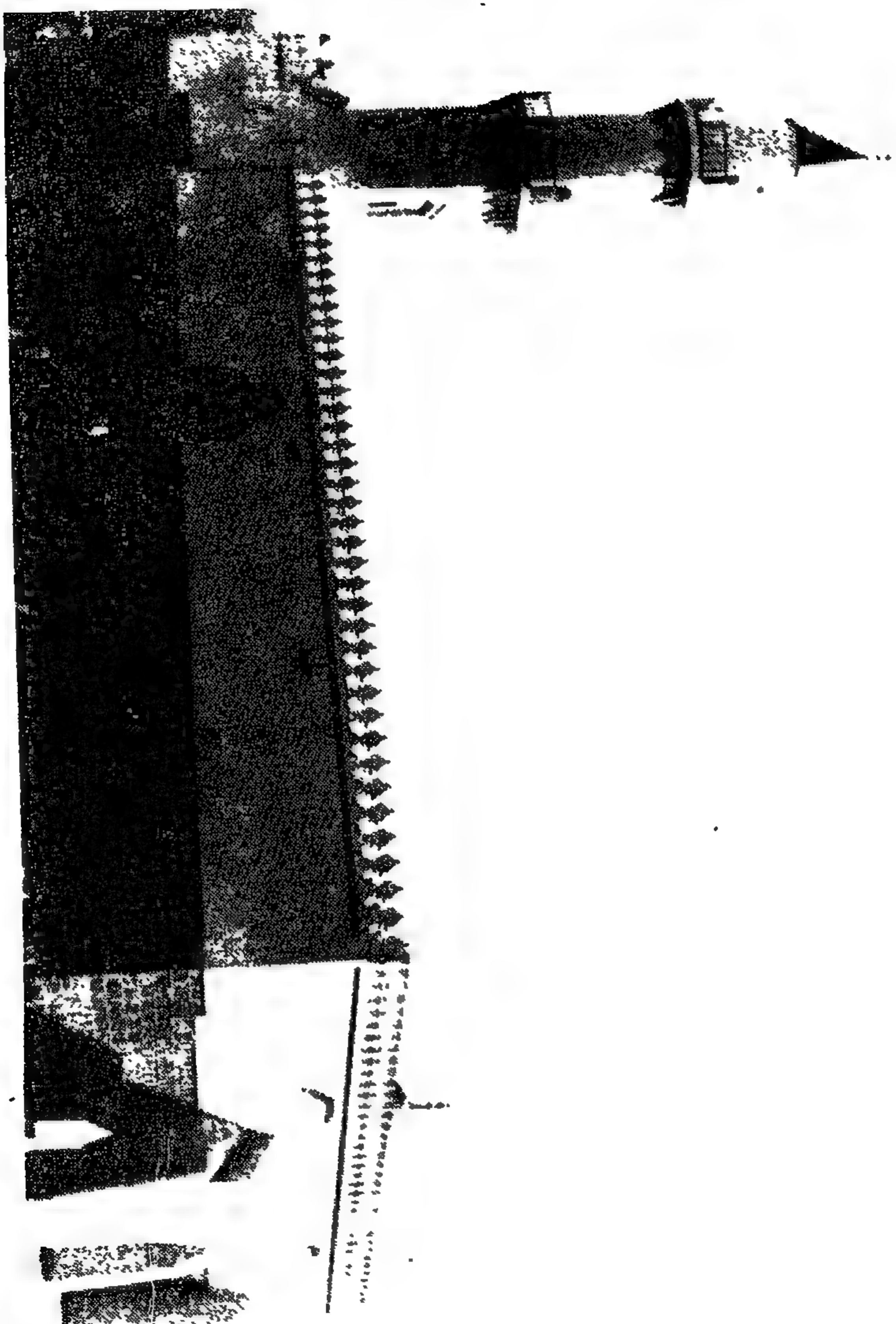
ولما بلغ قريش تأهب الرسول للهجرة إلى يثرب ، اجتمع رجالها بدار الندوة^(٤) يتشاورون فيما يصنعون في أمره ، فاتفق رأيهم على قتله ، فأعلمه الله بذلك . وخرج من داره ليلاً بعد أن أمر على بن أبي طالب أن ينام على فراشه وقابل أبا بكر الصديق وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج من مكة ، فطلب منه أن يصحبه في هجرته ، فأجابه إلى ما طلب ، ومضى به

(١) حسن إبراهيم : الإسلام السياسي ج ١ ص ٨٠ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٧٦ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ٣١٠ - ٣١١ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٣٧ - ٣٨ .

(٤) بنى هذه الدار قصي بن كلاب ليحكم فيها بين قريش ، ثم صارت لتشاورهم وعقد الألوية في حروبهم (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١ ص ١١٣) .



مسجد قباء . . أول مسجد أسس على التقوى

إلى غار بجبل ثور^(١).

كانت قريش إذ ذاك ترقب حركات الرسول ، وانتدبت من تتبع أثره حتى وصل بعضهم إلى الغار ، فأوجس أبو بكر خيفة ، وأخذ الرسول يهدىء من روعه . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في سورة التوبة (آية ٤٠) (إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) .

فلما مضت ثلاث ليال على الرسول وأبى بكر وهما بالغار ، أتاها دليلهما ثم نزلا وركب كل منهما راحلة ، وساروا في طريق يثرب حتى بلغا ضاحية من ضواحيها تسمى بقاء^(٢) فنزل الرسول على بنى عمرو بن عوف وأقام عندهم أربعة أيام ، وأسس بقاء مسجداً^(٣) ، ثم خرج يوم الجمعة راكباً ناقته ، فلما أتى بنى سالم صلى الجمعة بمن معه من المسلمين - وهم إذ ذاك مائة - ، وهي أول جمعة أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسلام^(٤) وألقى عليهم خطبة بدأها بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليضعن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب بحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلي نظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير حبيهم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشقعة من تمره فليفعل

(١) جبل يشرف على مكة من جنوبها (القلقشندي : ج ٤ ص ٢٤٧) .

(٢) موضع يقرب المدينة على بعد ميلين منها .

(٣) الطبري : ج ٣ ص ١٠٧ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ١١١ - ١١٢ .

ومن لم يجد فكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته^(١) .

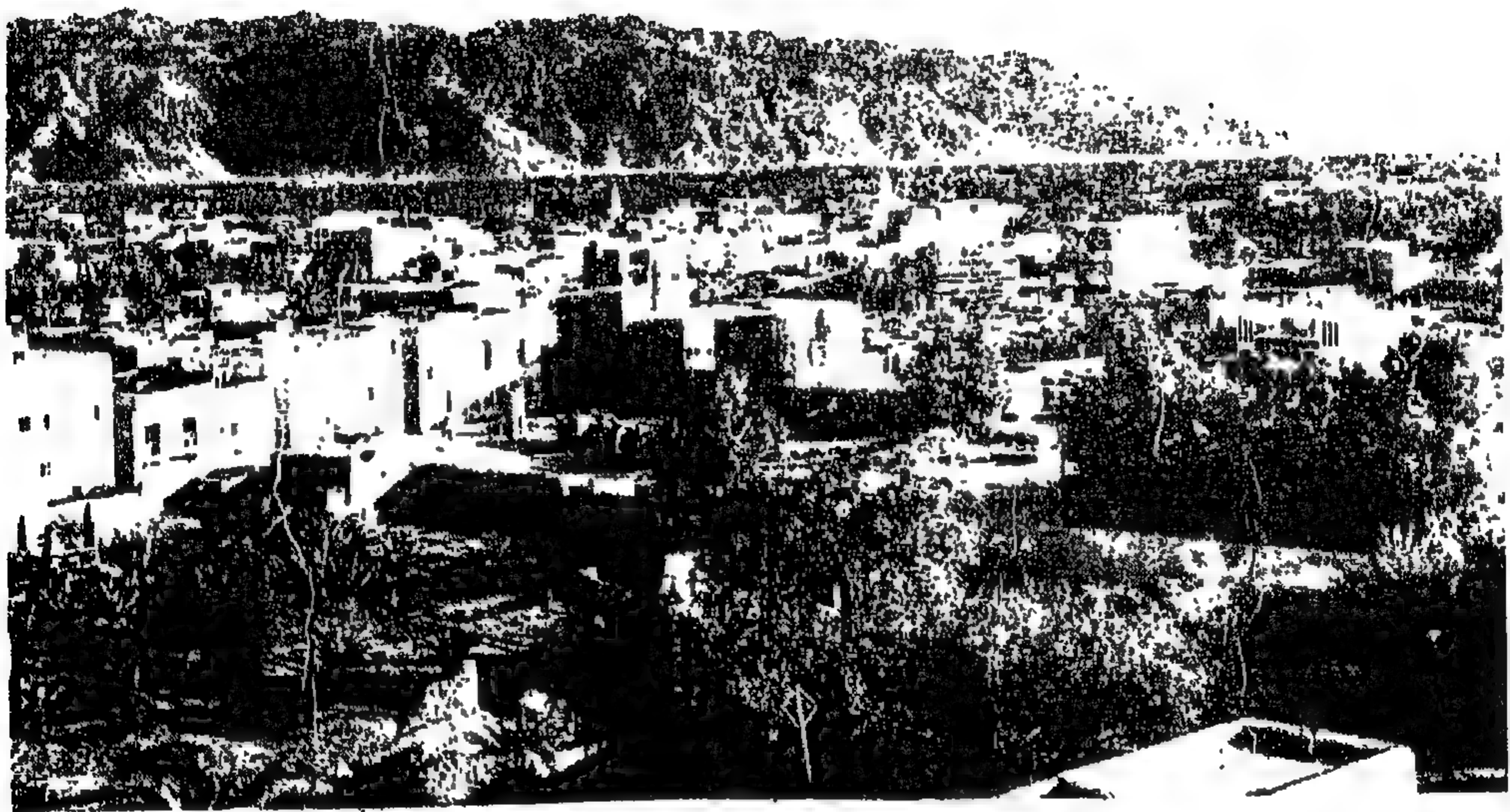
ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد صلاة الجمعة متوجهاً إلى المدينة ، وكان كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم ، قائلين : يا رسول الله ، هلم إلى القوة والمنعة ، فيقول خلوا سبيلها (يعنى ناقته) ، فإنها مأمورة^(٢) » ولم تزل ناقتة سائرة به حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت في مربد^(٣) لغلामين يتيمين من بني النجار ، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وحمل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رحله وأخفافه في داره ، واشترى الرسول المربد بعشرة دنانير وأمر أن يبني في مكانه مسجد للمسلمين ، ويبني إلى جانبه مساكنه التي انتقل إليها بعد أن استغرق بناؤها سبعة أشهر ، قضاها في ضيافة أبي أيوب الأنصاري^(٤) .

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦ - ٤٨

(٢) النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٥٩ .

(٣) المربد : الموضع الذى يحف فيه النمر (حاشية رقم ١ - ابن هشام ج ١١٣) .

(٤) ابن هشام : سيرة النبى ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤ ، ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٢٤ .



من ضواحي المدينة المورة

الباب الثالث

سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة

- ١- تنظيم صفوف المسلمين بالمدينة وتوكيد وحدتهم
- ٢- سياسة الرسول في إخضاع عرب الحجاز
- ٣- موقف الرسول من يهود الحجاز
- ٤- توجيه الدعوة الإسلامية إلى خارج بلاد الحجاز
- ٥- تأمين حدود بلاد العرب الشمالية وتوطيد سلطان المسلمين عليها
- ٦- تحقيق الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب

١ - تنظيم صفوف المسلمين بالمدينة وتوكيد وحدتهم

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم منذ قدم على المدينة بتبليغ الوحي الذى ينزل عليه خاصا بالأمور التشريعية العامة ، بل رأى أن يعنى بالوسائل التى ينظم بها الحياة فى المدينة لأنه أصبح زعيم جماعة من العرب لهم صفة سياسية بجانب كونه نبيا برسلا عليه أن يبلغ رسالة ربه .

وكان بالمدينة حين هاجر إليها الرسول ، المسلمون من الأوس والخزرج الذين عرفوا بالأنصار ، وبعض مشركى هاتين القبيلتين ، واليهود ، ثم وفد إليهم المهاجرون - وكان كثير منهم تجاراً تركوا أموالهم فى مكة ولا أمل لهم فى استردادها - فدعا الرسول الأنصار إلى مساعدتهم .

كذلك حاول الرسول تنظيم صفوف المهاجرين والأنصار بالمدينة وتوكيد وحدتهم عن طريق تأليفهم حتى لا تنور العداوة القديمة بينهم ، فأخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة^(١) ، وكانوا يتوارثون بهذا الإنحاء إراثاً مقدماً على القرابة^(٢) ، فإذا مات المهاجر ورثه أخوه الأنصارى ، وإذا مات أحد الأنصار ورثه أخوه المهاجر . وكان الرسول يرمى من وراء المؤاخاة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار أن يذهب عنهم وحشة الغرباء ويؤتسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض^(٣) .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٣

(٢) المقرئى : إمتاع الأسماع ص ٤٩

(٣) حاشية رقم ٣ (ابن هشام) سيرة النبى ج ٢ ص ١٢٣)

ولما شرع الرسول في تنفيذ مشروع المؤاخاة ، قال لأصحابه : « تأخوا في الله أخوين أخوين » ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، وقال : « هذا أخى » فكان رسول الله وعلى بن أبي طالب أخوين ، وصار حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة مولى الرسول أخوين . وتأخى أبوبكر الصديق مع خارجة بن زيد من الخزرج^(١) . وأصبح كل واحد من المهاجرين الذين وفدوا إلى المدينة متأخيا مع أحد الأنصار ؛ وبهذه المؤاخاة توثقت وحدة المسلمين في المدينة .

تيسرت سبل العيش على المهاجرين بالمدينة بفضل حسن معاملتهم الأنصار لهم ، ذلك أنهم منحوهم بعض أموالهم وسمحوا لهم بالتجارة والاشتراك معهم في زراعة أراضيهم ، كما كان لفرض الزكاة على المسلمين بعد مقدم الرسول المدينة أثر في تحسين حالهم^(٢) .

كذلك أذن الرسول لفقراء المسلمين بالمدينة الذين ليس لهم منازل ولا عشائر أن يبيتوا في المسجد ، وكان يدعو طائفة منهم ليلا لتناول العشاء معه ، ويكلف أصحابه بإطعام الآخرين ، وقد عرف ذلك الفريق من المسلمين بأهل الصفة^(٣) . لأنهم كانوا يأوون إلى صفة المسجد ، وهى المكان المسقوف منه^(٤) .

ظل التوارث بالمؤاخاة قائما حتى اجتمع شمل الأنصار والمهاجرين وأوقعوا الهزيمة بالمشركين في غزوة بدر وعز شأن الإسلام ، فأنزل الله تعالى في سورة الأنفال (آية ٧٥) : (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم) . فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ورجع

(١) ابن هشام : سيرة النبی ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤

(٢) المقریزی : امتاع الأسماع ص ٥٠

(٣) ابن سعد : کتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٠

(٤) : حياة محمد ص ٢٢٠

كل مسلم إلى نسبه وورثه ذوو قرباه^(١) . -

لما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، رأى أن يضع نظاماً للحياة العامة فيها ، يكون أساساً لتحقيق الوحدة بين أهاليها ، فكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار . كما عاهد اليهود واشترط عليهم وشرط لهم^(٢) . ويتضمن هذا الكتاب الأمور الآتية :

١ - أن جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة ويتبين ذلك من هذه الفقرة : « إنهم أمة واحدة من دون الناس » .

٢ - التضامن والتعاون بين الجماعة الإسلامية ، ويؤكد هذا المعنى قوله : « إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » .

٣ - فتح الطريق للراغبين من اليهود في الإسلام ، وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق فيقول : « وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » .

٤ - تقرير حرية الاعتقاد لليهود : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليتهم وأنفسهم » .

مايتبع في فض الخصومات بين أهالي المدينة فيقول : « وإنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ؛ فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » .

٦ - تضمن الكتاب كيف تعامل قريش التي كانت إذ ذاك تقف من المسلمين في المدينة موقفاً عدائياً ، فقال : « وإنه لاتجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يشرب » .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٣

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٣

٧- يبين الكتاب مايتبع في الحرب التي قد تقع بين المسلمين في المدينة وأعدائهم ، ويقرر أن كل جماعة تنفق على نفسها فيقول : « وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة » .

٨- يقرر الكتاب حرمة المدينة ، أى أنه يحرم فيها مايحرم بمكة .

لم يرد هذا الكتاب الا في سيرة ابن إسحق التي نقلها ابن هشام . ويظهر لنا من نصوصه أنها تتفق مع منطق الحوادث في المدينة ؛ فسكانها المسلمون من المهاجرين والأنصار كانوا بحاجة إلى نظام يجمع شملهم ويحدد علاقتهم بعضهم ببعض . وقد فطن الرسول لذلك . فضمن كتابه المبادئ الهامة التي يجب عليهم اتباعها في السلم والحرب ، كما عاهد اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم ليطمئن إلى جوارهم .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ميالا للسلم ، فلم يلجأ للقتال طيلة إقامته بمكة ، بل عمد في نشر دعوته إلى مجادلة المشركين وإقناعهم بالدليل والبرهان فلما اشتد أذاهم على المسلمين واضطروهم إلى الهجرة من مكة إلى الحبشة أولا ثم إلى المدينة ثانياً ، رأى الرسول أن يوحد بين المهاجرين والأنصار حتى يتيسر لهم الوقوف في وجه أعدائهم . وكان قبل هجرته إلى المدينة قد بايعه فريق من الأوس والخزرج في بيعة العقبة الثانية ، وتعهدوا له بالدفاع عنه وحمايته ، كما تعهد لهم بالعمل على نصرتهم وبذلك تهيأ المسلمون للذود عن أنفسهم .

ولما استقر لهم الأمر بالمدينة وقويت شوكتهم ، فرض الله عليهم الجهاد في السنة الثانية للهجرة . فنزلت الآية في سورة الحج (آية ٣٩) مقرر ومشرعة للحرب (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على

نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله (والمراد بهذه الآية أن الله أحل القتال للمسلمين لأنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم لا لسبب سوى عبادة الله

وتلا هذه الآية في أمر الجهاد قوله تعالى في سورة الأنفال (آية ٣٩) . (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله عما يعملون بصير) والمراد بذلك أن الله شرع القتال حتى لا يفتن المؤمن عن دينه .

كذلك أنزل الله تعالى هذه الآية في سورة البقرة (آية ٢١٦) يقرر فيها الجهاد (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

وقد شرع الجهاد لأمر منها

١ - تأمين الدعوة الإسلامية وصد من يقف في سبيلها حتى لا يفتن أحد من المسلمين عن دينه .

٢ - قيام المسلمين بالذود عن أنفسهم

٣ - محاربة الذين اضطروهم إلى الخروج من ديارهم بغير حق ،

كان لتشريع الجهاد أهمية خاصة بالنسبة للمسلمين بالمدينة ، فقد أعطاهم صفة سياسية لم يتمتعوا بها من قبل ، ذلك أنهم أصبحوا نواة الأمة العربية الإسلامية ، عليهم أن يجاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الإسلام وجمع شتات العرب .

وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول آيات تشريع الجهاد يشر الدعوة الإسلامية بين القبائل العربية ، ويعد العدة لصد كل اعتداء يصيب المسلمين من معارضيهم ، كما عول بعد مقدمه المدينة على الاقتصاص (٧ قيام الدولة العربية)

من قريش التي اضطرت المسلمة إلى الخروج من مكة تاركين أموالهم ومتاعهم .

وقد عقد الرسول في بداية الأمر ألوية بعض السرايا للمهاجرين دون الأنصار لأنهم تعرضوا وحدهم لإيواء قريش بمكة وقاسوا آلام الهجرة . وكان الغرض من هذه السرايا أن يظهروا لقريش قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم ودرء خطر يحيق بهم ، هذا إلى استطاعتهم التعرض لقوافلهم التجارية المارة ببلدهم .



غار ثور • اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ١

٢ - سياسة الرسول في إخضاع عرب الحجاز لسلطته

استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة أن يجعل سكانها من المسلمين يتطلعون إليه زعيماً وقائداً ، ولا يعترفون بسلطان غير سلطانه^(١). ولما جمع شملهم ونظم أمورهم واصل جهاده في سبيل الله ، وكان المهاجرون والأنصار خير عون في نشر دعوته .

كان جهاد الرسول وصحابته موجهاً في بداية الأمر إلى القرشيين بمكة الذين احتفظوا بالوثنية وناصروا المسلمين العداء ، وقد وقف المهاجرون والأنصار صفاً واحداً مع الرسول في العمل على صد أي اعتداء خارجي يقيق بهم . ولما كانت قريش هي البادئة بمناهضة المسلمين ، لذلك صاروا يترقبون الفرص لإخضاع شوكتها والقضاء على نظامها القديم حتى يتيسر لهم جعل مكة مركزاً دينياً للمسلمين ، كما كانت مقصداً لحج القبائل العربية جميعاً .

وقد وجه الرسول جهوده في السنوات الأولى من هجرته إلى إستمالة القبائل المقيمة في الطريق بين مكة والمدينة إلى جانبه وارتبط بأكثرها برابطة الحلف ، وكان يرمى من وراء ذلك إلى إيجاد حلفاء له خارج المدينة كما أصبح له أنصار في داخلها . هذا إلى أن مخالفة الرسول للقبائل التي تقيم في طريق قوافل قريش التجارية تثير روع القرشيين وتجعلهم ينجشون بأس المسلمين بالمدينة .

كذلك وجه الرسول همته إلى الوقوف في سبيل تجارة قريش التي كانت عماد حياتها . وكان الرسول نفسه ملماً بشئون التجارة وواقفاً على مدى عناية قريش بها على اعتبار أنها مصدر ثروتهم ، فهو من هذه الناحية يعرف كيف يحمل قريشاً على التسليم له من أقرب طريق ، كما لم يغب عنه حرص

(١) راجع : كتاب الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦ - ٣٧ .

قريش على أن تسير قوافلها التجارية في أمن وطمأنينة بين مكة وبلاد الشام . فلما اطمأن إلى مخالفة القبائل الضاربة بين مكة والمدينة ، خرج مع بعض أصحابه لاستطلاع حركات القرشيين والوقوف في طريقهم لكنه سرعان ما كان يعود دون أن يشتبك معهم في قتال ، ثم وجه عبدالله بن جحش على سرية من المهاجرين ليس بينهم أحد من الأنصار ، وأمره أن يترصد قريشاً بمكان يقال له نخلة بين مكة والطائف ويأتيه بأخبارهم^(١) فمضى عبدالله مع أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت بهم قافلة لقريش تحمل تجارة وذلك في آخر رجب من السنة الثانية للهجرة ، فهابوا أول الأمر محاربتهم في هذا الشهر - الذي كان العرب إذ ذاك يعدونه من الأشهر التي يحرم فيها القتال - ، ثم أجمعت أغليبتهم على قتالهم وأخذ مامعهم ، فأصابوا بعض رجالهم وغنموا ما كانت تحمله إبلهم من التجارة ، وعادوا إلى المدينة محملين بالأموال التي غنموها ، فأوقف الرسول الإبل ولم يأخذ منها شيئاً ، وقال لهم : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام كما عنفهم إخوانهم من المسلمين ، فسقط في أيديهم^(٢)

انتهزت قريش فرصة اشتباك من المسلمين معهم في القتال في شهر رجب فحملت عليهم ، وأعلنت في كل مكان أن محمداً وأصحابه استحلوا الشهر الحرام^(٣) فأنزل الله تعالى في سورة البقرة (آية ٢١٧) (يسألونك عن الشهر الحرام ، قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) . وقد أظهرت هذه الآية أن ما قامت به قريش من صد المسلمين عن سبيل الله وإخراجهم من المسجد الحرام أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٣٩ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٣ .

(٢) المقرئ : امتاع الأسماع ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٤١

حدثت بعد هذه السرية وقائع متصلة بين المسلمين والقرشيين في مكة ، ترمى إلى تحقيق غرض معين ومبدأ ثابت ، سواء أكان من وجهه نظر المدينة أو من وجهه نظر مكة ، فأهالي المدينة من المسلمين وعلى رأسهم الرسول ، كانوا يرون ضرورة القضاء على نفوذ القرشيين حتى يتيسر لهم نشر الدعوة الإسلامية وضم مكة إلى حورتهم . أما أهالي مكة ، فقد أيقنوا من خطر وجود المسلمين بالمدينة على تجارتهم القادمة من الشام إلى مكة كما رأوا في انتشار الإسلام خطراً على ديانتهم الوثنية وعلى سيادتهم على الكعبة التي كانوا يجنون من ورائها فوائد مادية . لذلك وجه كل فريق اهتمامه إلى أضعاف شوكة خصمه والتخلص منه . وقامت في سبيل هذه الأمنية ، وقائع هامة بين المسلمين من جهة ، والقرشيين ومن انضم إليهم من القبائل العربية بالحجاز من جهة أخرى .

عزوة بدر

يرجع السبب في وقوع هذه الغزوة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد ندب نفراً من المسلمين للوقوف على أخبار قافلة قريش وهي قادمة من الشام إلى مكة ، فلما علم بذلك أبوسفيا بن حرب رئيس القافلة ، أنفذ إلى قريش بمكة من يخبرها بمحاولة المسلمين التعرض لتجارتهما ، ثم عبر طريقه وسار محاذياً ساحل البحر (الأحمر) حتى تجاوزت موقف المسلمين ، وبهذه الوسيلة استطاع أن ينجو بالقافلة^(١).

ولما علمت قريش بالخطر الذي ستعرض له تجارتها التي كانت تقدر بما يساوي خمسين ألف دينار^(٢)، استولى عليهم الذعر والخوف ، وعولوا على الخروج لنجدة غيرهم وإنقاذ تجارتهم ، فخرجوا من مكة بدون تعبئة

(١) المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٦٩ - ٧٠

(٢) المقرئى : اماع الأسماع ج ١ ص ٦٦ .

منظمة ، وكان عددهم يتراوح بين التسعمائة والألف ، وفي هذه الأثناء كان أبوسفیان قد تمكن من النجاة بالقافلة ، فأرسل إلى قريش يخبرها بذلك وطلب إليها أن تعود إلى مكة ، لكن قريشاً تغلبت عليها الروح الحربية ، فصممت أن تسير إلى بدر^(١) لتظهر قوتها للمسلمين ولغيرهم من قبائل العرب^(٢)

كان الرسول إذ ذاك قد خرج من المدينة مع أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم ثلثمائة وخمسة^(٣) ، وبينما هو في طريقه إلى بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش ، فرأى أن الفرصة سانحة للتنكيل بها ، واستشار أصحابه في الأمر ، فأعلن كبار المهاجرين موافقتهم على الخروج لمهاجمة قريش . أما الأنصار ، فكان قد تم الاتفاق بينهم وبين الرسول في بيعة العقبة الثانية على أن يدافعوا عنه وعن المهاجرين إذا تعرضوا للأذى لا أن يساعدوه في الهجوم ، فلما شاورهم في أمر قتال قريش ، أظهروا له طاعتهم في كل ما يطلب منهم . وقال سعد بن معاذ : « امض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد . . » فسر الرسول بقول سعد وقال : « سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم^(٤) » ، فتابع المسلمون سيرهم حتى إذا ما وصلوا إلى أدنى ماء من بدر ، رأى الرسول أن يتزل بهذا المكان ، فسأله الحباب بن المنذر : أعن أمر من الله نزلت هذا المنزل أم هو الرأي والحرب

(١) بدر : مكان بين مكة والمدينة على بعد ٣٨ فرسخاً من المدينة ، به واد وآبار وفي أرحائه نخيل وحدائق

(٢) ابن هشام . سيرة النبي ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣) المقرئزي : امتاع الاسماع ج ١ ص ٦٤ .

(٤) ابن هشام . سيرة النبي ج ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، المقرئزي امتاع الاسماع ج ١ ص ٧٣ -

والمكيدة ؟ فقال الرسول : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » ، فأشار عليه الحباب بن المنذر أن يمضي بالمسلمين عن هذا المنزل حتى ينزل بهم في مكان قريب من الماء ، فاستحسن الرسول هذا الرأى^(١) ، ونزل المسلمون في الجهة الشرقية من الوادى الذى تقع فيه بدر ، في ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان . أما قريش فنزلت في ثنابا التلال الغربية . وقد نام المسلمون جميعاً في هذه الليلة نوماً هادئاً ، وكان ذلك مما زاد في نشاطهم في صباح اليوم التالى حيث دارت المعركة ، على حين باتت قريش ساهرة . كذلك أمطرت السماء في تلك الليلة مطراً غزيراً في الجهة التى كانت تعسكر فيها قريش . أما الموقع الذى نزل فيه المسلمون فنزل به رذاذ من المطر .

كانت القوة التى مع المسلمين من الإبل ، فنزل المطر الخفيف في الجهة التى يعسكرون فيها لبد الأرض وساعد على مسير إبلهم . أما قريش فكان معها عدد كبير من الخيل ، فغزارة المطر من الناحية التى تعسكر فيها بللت الأرض ، وكان ذلك مما عرقل مسير خيلها وإبلها . وهكذا كان نزول المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة على المشركين^(٢) ،

كان المسلمون مع قلة عددهم يسودهم النظام ، فقد صف النبى أصحابه حين أخذ يتهاى للمعركة ، وعلى العكس من ذلك قريش ، فلم يكن لها قيادة عليا تشرف على تنظيم صفوفها . وعلى هذه الحال اشتبك الفريقان في قتال تشوبه النفحة البدوية والبطولة .

وقد أسفرت واقعة بدر عن انتصار المسلمين على قريش التى أسر منها سبعون ، كما قتل سبعون من رجالاتها . أما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة

(١) ابن هشام : سيرة النبى ج ٢ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) المقرئى : امتاع الاسماع ج ١ ص ٧٨ .

عشر ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار^(١).

قدم الرسول المدينة بعد انتهاء واقعه بدر مظفرا ، قد اعلی الله كلمته وأعز نصره . وكان لهذا النصر ، نتائج بعيدة الأثر ، ودخل في الإسلام كثير من المشركين ، كما ضعفت شوكة اليهود والمنافقين حتى لم يبق يهودى ولا منافق في المدينة الا وقل كبرياؤه^(٢).

ولاشك في أن ما انتهت اليه واقعة بدر من إحراز المسلمين النصر على ثلاثة أمثالهم من القرشيين يحملنا على اعتبارها إحدى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي آيات القرآن ما يشعرنا بذلك ، ففيها أن الملائكة مدوا المسلمين في هذه الواقعة حتى انتصروا على فریش التي تفوفهم في العدد . يقول الله تعالى في سورة الأنفال (آية ٩) : (إذ تستعينونكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) .

استفاد المسلمون من وراء انتصارهم في واقعة بدر فائدتين إحداهما معوية تتمثل في وثوقهم بأنهم على الحق وأن خصمهم على الباطل ، وثانيتهما ماديه . هي لغنائم التي اكتسبوها ، وكانت كثيرة ، من بينها إبل وماع ونياب أسلحة^(٣) . وقد قسمها الرسول بين المسلمين الذين اشتركوا في هذه الواقعة والذين خلّفوا عنها بإذن منه^(٤).

كذلك أصبح لدى المسلمين بما أسفرت عنه غزوه بدر من أحكام شرعية فواعد نابتة يسرون وفها في حروبهم ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالغنائم الأسرى . وقد برلت في الغنائم هذه الآية في سورة الأنفال (آية ٤١) : (وأعلموا أنما عنتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي

(١) اليعقوبى تاريخ لعمور ج ٢ ص ٣٤ ، المقرئى ، امتاع لأسماع ج ١ ص ١٠١

(٢) المقرئى . امتاع الأسماع ج ١ ص ٩٩ .

(٣) ابن هشام : ج ٢ ص ٢٨٤ و ٣١٢ ، المقرئى . امتاع الأسماع ج ١ ص ٩٣ - ٩٤

(٤) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٥٧ .

القرب واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم امتتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم لفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء فدير) .

أما الأسرى فبعضهم قتل مثل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ، والبعض قبل النبي أخذ الفدية منه ، والبعض الآخر الذي ليس لديه مال من عليه الرسول ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم فداء الرجل ما بين الالف رهم وأربعة الاف درهم^(١) .

وكان في الأسرى من يجيد الكتابة ويعجز عن دفع الفداء لفقره ، على حس لم يكن في الأنصار من يعرفها ، فجعل رسول الله فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة . وكان كل أسير يعلم عشرة من الغلمان الكتابة يخلى سبيله . فتعلم يومئذ زيد بن ثابت الكتابة مع جماعة من علمان الأنصار . فتلک الأحكام وهى القتل والفداء والمنحكان يجوز تطبيقها على الأسرى ، لكن فيما بعد نجد أن الآية القرآنية في سورة محمد (آة ٤) نصت على الفداء والمن : (فرد لقستم الدين كفروا ، فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء حتى يصع الحرب أوزارها) .

غزوة أحد^(٢) .

رأت قريش بعد أن لحقت بها . . في واقعة بدر أن سار لشرفها وسمعتها ولم هل من رجالاتها ، لذلك كانت هى البادئة فى العدوان . وما يدلنا على شدة حرصها على الأخذ بالثأر أنها ظلت تسعد مدة سنة لحرب لرسول وأصحابه وبذلت فى هذا لسيل مجهودا كبيرا ، كما خصصت أموال القافلة التى حاول المسلمون اعتراضها وهى قادمة من الشام والتى كانت السبب فى واقعة بدر للانفاق منها على تلك الحرب وطابت أنفس أشرفها أن

(١) اليعقوبى تاريخ يعقوبى ج ٣٤ ص ٣٤٠ ، المقرئى امتاع الاسماع ج ٩٠ ص ٩٦

(٢) أحد . اسم جبل شمال المدينة .

يجهزوا من تلك الأموال جيشاً^(١). فنزل فيهم قول الله تعالى في سورة الأنفال (آية ٣٦) (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) ،

كذلك دعت قريش جلفاءها من ثقيف وقبائل تهامة وكنانة للاشتراك معها في محاربة المسلمين ، كما استعانت أيضاً بالأحابيش^(٢). ولما تم استعدادها خرجت بحلفائها إلى المدينة في شوال سنة ٣ هـ بقيادة ابى سفيان بن حرب^(٣).

لما بلغ النبي قدوم قريش على المدينة ، استشار أصحابه كعادته في مثل هذه المواقف ، فمنهم من أشار بالاكْتفاء بالدفاع ، ومنهم من أشار بالخروج من المدينة ومقاتلة قريش . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى وجوب البقاء في المدينة والاكْتفاء بالدفاع عنها ، وقال لأصحابه « امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الأطم^(٤) » ، فإن دخل علينا قاتلناهم في الأزقة » ، وقد أيده في ذلك أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار ، كما وافقه عبدالله بن أبى .

أما أنصار الرأي الثانى ، فكان أغلبهم من الشبان الذين لم يشهدوا بدرأ ، ومن المسلمين المتحمسين للقاء العدو ، وهؤلاء قالوا للرسول :

(١) المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ١١٣ .

(٢) الطبرى : ج ٢ ص ١٨٨ ، وابن الأثير : ج ٥ ص ٥٦ .

الأحابيش : اختلف المؤرخون في أصلهم ، فقليل انهم عرفوا بذلك نسبة الى جبل حبشى بأسفل مكة ، وكان قد اجتمع عنده في الجاهلية بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمه ، حالفوا قريشا فسموا أحابيش قريش . حاشية رقم ٢ « المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٨ ، على انه من المحتمل أن يكونوا من أصل حبشى أو من الأرقاء الذين يغلب عليهم العنصر الأسود .

(٣) ابن هشام . سيرة النبي ج ٣ ص ٥ .

(٤) الأطم : جمع أطم وهى بيوت من حجارة كان يسكنها أهل المدينة .



من مقابر الشهداء في أحد

اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون. أنا جينا عنهم وضعفنا»^(١)

قبل الرسول رأى هذا الفريق لكثرة عدد أنصاره وقوة بأسهم ، ثم خرج من المدينة في ألف من المسلمين ، ولم يكذب يبلغ الشوط^(٢) حتى تخلى عنه عبدالله ابن أبي مع فريق من الجيش بحجة أن النبي لم يأخذ برأيه . وقد ترتب على ذلك حدوث بعض الاضطراب في صفوف المسلمين^(٣).

لم يعبا الرسول بتخلف عبدالله بن أبي وأتباعه وواصل السير حتى نزل بعدوة^(٤) الوادي ، فاستقبل المدينة وترك جبل أحد خلف ظهره حتى لاتهاجمه قريش من خلفه وجعل وراءه الرماة - وهم خمسون رجلا - وولى عليهم عبدالله بن جبير^(٥) ، وقال لهم : احموا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن نؤتق من ورائنا ، وألزموا مكانكم لاتبرحوا منه . وإذا رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا . اللهم إني أشهد عليكم ، وأرشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لاتقدم على النبل^(٦) . أما قريش وحلفاؤها فنزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة . وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل^(٧).

ابتدأت الواقعة بهجوم من جيش المسلمين على كتائب المشركين حتى اختلت صفوفهم وولوا منهزمين ، فتبعهم المسلمون وأخذوا يجمعون ما وجدوه في طريقهم من الغنائم ، فلما رأى الرماة ، رسول الله وأصحابه

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٧ ، الطبري ج ٢ ص ١٨٩

(٢) الشوط : مكان خارج المدينة بينها وبين أحد

(٣) المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٠

(٤) العدو : شاطئ الوادي وجانبه الصلب

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٥٧

(٦) المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥

(٧) النبهي : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٧٢

متقدمين في جوف عسكر المشركين ، تركوا أماكنهم وسارعوا إلى جمع الغنائم ، فعاود المشركون الهجوم بعد تفرقهم ، وحاصروا المسلمين من كل جهة . وانتهر خالد بن الوليد فرصة خلو الجبل من الرماة وأتى المسلمين من خلفهم وأعمل الرماح في ظهورهم^(١) ، فانتقضت صفوف المسلمين وصاروا كما يقول الطبري^(٢) - ثلاثة أقسام مابين قتيل وجريح وفريق منهزم جهده الحرب لا يدري ما يصنع وقد حاول هذا الفريق الهرب في ثنايا الجبل . ولم يثبت مع الرسول سوى أربعة عشر ، سبعة من المهاجرين ومثلهم من الأنصار^(٣)

تعرضت حياة الرسول في هذه الواقعة للخطر ، فأصيب بعدة جراح وأشيع أنه قتل ، وكان لهذه الإشاعة أثرها السيء في نفوس المسلمين ، ففضلا عن أنها أدت إلى اضطراب صفوفهم ، أضعفت من حماسهم في مقاتلة القرشيين ، غير أنهم مالبثوا أن استعادوا قوتهم وانشرحت صدورهم حين ظهر أمامهم الرسول سالماً .

استطاعت قريش أن تأخذ بثأرها من المسلمين في واقعة أحد . ولما رأى زعيمها أبوسفیان بن حرب أنه قتل من أعدائه بقدر ما قتل من قريش في واقعة بدر أزمع العودة إلى مكة . أما الرسول فظل معسكراً بعض الوقت بجوار المدينة خشية أن تهاجمها قريش ، ويبعث على بن أبي طالب في آثارها ، وقال له : « انظر ماذا يصلعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم » . فسار على في آثارهم ، فرآهم امتطوا الإبل وجنّبوا الخيل

(١) ابن الأثير : ج ٢ ص ٥٧ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٨

(٢) الأمم والملوك ج ١ ص ١٩٧

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٥٧

يريدون مكة^(١)،

غزوة الخندق أو الأحزاب :

وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة ، ويطلق عليها غزوة الخندق للظاهرة الحربية التي امتازت بها عن سائر الغزوات ، فقد أحاط الرسول فيها المدينة بخندق ليحول دون مهاجمتها ويصد به العدو . كما عرفت أيضاً بغزوة الأحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية واليهودية الى قريش في محاربة المسلمين .

هناك أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة لهذه الغزوة فمن الأسباب غير المباشرة العداوة الأصلية بين المسلمين والقرشيين ، أما الأسباب المباشرة فتتلخص في أن اليهود من قبيلتي بني النضير وبني قينقاع الذين أجلاهم الرسول عن المدينة لعدم إخلاصهم للعهد المأخوذ عليهم ، ونزحوا إلى خيبر حيث أقاموا مع قومهم من اليهود ، ثم سار بعضهم إلى مكة - وعلى رأسهم - حبي بن أخطب النضري ، وأخذوا يحرضون القرشيين ويدفعونهم إلى محاربة المسلمين ، كما أغروهم بمساعدات مالية وإمدادات حربية . واجتهدوا أيضاً في إثارة القبائل النازلة بأطراف نجد ممالي الحجاز مثل قبيلة غطفان ، فذهبوا إليهم ودعواهم إلى محاربة الرسول وأخبروهم أن قريشاً انحازت الى جانبهم ووعدوهم بمنحهم غلة خيبر في سنة إذا مانصروهم ، فأجابوا طلبهم^(٢) .

تأهبت قريش لقتال المسلمين وبعثت تدعو العرب إلى معاونتها ، كما ألوا أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة ، وبذلك وجد حلف قوى قوامه قريش وغطفان يبطونها المختلفة واليهود المقيمون بخيبر ، ويعبر عن هذه القبائل

(١) الطبري : ج ٢ ص ٢٠٦ ، ابن الأثير : ج ٢ ص ٦١

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص

بالأحزاب . وكان لكل جماعة قائدها ، فابوسفبانز بر حرب فائد فريس وحلفائها من الأحابيش وبنى كنانة وتهامة . وعيينة بن حصن الفزاري فائد غطفان ، وحى بن اخطب قائد اليهود ، وقد تجمع من هذه الأحزاب عشرة آلاف (١) .

خرجت قريش من مكة لمحاربة الرسول بالمدينة ، وكانت ترمى من وراء اشتراكها في هذه الحرب ، إضعاف شأن المسلمين وإتمام النصر الذى حالفها في واقعة أحد ، أما القبائل الأخرى التى حالفت قريش وانضمت إليها . فكاتب سعى من ورائها خروجها لمحاربة المسلمين إلى الحصول على الغنائم ، وكان اليهود يأملون من وراء إثارة القبائل العربية وعلى الاحصاء فريش . المسلمين إلى استعادة نفوذهم ونفوذتهم بالمدينة

لما علم الرسول بخروج قريش وحلفائها إلى المدينة وكثرة عددهم دعا المسلمين واحبرهم بما وصل إليه أمر العدو ، وشاورهم أخرج من المدينة ام يظل بها ، أم يعسكر قريباً منها والجبل وراءهم ، فكان الراى الاغلب الا يخرجوا إلى عدوهم ، وأن يلتزموا خطة الدفاع . ولما رأى سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ بهم بالمقام في المدينة حتى يرد إليها

(١) ١. سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٠٨

(٢) كان سلمان من أسره فارسى فى اصبهان ، بدين بالمجوسية ، ثم اعتنق الدين المسيحية الى كانت إذ ذاك منتشرة فى العراق . وعندما فطن أبوه لذلك حاول أن يصرفه عن ذلك الدين الجديد ، فحبسه ليحول بينه وبين الاتصال بالنصارى المقيمين بجواره ، لكنه استطاع الهرب ، فخرج مع قافلة كانت تقصد بلاد الشام ، ثم التهم ببعض التجار وطلب اليهم أن يحملوه إلى بلاد العرب فأظهروا له استعدادهم لإجابة طلبه ولما بلغوا وادى الفرى أعوه لرجل يهودى ، ثم انتقل من ملكية هذا الرجل إلى ابن عم له من يهود يثرب ، ولما هاجر النبى إلى المدينة ، أسرع سليمان إلى اعتناق الاسلام كما فعل كثير من الأرقاء ، وساعده النبى على أن يؤدى لمولاه ملعاً من المال ليسند حربه

ابن هشام ، سيرة النبى ج ١ ص ٣٣٣ - ٢٤٩

ابن حجر ، الإصابة فى تمييز الصحابة . ج ٢ ص ٦٠

الأعداء فيحاربهم ، أشار عليه بحفر خندق حول المدينة^(١).

أعجب الرسول برأى سلمان الفارسي وركب مع بعض أصحابه ليرتاد موضعاً ينزله ، فرأى أن ينزل بسبع سلع - وهو جبل بالشمال الغربي من المدينة - ثم دعا المسلمين وأخبرهم بأن عدوهم على مقربة منهم ، ودلهم على الموضع الذي ارتاده لهم لحفر الخندق ، وعين لكل قبيلة حداً يحفرون إليه ، واشتغل معهم بنفسه في الحفر ، وجعل للخندق أبواباً عهد بحراستها إلى نفر من المسلمين ؛ فاختر من كل قبيلة رجلاً وولى الزبير بن العوام الرئاسة عليهم^(٢). ولما تم حفر الخندق عسكر الرسول وأصحابه ، فجعل جبل سلع خلف ظهره والخندق أمامه^(٣).

أقبل القرشيون وحلفاؤهم في هذه الاثناء لمهاجمة المدينة ونزلوا في شملها بمكان يعرف بمجتمع الاسيال^(٤) ، ثم عمد أبوسفیان إلى استمالة بني قريظة ، فانتدب لذلك حُيَّ بن أخطب النضري وقال له : « أنت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد » ، فنزل حُيَّ على كعب بن أسد سيد بني قريظة وأخذ يبين له أن من مصلحته ومصلحة قبيلته نقض العهد الذي بين قومه وبين الرسول والانضمام إلى جانب قريش وحلفائها ؛ فامتنع أول الأمر ، ومازال به حتى أقنعه بالعدول عن زاياه وأجاب طلبه ؛ وبذلك نقض بنو قريظة حلفهم مع الرسول^(٥).

لما علم الرسول أن بني قريظة نقضت ما بينه وبينها من عهد وتاهبت مع

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٧ .

(٣) الطبرى : ج ٢ ص ٢٣٧ ، المقرئى . إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢٥ .

(٤) ابن الأثير ج ٢ ص ٦٧ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبى ج ٣ ص ١٣٥ - ١٣٦ ، وابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ج

٣ ص ١٠٩

قريش لمحاربة المسلمين ، اشتد ذلك عليه ، وبعث سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج ، وأسيد بن حضير ليتحققوا مابلغه عن موقف بنى قريظة وأوصاهم ألا يجهروا بما يرونه خشية أن يفت ذلك في عضد المسلمين^(١) ، فلما قدموا على بنى قريظة ثبت لهم تغير موقفهم نحو الرسول وعزمهم على الغدر . فكان ذلك مما أوقع الذعر في قلوب المسلمين لأنهم رأوا العدو أحاط بهم من فوقهم ومن أسفل منهم وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في سورة الأحزاب^(٢) : (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً) .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى أن تسرع بنو قريظة في الاغارة على المدينة ليلاً . فلما وصله أنها تأهبت لمهاجمتها عهد إلى فريق من جند المسلمين بحراسة المدينة . أما القرشيون وحلفاؤهم فإنهم أقبلوا في هذه الأثناء نحو الخندق ، فلما رأوه قالوا : « والله إن هذه لمكيدة ماكانت العرب تكيدها » وصاروا يطوفون بخيلهم حول الخندق لعلهم يعثرون على مضيق منه يمكنهم من عبوره ، ولم تخف على المسلمين حركات المشركين ، فردوهم على أعقابهم حين حاولوا اقتحام مضيق من الخندق^(٣) .

لم يشتبك المسلمون مع القرشيين وحلفائهم في حرب حاسمة في واقعة الخندق ، وإنما اقتصر الأمر على مبارزات فردية بين الفريقين وحصار من ناحية قريش للمدينة^(٤) . ومع أن هذا الحصار لم يطل أمدته فإن أثره كان

(١) الطبرى : ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٠٩ ، والمقرئى . امتاع الاسماع ج ١ ص ١٢٧ .

(٣) آية ١٠ و ١١ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبی ج ٣ ص ٢٤ ، الطبرى : ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٥) الطبرى : ج ٢ ص ٢٢٧ ، النبهاى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٥٨ .

سيئاً بالنسبة للمسلمين . فلما اشتد عليهم البلاء بسبب ذلك الحصار ، رأى الرسول أن الحيلة التي اتبعتها قريش لامتئالة بني قريظة إلى جانبها يستطيع أن ينقضها بحيلة مثلها . فعهد إلى نعيم بن مسعود الغطفاني بتفريق كلمة الأحزاب - وكان قد قدم مع قومه لمحاربة المسلمين فهدهاه الله إلى الإسلام وأتى النبي ليلاً وأعلن له إسلامه ، كما طلب إليه أن يكلفه بما يريد - ، فقال له الرسول : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خُدعة ^(١) » .

كان نعيم بن مسعود على جانب عظيم من الدهاء والمكر ، كما أنه كان صديقاً لبني قريظة . فتوجه إليهم في بادئ الأمر ، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا رهناً من أشرافهم ، فقبلوا رأيه ، ثم قدم على أبي سفيان وبحضرته كثير من رجال قريش ؛ فأعلمهم أن بني قريظة قد ندموا على ماكان منهم ، وأنهم راسلوا محمداً بأنهم سيسلمونه سبعين رجلاً من أشراف قريش وغطفان ليضرب أعناقهم على أن يعيد بني النضير إلى ديارهم بيثرب ، وأنهم سيكونون معه حتى يردوا قريشاً عنه ، وأشار عليهم ألا يعطوا بني قريظة الرهائن . ولما فرغ نعيم من التحدث مع قريش ، ذهب إلى غطفان فأعلمهم عن بني قريظة بما أعلم به قريشاً عنهم ، وحذرهم أن يعطوها وهذا ^(٢) .

ولما كانت ليلة السبت من شوال سنة ٥ هـ ، أرسل أبو سفيان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل مع نفر من قريش يطلب منهم الخروج غداً لمحاربة الرسول ^(٣) فقالوا : « إن غداً السبت لانقاتل فيه ولا نعمل عملاً ، وإنا مع ذلك لانقاتل معكم حتى تعطونا رهانا من رجالكم لثلاث ترحوا ،

(١) ابن هشام : سيرة النبي ح ٢٤٧

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ح ٣ ص ٢٤٧ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٧ .

(٣) ابن الأثير : ج ٢ ص ٦١

فإننا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتدعونا إلى محمد ولا طاقة لنا به ؛ فثبت لقريش صحة ما قاله نعيم بن مسعود ، وراوا أن اليهود نقضوا مآتعهدوه لهم .

كذلك أرسلت غطفان إلى بني قريظة رسولا يطلب منهم الخروج معهم لمحاربة الرسول ، فأجابوا بمثل ما أجابوا رسول قريش ؛ فاتضح لغطفان صحة ما قاله نعيم ؛ وبذلك يش كل منهم من مساعدة الآخر ، وأخذ أبو سفيان ومن معه يلومون حبي بن أخطب لفشله في استمالة بني قريظة ؛ فكان ذلك مما جفزه على أن يعاود الحديث مع بني قريظة في شأن اشتراكهم في محاربة المسلمين ؛ فلم يجد منهم تأييداً له ، وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندهم ، ثم أرسل الله رجلاً على الأحزاب في ليال شاتية شديدة البرد حلت بينهم وبين مواصلة القتال وانطلقوا ليلوى أحد على أحد^(١) . وأنزل الله في سورة الأحزاب^(٢) يذكر نعمته على المسلمين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جاءكم جنود ، فأرسلنا عليهم رجلاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً) .

ولما شرع أبو سفيان في الرحيل إلى مكة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً ، جاء فيه : « باسمك اللهم ، فإنني أحلف باللات والعزى لقد سرت إليك في جمعنا وإنا لا نريد أن نعود أبداً حتى نستأصلكم ، فرأيت قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعري من علمك هذا؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد » فكتب إليه الرسول : « من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي سفيان بن حرب ، أما بعد فقد يماً غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت - أنك إلينا في جمعكم وأنك لا تريد

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١١ ، القرظي . امتاع الاسماع ج ١ ص

٢٣٨ .

(٢) آية ٩

أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى . وأما قولك : من علمك الذي صنعنا من الخندق ؟ فإن الله ألهمني ذلك لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح ، وليأتين عليك يوم أكرس فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك»^(١).

ولما اطمأن الرسول إلى أن الأحزاب رحلت إلى بلادها ، أذن للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم بالمدينة . فعادوا فرحين مسرورين بعد أن دام حصار الخندق ما يقرب من ثلاثين يوما^(٢).

ولاشك أنه كان لفشل الأحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين أثر عظيم في نفوس المسلمين والعرب كافة ، فقد تبين لهم أن المدينة لا تؤخذ عنوة وإن حشرت لها آلاف الجنود من الحجاز ونجد . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين جلت الأحزاب عن المدينة : « الآن تغزوهم ولا يغزوننا »^(٣).

صلح الحديبية :^(٤)

لم يقع بين الرسول وبين قريش واقعة هامة بعد غزوة الخندق ، فقد استنفدت قريش كل مجهودها من هذه الناحية وظل التوتر يسود علاقتها بالمسلمين ، وفي هذه الأثناء كانت الخصومة لاتزال قائمة بين المسلمين وبين يهود المدينة وقد استطاع المسلمون بعد قهرهم القرشيين في واقعة الخندق أن يقهروا اليهود ويجلبهم عن المدينة .

(١) القريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٤٠

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١١٢

(٣) ابن الأثير : ج ٢ ص ٩٦ .

(٤) الحديبية : هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة ابن سعد ج ٣ ص ١٤٠ ،

القريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٨٣ .

ولما اطمأن الرسول إلى تفوق المسلمين على أعدائهم ، فكر في دخوله مكة معتمراً . فأمر أصحابه بالسير إليها لأداء العمرة فلبوا طلبه في ذي القعدة من سنة ٦ هـ وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وقد بلغ عددهم ما يقرب من ألف وأربعمائة - ليس معهم سلاح إلا السيوف في أغمادها ، وأحرم الرسول بالعمرة من ذي الحليفة^(١) ولى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » واقتدى به سائر المسلمين ، فأحرموا بإحرامه ، وساق قوم منهم الهدى^(٢) إظهاراً لغرضهم الديني^(٣) .

لما بلغ أهل مكة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتد بهم الذعر ودعوا الأحابيش وحلفاءهم من ثقيف للوقوف إلى جانبهم كما عهدوا إلى بعض رجالهم بمراقبة حركات المسلمين وأجمعوا على منع الرسول وصحبه من دخول مكة ومحاربتهم ، فخرج خالد بن الوليد على رأس فريق من المشركين للقاء المسلمين وأخذ يزحف بخيله حتى تمكن من مشاهدتهم ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع أن يسلك مع المسلمين طريقاً بعيداً عن عيون القرشيين . وما زال سائراً حتى وصل إلى مكان يقال له الحديبية اطمأن إلى الإقامة به^(٤)

وبينما الرسول معسكراً بالحديبية ، أرسلت إليه قريش بعض رسلها ليحملوه على العدول عن دخول مكة ويبيتوا له الخطر الذي سيلحق به إذا

(١) ذو الحليفة : تقع على مقربة من المدينة وبها آبار تسمى آبار على ، ومنها يحرم أهل المدينة إذا أرادوا الخروج للحج أو للعمرة .

ابن فضل الله العمري : مسالك الإبصار في عمالك الأمصار ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) الهدى . ما يضحى به الحاج عند الكعبة .

(٣) ابن هشام : ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٧٥ -

٣٧٦

(٤) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٤

مأحاول دخولها عنوة ، ومن بينهم عروة بن مسعود الثقفي الذي قال لقريش بعد مقابلته الرسول : « إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه . وإني والله مارأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه »^(١).

رأى الرسول من ناحيته أن يفاوض قريش في أمر دخوله مكة لأداء العمرة إيثاراً للمسالمة والمودة . فبعث عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش وقال له أخبرهم : « إنا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته معنا الهدى ننحره وننصرف »^(٢). فرفضوا السماح للرسول بدخول مكة ، ورحب أبان بن سعيد بن العاص بعثمان بن عفان وأجاره^(٣).

وكانت قريش إذ ذاك قد بعثت فريقاً من رجالها ليهاجموا المسلمين على غرة بالحديبية ، فظفر بهم محمد بن مسلمة مما دعاهم إلى إرسال نفر آخر من أصحابها ليعاودوا الاعتداء على المسلمين ، فوقف المسلمون في وجوههم وأسروا بعض فرسانهم^(٤).

لما لم يعد عثمان بن عفان من مكة بعد أن قضى فيها ثلاثة أيام ، ذاع بين المسلمين أنه قتل مع عشرة من المسلمين - كان الرسول قد أذن لهم بالذهاب إلى مكة لزيارة أهليهم^(٥). ، فوقف الرسول إثر ذلك يخطب قومه قائلاً : « ان كان حقاً ما سمعنا فلن نبرح الأرض حتى نناجز القوم ، البيعة ، البيعة أيها الناس » فتوافد المسلمون يبايعونه على محاربة قريش .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٢ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٢٤١ ، الطبري : ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٨٩ .

(٤) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٠ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٤ .

وتعرف هذه البيعة ببيعة الرضوان . وقد توه الله تعالى بشأنها في سورة الفتح^(١) ، فقال تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) .

رأت قريش أن مناصبة المسلمين العداء وهم معسكرون على مقربة من مكة لا يجديها نفعاً ، فأرسلت وقدأ يرثاسة سهيل بن عمرو ليفاوض الرسول في الصلح ؛ فلما قدم عليه ، قال له : « يا محمد إن هذا الذي كان - من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك - لم يكن من رأى ذوى رأينا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم - وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة » ، فبعث سهيل بن عمرو رسولاً من قبله إلى قريش يطلب منها إطلاق سراح عثمان بن عفان ومن معه من المسلمين ، فأجابت طلبه . ولما قدم عثمان بن عفان ورفاقه من المهاجرين على الرسول ، أعاد إلى قريش رجالها الذين أسروا^(٢) .

لما رأى سهيل بن عمرو مسارعة المسلمين إلى بيعة الرسول اشتد رعبه ، وعول على العودة إلى مكة ليخبر قريش بما شاهده بنفسه ، فأشار عليه أهل الرأي منهم بالصلح على أن يرجع الرسول عنهم عامة هذا ويعود في العام المقبل ، فقدم سهيل بن عمرو على الرسول بالحديبية وأظهر له رغبة قومه في مصالحته على أن يرجع عن مكة دون أن يزور البيت الحرام ، ويعود إليها في العام التالي فيقضى بها ثلاثة أيام^(٣) . فشاور الرسول أصحابه فيها عرضته عليه قريش ، فكرهوا إجابتها إلى ماطلبت ، لكن الرسول

(١) آية : ١٠ .

(٢) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٣) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٢ .

كان يرى الموافقة على ماطلبته قريش ، وأظهر بعض أصحابه تذرهم من ذلك .

ولما تم الاتفاق على معاهدة الصلح بين الرسول والقرشيين ؛ ولم يبق إلا كتابة شروطها ، قام عمر بن الخطاب ، وقال للرسول : « أأنت برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ ، قال : بلى ، قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدنيا في ديننا ؟ فأجابه بقوله : أنا عبد الله ورسوله . لن أخالف أمره ولن يضيعني »^(١) . فعلم المسلمون أن الأمر ليس أمر مشورة ومفاوضة وإنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى فتأهبوا إلى الله وأيدوا ما فعله الرسول .

اتفق الرسول وسهيل بن عمرو في كتاب الصلح على الشروط الآتية^(٢) .

- ١ - أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنين .
- ٢ - أن يرد الرسول من يأتيه من قريش مسلماً بدون إذن وليه ، ولا تلزم قريش برد من يأتي إليها من عند محمد .
- ٣ - من أراد الدخول في عهد قريش فله ذلك ، ومن أراد الدخول في عهد محمد من غير قريش جاز له ذلك .
- ٤ - أن يرجع الرسول هذا العام دون أن يؤدي العمرة ، فإذا كان العام القادم دخل مكة بعد أن تخرج منها قريش ، ليس معه إلا سلاح المسافر . وبعد أن تمت كتابة شروط الصلح ، أعلن الحاضرون من خزاعة دخولهم

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ..

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٦ ، القرطبي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٧ .

في عهد محمد وعقده ، ثم قام الحاضرون من بنى بكر وأعلنوا دخولهم مع قريش في عهدها وعقدها^(١).

استاء المسلمون من صد المشركين لهم عن زيارة بيت الله الحرام وعودتهم إلى المدينة دون أن يؤدوا العمرة ، وظنوا أن النبي تساهل مع قريش حيث يجب أن يشتد . ولما دعاهم بعد أن فرغ من كتاب الصلح إلى القيام بالشعائر التي يقوم بها الحجاج والمعتصرون وهي : نحر الهدى وحلق شعر رءوسهم والتحلل من إحرامهم ، ولم يجبه أحد إلى ذلك في بادئ الأمر لكنهم مالبثوا أن اقتدوا به حين شرع في نحر هديه فسارعوا إلى هديهم ينحرونه ، ثم أمرهم الرسول بالرحيل إلى المدينة^(٢) . وبينما هو في طريقه إليها أنزل الله عليه سورة الفتح ؛ فتلا على أصحابه قوله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً)

وقد سر المسلمون بتزول هذه السورة وأقبلوا على الرسول يهتفونه ، واطمانوا أن صلح الحديبية فتح مبين^(٣).

إذا أنعمنا النظر في صلح الحديبية نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثر السلم على الحرب مع ما صار إليه المسلمون وقتئذ من المنعة والقوة والقدرة على الفتك بأعدائهم^(٤) . كما نلاحظ في شروطه بعض التكافؤ ، ففي الشرط الأول نجد أن الهدنة لمدة عشر سنين بين الفريقين . لا يعتدى أحدهما على الآخر ؛ وكذلك في الشرط الثالث . نجد أن بعض القبائل دخل في جانب قريش مثل بكر ، وبعضها دخل في جانب النبي كخزاعة .

(١) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٠٢ .

(٤) جاد المولى : محمد المثل الكامل ص ٢٠٧ .

لكن هناك شرطان آخران . لا نلاحظ فيهما هذا التكافؤ

أولهما : من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لا يردونه عليه ؛ فقريش في هذا الشرط تميزت عن المسلمين .

ثانيهما : أن يعود النبي في عامه هذا إلى المدينة . فلا يدخل مكة إلا في العام القادم بعد أن تخرج منها قريش . في هذا الشرط نجد أن المفاوضات القرشية أظهر قوة قبيلته وسيطرتها على مكة .

على أن قبول الرسول هذين الشرطين لا يعد تهاونا منه في حقه أو استسلاماً أمام قوة قريش ، بل إنه قبلهما سياسة منه . فالشرط الذي يلزمه أن يرد من يأتي إليه من قريش مسلماً لن يصيبه منه أى ضرر . كما أنه لن يضعف من قوة المسلمين . لأن الرسول أصبح لا يعبأ بحضور بعض أفراد إليه من قريش بعد أن نازعته عدة سنوات ، ثم إنه من ناحية أخرى رأى أن يتفرغ لنشر الإسلام خارج الحجاز ، وإذا ماتم نجاحه في هذا السبيل يوجه قوته لمحاربة قريش ويصبح من اليسير عليه إخضاع شوكتها . كذلك كان الرسول يرى أن المسلم الذي يلجأ إلى قريش ليس جديراً بأن يعود إلى صفوف المسلمين .

أما الشرط الذي يحتم على الرسول الرجوع إلى المدينة دون أن يؤدي العمرة . ففيه تضحية بسيطة ، لكن في مقابل هذه التضحية استفاد الصلح لمدة عشر سنوات يتفرغ فيها لنشر الدعوة الإسلامية ، ويتفرغ فيها أيضاً للتخلص من اليهود الذين زاد نفوذهم في بلاد الحجاز في ذلك الوقت .

نهاية النزاع بين المسلمين في المدينة والقرشيين في مكة :

لما انتصر الرسول على اليهود في خيبر في السنة السابعة للهجرة وأبعد . بذلك الخطر الذي كان يهدد المدينة من قبلهم وصارت دولته الإسلامية .

الناشئة في أمن وطمأنينة ، أمر الرسول أصحابه الذين شهدوا الحديبية بالخروج معه إلى مكة ليعتصروا قضاء^(١) لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها^(٢) . وكانت قريش قد أذنت له في صلح الحديبية بأن يؤدي العمرة في هذا العام . فلبوا دعوته ؛ ولم يتخلف عنه إلا الرجال الذين استشهدوا بخير والذين ماتوا ، كما سارع إلى الخروج معه فريق آخر من المسلمين ، حتى بلغ عدد الخارجين بصحبة الرسول لأداء العمرة في ذي القعدة من سنة ٧ هـ ألفين^(٣) .

لما دخل المسلمون مكة ، نفذت قريش ما أخذته على نفسها ، فصعدت في التلال حيث ضربت الخيام حتى لا يقع ما يعكر صفو العلاقات بين الفريقين غير أن جماعات منها وقفت عند دار الندوة تتطلع إلى المسلمين أثناء طوافهم ببيت الله الحرام ، واتخذ المسلمون الحيلة لدرء أي خطر يتعرض له الرسول أثناء طوافه حول الكعبة وسعيه بين الصفا والمروة ؛ فقاموا على حراسته خشية أن يتعدى عليه أحد سكان مكة^(٤) .

لبث المسلمون بمكة ثلاثة أيام ، أتموا خلالها فرائض العمرة ، وزار المهاجرون منهم دورهم التي تركوها ، ثم أمرهم الرسول بالعودة إلى المدينة فوصلوا إليها في آخر سنة ٧ هـ^(٥) ، وبعد قليل فرض عليهم الحج . وأصبح

(١) عرفت هذه العمرة بعمرة القضاء لأنها نائفة للعمرة السابقة التي لا يؤديها المسلمون كما يقال لها غزوة القضاء وعمرة الصلح . وتعرف أيضا بعمرة القصاص لأن القرشيين صدها الرسول في ذي القعدة سنة ٦ هـ . وهو من الأشهر الحرم . فانتص رسول الله منهم فدخل مكة في ذي القعدة سنة ٧ هـ . (ابن هشام ج ٣ ص ٤٢٤ والمقرئزي امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٦) .

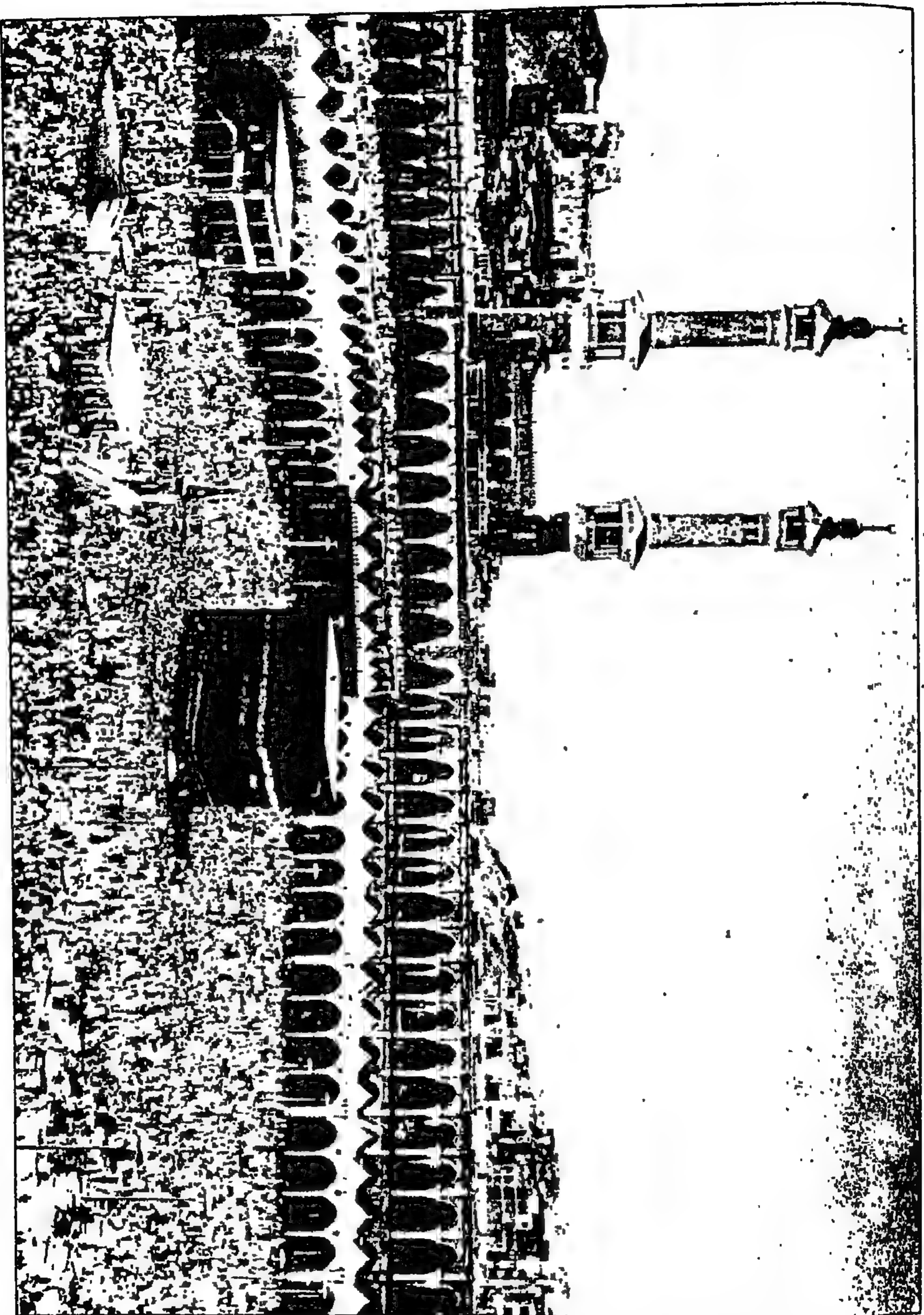
(٢) النبهاني : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٠٠ .

(٣) المقرئزي : امتاع الأسماع ج ١ ص ٣٣٦ . النبهاني : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٠٠ .

(٤) المقرئزي . امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٤٣٦ .

المقرئزي : امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٥٤ .



مكة المكرمة بتوسطها بيت الله الحرام

ركناً من أركان الشريعة الإسلامية

كان لاتخاذ المسلمين الكعبة قبله لهم في الصلاة في السنة الثانية للهجرة^(١) وفرض الحج عليهم في السنة السابعة قيمة كبيرة من حيث العلاقة بين مكة والمدينة . فهذان التشريعان يساعدان على تقريب مسافة الخلاف بين المسلمين في المدينة والقرشيين في مكة التي تسيطر عليها قريش لأن مكة أصبحت مكاناً مقدساً عند المسلمين يفدون اليه لزيارة بيت الله الحرام الذي هو في نفس الوقت قبلتهم في الصلاة . ولا يخفى علينا ما يترتب على ذلك من نمو العلاقات بين الفريقين وحرص المسلمين على أن يكونوا في أمن وطمأنينة إذا ما قدموا مكة لأداء فريضة الحج مما جعلهم يسارعون إلى فتحها في السنة الثامنة للهجرة .

أخذت قريش بعد صلح الحديبية تغير نظرتها إلى النبي وتغير حكمها عليه ، وأصبحت ترى أنه قرشي على الرغم من العداوة بينها وبينه ، مجمعه وإياها نسب واحد ، وصارت تعجب في نفسها بعلو شأنه ونجاحه السياسي مما حمل بعض رجالها كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة على الهجرة إلى المدينة ومبايعة الرسول على الإسلام^(٢) . وفضلاً

(١) كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس في صلاته ، فيستقبل وسط جدار الكعبة الممتد من الركن اليماني إلى الركن الجنوبي الشرقي وهو الذي فيه الحجر الأسود ، فلما هاجر إلى المدينة ظل ستة عشر شهراً يصل إلى بيت المقدس وكان يود أن يصرف إلى الكعبة ، فصار إذا ما صلى يرفع وجهه إلى السماء ويدعو الله سبحانه وتعالى أن تكون قبلته قبل البيت الحرام ، فنزلت عليه هذه الآية في سورة البقرة « (قد ترى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) راجع ماورد عن صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة في « ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٦ - ٩ » .

(٢) المقرئزي : امتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤١ .

عن ذلك فإنها أيقنت من عجزها عن القضاء على نفوذ ودعوته بعد أن جربت معه كل وسائل العنف من اصطهاد وتخاربه وتاليب قبائل العرب عليه .

أما الرسول فكان واثقاً من تفوقه على قريش . فأخذ يعاملها معاملة من يشعر بقوة ، ذلك أنه قد اتفق معها في صلح الحديبية على أن يرد إليها من جاء بدون إذن وليه ؛ فصار يرد من جاءه من الرجال مسلماً . ولما جاءه نسوة مؤمنات ، أنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ، فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات ، فلا ترجعهن إلى الكفار لهن حل لهن ولاهن يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا أتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوها ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلك حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم^(١)) .

فنهى الرسول عن رد النساء المسلمات حين طلبت منه قريش ردهن تنفيذاً لشروط الصلح^(٢) وأظهر استعداداً لدفع بعض الأموال لأولياء هؤلاء النساء أزواجاً كانوا أو غير أزواج فإذا كان زوجاً أعاد له الصداق ، وإذا لم يكن كذلك أدى له بعض المال^(٣) . وقد أقام هذا الحكم على أساس شرعي . وهو أن المرأة المسلمة لا يجوز أن تتزوج غير مسلم . وكان لبعض المسلمين زوجات وثنيات ، فأمرهم الرسول أن يطلقوا هؤلاء ، وأصبح ذلك قانوناً شرعياً ثابتاً ؛ فالمسلم لا يجوز له أن يتزوج كافرة ، والمسلمة لا يجوز لها أن تتزوج غير مسلم .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل على انتهاء الفرص لتصفية العلاقة

(١) سورة المتحنة : آية ١٠ .

(٢) الطبرى : ج ٢ ص ٢٨٠

(٣) ابن هشام : سيرة النبی ج ٣ ص ٢٧٦ .

بينه وبين قريش وإتمام النصر عليها . فلما بلغه أنها نقضت صلح الحديبية بإمدادها بعض قبائل بني بكر بالرجال والسلاح في الحرب التي قامت بينها وبين حليفته خزاعة ، عول على انتهاز هذه الفرصة للقضاء على مناوئتها وتحقيق رغبته في دخول مكة وضمها الى الكتلة الاسلامية ، فوعد رسول خزاعة بالمساعدة^(١)

على أن قريش مالبثت أن ندمت على معاونتها بني بكر ورات أن ما فعلته نقض صريح للعهد الذي بينهم وبين الرسول ، ثم استقر رأيهم على أن يبعثوا أبا سفيان بن حرب إلى المدينة ليفاوض الرسول في تجديد معاهدة الحديبية ومد أجلها ، فقدم أبو سفيان ضارعاً متذللاً وحاول مقابلة الرسول ، فأعرض عنه ورفض طلبه وقال : « نحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبذل »^(٢) . فرأى أبو سفيان أن يجدد مسعاه لدى أبي بكر وعمر وعلى - وهم من كبار الصحابة لعل النبي يقبل رجاءهم ، فأبوا أن يحدثوا الرسول في شيء لا يوافق عليه ، فعاد أبو سفيان من حيث أتى^(٣) .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى إذ ذاك أن إخضاع قريش أصبح أمراً ميسوراً ، فأرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من المسلمين يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليحضر رمضان بالمدينة » ، وبعث رسلاً إلى القبائل فوافاه بالمدينة قبائل : أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع ولحق به قبائل أخرى في الطريق . وبلغ عدد الذين اجتمعوا إليه من المسلمين في النصف الأول من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة عشرة آلاف ، سار بهم قاصداً مكة^(٤) .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٨١ .

(٢) المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٨

(٣) المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٩

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٨٣ .

(م ٩ - قيام الدولة العربية الإسلامية)

وقعت في منتصف الطريق أثناء مسير النبي الى مكة عدة حوادث تدلنا على أنه كان هناك رغبة من جانب قريش في الاستسلام بطريقة لاتمس كرامتها ومكانتها ، من ذلك أن الرسول لقي عمه العباس بن عبدالمطلب مهاجراً بعياله^(١)، فأسلم بين يديه^(٢) وبعد مرحلة أخرى من مراحل الطريق ، لقي الرسول رجلين آخرين من كبار القرشيين هما أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وعبدالله بن المغيرة يريدان الإسلام ، وأولهما ابن عم النبي والثاني ابن عمته ، فالتصا بمقابلة الرسول ، فأعرض عنهما في بادئ الأمر ولما ألحا عليه واعتذرا له أذن لهما بمقابلته وصفح عنهما^(٣).

هناك حادثة أخرى وقعت في الطريق ترينا رغبة سادة قريش في التوسط لأنفسهم وبلدهم لكي ينالوا أماناً من جيش المسلمين . فقد سار العباس بعد مقابله الرسول يبحث عن رجل يبعثه إلى قريش ليأخذوا حذرهم ويبادروا بالاستسلام فلقي أبو سفيان بن حرب الذي خرج من مكة هائماً على وجهه مع بعض أصحابه سعياً وراء مقابلة النبي ليأخذ منه أماناً للقرشيين ، لكنه لم يحظ بهذا الشرف إلا بعد شقاعة العباس ، ولما سمح النبي بمقابلته أسلم بين يديه ، ومنحه الرسول أماناً يتضمن أن « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن »^(٤). فعاد أبو سفيان الى مكة داعياً قريش إلى الإسلام ، وصار ينادي بها قائلاً : « يامعشر قريش . ويحكم إنه قد جاء مالا قبل لكم به : هذا محمد في عشرة آلاف ، عليهم الحديد فأسلموا تسلموا »^(٥).

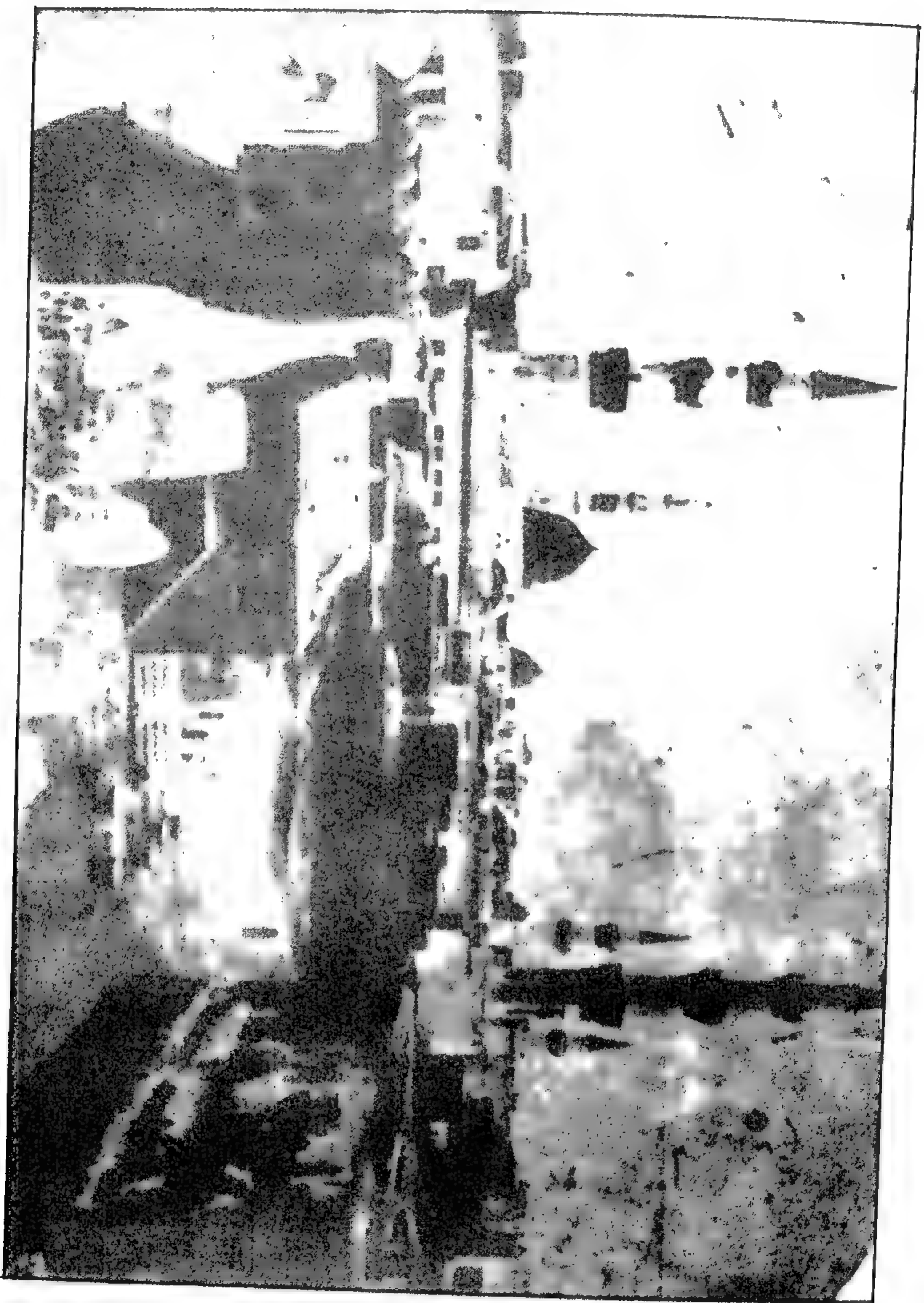
(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ١٨ .

(٢) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٦٧ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ١٨ ، ابن الأثير ، ج ٢ ص ٩٢ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ٢٠ - ٢٢ .

(٥) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣١١ - ٣٢٠ و ٣٧٦ .



المدينة المنورة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

لما اقترب الرسول من مكة ، اتخذ كل ماله من أهبة وحذر ، على الرغم من اعتناق بعض أشراف قريش الإسلام . فقسم جيشه أربعة أقسام جعل كل قسم منها يدخل من جهة معينة ليقتضي على ما يصادفه من مقاومة^(١) ولم يقع قتال يذكر بين الفريقين إلا مناوشات بسيطة بين القوة الإسلامية التي دخلت مكة من أسفلها - وعلى رأسها خالد بن الوليد - ، وبين فريق من القرشيين وأحبابهم^(٢) في مكان يقال له الخندمة ،^(٣) ولكن خالد ما لبث أن أخضعهم ، وانتهت هذه المناوشات بدخول المسلمين مكة . وتوجه رسول الله إلى الكعبة وطاف بها سبع مرات وشكر الله على هذا الفتح وحطم ماحولها من الأصنام . ثم جاءته قريش وأسلموا بين يديه وبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

عامل الرسول القرشيين معاملة تنطوي على كثير من التسامح ، فأصدر عفواً عاماً عنهم بقوله^(٤) : « أنتم الطلقاء ، مثل ومثلكم كما قال يوسف لإخوته (لا تثرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) لذلك سمى أهل مكة الطلقاء^(٥) .

كما نهى الرسول عن الهجرة بعد فتحه مكة ، وأبقى سقاية الحجاج في يد العباس بن عبد المطلب وسدانة الكعبة في يد عثمان بن طلحة^(٦) .

كذلك أعلن الرسول حرمة مكة في اليوم التالي لدخوله هذه المدينة في خطبة ألقاها عند باب الكعبة ، فقال : « أيها الناس ، إن الله حرم مكة .

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٥ - ٢٦ ، اليعقوبي ، ج ٢ ص ٤٤ .

(٢) الطبري : ج ٢ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ١٨٣ .

(٤) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٨٢ - ٣٨٦ .

(٥) ابن الأثير : ح ٢ ص ٩٦ .

(٦) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٨٨ .

(٧) ابن هشام : ج ٤ ص ٣٥ - ٣٦ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٨٩ .

يوم خلق السموات والأرض ، ويوم خلق الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين ، فهي حرام إلى يوم القيامة ؛ لا يتحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد^(١) فيها شجراً ، لم تحل لأحد كان قبل ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، ثم رجعت حرمتها بالأمس فليبلغ شاهدكم غائبكم .

أرسل النبي غداة الفتح بعض سراياه إلى ظواهر مكة وضواحيها لدعوة أهلها إلى الإسلام والقضاء على معالم الوثنية فيها ، فبعث هشام بن العاص إلى يلملم^(٢) ، وخالد بن سعيد بن العاص إلى عرنة^(٣) ، وخالد بن الوليد إلى العزى بنخلة ، فلما انتهى إليها هدمها ، وأنفذ عمرو بن العاص إلى سواع صنم هذيل فهدمه ، ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يدعن في بيته صنماً إلا كسره أو حرقه وثمنه حرام » . وكانت بيوت القرشيين في مكة لا تخلو من الأصنام ، فسارع المسلمون إلى كسرها والتخلص منها^(٤) .

موقف قبيلتي هوازن وثقيف من الرسول :

كان لقريش حلفاء ظاهروها في حروبها مع الرسول ، نخص بالذكر منهم : هوازن وغطفان وثقيف التي كانت تربطها بقريش بعض العلاقات . فلما قضى الرسول على قريش ومقاومتها ونظامها القديم القائم على الوثنية ، وأصبح حلفاؤها هوازن وثقيف وغيرهم من القبائل العربية التي تقيم على

(١) يعضد - يقطع .

(٢) يلملم : موضع ، يقع إلى الجنوب من مكة ؛ وهو ميقات أهل اليمن ، فمنه يحرمون إذا أرادوا الحج أو العمرة .

(٣) ابن فضل الله العمري : مسالك الإبحار في ممالك الأمطار ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) عرنة : واد بحداء عرفات ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٦ ص ١٦٩ .

(٥) ابن سعيد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٩٣ - ١٩٥ ، المقرئ ، امتاع الأسماع

ج ١ ص ٣٩٨ « النبهاني ، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٥٥ .

مقربة من مكة معزولين أمامه . رأت هذه القبائل ان الرسول لابد أن يفكر في مهاجمتها . لذلك صممت على محاربته قبل أن يهاجمها . وتجمع من هوازن وثقيف عدد كبير وساروا يريدون مكة تحت قيادة مالك بن عوف النضري سيد هوازن وساقوا معهم على عادة العرب في الجاهلية أموالهم ونساءهم ، ليكون ذلك حافزاً لهم على الاستبسال في الحرب ، كما خرج معهم الشاعر المعمر دريد بن الصمة لينتفعوا بخبرته وتجاريه ، غير أنهم لم يتصحوا بنصيحته حين اعترض - بعد نزولهم بأوطاس - على أخذهم أموالهم ونساءهم وأبناءهم في الوقت الذي يتأهبون فيه للقتال^(١).

لما علم الرسول بتجمع هذه القبائل لمحاربته ، خرج من فوره لصد خطرهم على رأس الجيش الذي قدم به من المدينة لغزو مكة ، وانضم إليه ألفان من القرشيين الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح ، كان من بينهم أبو سفيان بن حرب^(٢).

كانت المنطقة التي تقع شرق مكة حيث دارت المعركة بين المسلمين وقبائل هوازن وثقيف جبلية وتتخللها أودية وشعاب ، فلما انتهى الرسول إلى حنين^(٣) في ١٠ شوال سنة ٨ هـ عسكر بها ، فخال المسلمين شيء من الزهو والإعجاب لكثرة عددهم . أما هوازن وثقيف فكمنوا في شعاب الوادي وجوانبه ومضايقه وتهاؤا للحرب . ولما سار المسلمون لمهاجمتهم في الصباح الباكر والضوء لا يزال مختلطاً بالظلام لم يعثروا لهم على أثر . غير أنهم سرعان ما فزعوا واختل نظامهم حين خرج إليهم العدو وانقض عليهم من كل ناحية ، ففر كثير منهم وبخاصة الذين أسلموا حديثاً من قريش^(٤).

(١) المقرئزي : امتاع الأسماع : ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي : ج ٤ ص ٦٨ .

(٣) حنين ، واد بينه وبين مكة ثلاثة أميال بالقرب من الطائف ، المقرئزي : امتاع

الأسماع . ج ١ ص ٤٠١ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ٧١ المقرئزي . امتاع الأسماع ج ١ ص

وأنزل الله تعالى في يوم حنين هذه الآية في سورة التوبة (آية ٢٦) : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلن تغن عنكم شيئاً ، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) .

رأى الرسول أن يعيد تنظيم صفوف المسلمين بعدما وهنت عزيمتهم فانحاز ذات اليمين مع نفر ثبتوا معه من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وأخذ يناديهم ، فأقبلوا إليه وألتفوا حوله^(١) . واستؤنف القتال ، فأبلى المسلمون بلاءً حسناً في مقاتلة هوازن وثقيف وأوقعوا بهم الهزيمة ، فولوا هاربين بدورهم ، وسار بعضهم إلى الطائف وفريق آخر إلى نخلة ، وتوجه قوم إلى أوطاس تاركين أموالهم وذرائعهم غنيمة للمسلمين ، فوجه إليهم الرسول بعض صحابته يتعقبونهم ليقضوا على مقاومتهم^(٢) .

لم يشأ النبي أن يشغل المسلمين بالغنائم ، فأمر بجمعها ووضعها في مكان يقال له الجعرانة^(٣) حتى يفرغ من أمر العدو ، ثم تاهب للمسير إلى الطائف لمطاردة فلول ثقيف الذين لجأوا إليها وكانت هذه المدينة إذ ذاك محصنة ويحيط بها سور يحول دون اقتحامها ، فنزل الرسول مع أصحابه على مقربة من حصن الطائف^(٤) ، فاعتدى أهل هذه المدينة بنباهم على المسلمين مما اضطر الرسول إلى أن يعسكر بمكان آخر يأمن فيه على أصحابه من رمى أهل الطائف^(٥) ونادى مناديه أثناء حصاره هذه المدينة بأن من يأتي إليه من عبيدها يصبح حراً ، فنزل عليه ثلاثة وعشرون رجلاً ، فأعتقهم ووكل أمر النفقة عليهم إلى بعض المسلمين . كما أمر بتعليمهم القرآن والسنن ، فشق

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ٧٢ - ٧٤ ، الطبري ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، الطبري ج ٢ ص ٣٥١ .

(٣) الجعرانة : تقع بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٣

ص ١٠٩ .

(٤) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤١٦ .

(٥) الطبري : ج ٢ ص ٣٥٤ ، النبهاني : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٢١١ .

ذلك على أهل الطائف^(١).

ظل الرسول يحاصر الطائف ما يقرب من خمسة عشر يوماً ، ولما حل شهر ذى القعدة ، وهو من الأشهر الحرم - رفع عنها الحصار وانصرف عائداً إلى الجعرانة ليقسم سبى أهل حنين وغنائمهم^(٢) ، فوصل إليها في اليوم الخامس من هذا الشهر^(٣).

قدم على الرسول أثناء إقامته بالجعرانة وفد هوازن وأخبروه بإسلامهم وإسلام قبيلتهم وتوسلوا إليه أن يرد عليهم ذراريهم وأموالهم ، ولم يفت هذا الوفد أن يحدث الرسول عن الصلة الوثيقة التي تربطه بهوازن ، فقد قضى أيام الطفولة بين قبيلتهم حيث أرضعته السيدة حليلة - وهي من هوازن - فقالوا له : « يارسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا ، من الله عليك إنما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك^(٤) » .

كان لهذا الحديث أثره في نفس الرسول فخيرهم بين أخذ السبى أو الأموال فقالوا له : « يارسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد علينا نساءنا وأبنائنا فهم أحب إلينا^(٥) » .

على أن النبي لم ير مبرراً للاعتداء على حق جيشه في الغنيمة وغول على أن يتصرف في حقه الخاص وحق أهل بيته ، فقال لوفد هوازن . « أما ما كان لي ولبنى عبدالمطلب فهو لكم » ، فاقتدى به المهاجرون والأنصار ، وأبى بعض الأعراب النزول غن نصيبهم في السبى « فقام الرسول وألقى قوله »^(٦) على أصحابه

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ١٣٠ ، ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٢١ -

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٧ .

(٣) المقرئ : إمتاع لأسماع ج ١ ص ٤٢٠ .

(٤) ابن هشام : ح ٤ ص ١٤٣ ، المقرئ : إمتاع لأسماع ج ١ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٥) ابن هشام : ج ٤ ص ١٣٥ .

وعد فيها الذين يخلون سبيل ما عندهم من السبي بنصيب مضاعف في أول فيء يفيئه الله عليه فقال : إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم ، فخيرهم بين النساء والأبناء والأموال ، فلم يعدلوا بالنساء والأموال شيئاً ، فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يرده فسبيل ذلك ، ومن أب منكم وتمسك بحقه فليرد عليهم ولكن ذلك فرض علينا ست فرائض من أول ما يفيء علينا به ، فقالوا له يا رسول الله ، رضينا وسلمنا . ومالبثوا أن ردوا على هوازن نساءهم وأبناءهم^(١) .

أما الأموال التي غنمها المسلمون من هوازن فقسمها الرسول على المؤلفة قلوبهم من كبار القرشيين وغيرهم من العرب الذين أسلموا حديثاً ، ولم يعط الأنصار شيئاً منها مما جعلهم يغضبون في أنفسهم ، وقال بعضهم لبعض : « لقي الله رسول الله قومه » ، ولما بلغ النبي حديثهم ، دعاهم ليزيل من نفوسهم الغضب والخوف ، وقال لهم : « يامعشر الأنصار ، مامقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم . . قالوا : بلى . . فقال رسول الله : وجدتم في أنفسكم يامعشر الأنصار في شيء من الدنيا تألفت به قوما أسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم . أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن تذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم ، والذي نفسي بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار وختم حديثه بقوله : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » فقال الأنصار : رضينا برسول الله قسماً وحظاً^(٢) ، وبذلك هدأت نفوسهم .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٢٠٤ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٢) المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٤٣٢ .

سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن ينصرف مع أصحابه إلى المدينة أن يولى على مكة عتّاب بن أسيد لينظم أمور المسلمين بها ، وكان قد عينه قبل ذلك أميراً على الذين تخلفوا عنه بمكة حين خرج لمحاربة قبائل هوازن وثقيف ، كما ترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري ليعلموا الناس القرآن ويفقهاهم في الدين^(١).

لم تسارع قبيلة ثقيف إلى الدخول في الإسلام كما فعلت حليفها هوازن بل احتفظت بوثنيتها وتملكها شيء من الزهو حين انصرف جيش المسلمين دون أن يفتح بلادهم. ولكن بعض زعمائها مالبتوا أن وقفوا على حقيقة الحال في جزيرة العرب ورأوا أن المسلمين أصبحوا بها قوة كبيرة ، وأن من مصلحتهم الدخول في الإسلام ، ومن هؤلاء عروة بن مسعود الثقفي الذي لحق بالرسول في المدينة وأسلم واستأذنه في العودة إلى بلده لتحويل عشيرته إلى الإسلام . فلما قدم الطائف أعلن نبذه عبادة الأصنام ودعا الناس إلى الإسلام ، وبينما كان يقوم بنشر دعوته إذا بسهم يصيب منه مقتلاً^(٢) ، فمات وهو يحمد الله على أن وهب له شرف الاستشهاد^(٣).

ولما أيقن سادات ثقيف أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين أسلموا ، استقر رأيهم على أن يبعثوا إلى الرسول بالمدينة وفداً برياسة عبد ياليل ابن عمرو بن عمير ليعرض عليه صلح ثقيف معه واتفاقهم على الدخول في الإسلام ، وكان من بين أعضاء هذا الوفد اثنان من الأحلاف هما الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب وثلاثة من بني مالك ، هم عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان ،

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٣٢

(٢) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٤ ، ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٧٦ .

(٣) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٤١ .

وأوس بن عوف ، وغير بن خرشة بن ربيعة^(١).

لما دنا وفد ثقيف من المدينة ، قابلهم المغيرة بن شعبة ، وسار مسرعاً إلى الرسول ليشره بقدمهم ، فلقه أبو بكر وقال له : « أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا الذي أحدثه » ، فأجاب المغيرة طلبه ، وأخبر أبو بكر الرسول بوصول وفد ثقيف ، فأمر لهم الرسول بثلاث خيمات من حرير ، ضربن في مسجده^(٢) وصار يجري لهم الضيافة في دار المغيرة^(٣). وكان الرسول يأتي إليهم كل ليلة بعد العشاء فيحدثهم ويرغبهم في الإسلام^(٤).

وعلى الرغم مما أظهره وفد ثقيف من استعدادهم للدخول في الإسلام ، فإنهم طلبوا من الرسول أن يدع لهم اللات لا يهدمها ، فأبى وعهد إلى أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة بهدمها ، كما سأله أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال الرسول : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه^(٥).

كذلك سأل وفد ثقيف الرسول أن يحرم لهم وجاً^(٦) ، فكتب لهم هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين ، إن عضاة^(٧) وج وصيده لا يعضد^(٨) ، فمن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ١٦٥ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .
(٢) ذكر ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٨٨ ، أن الأحلاف من ثقيف نزلوا على المغيرة بن شعبة فأكرمهم ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بأن يضرب لأعضاء هذا الوفد من بني مالك قبة في المسجد .

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٩٠ .

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٧٨ .

(٥) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٧ ، الطبري ، ج ١ ص ٣٦٥ .

(٦) حرم وجا : أي أعلن حرمة وج وهو اسم للطائفة موطن قبيلة ثقيف « حاشية رقم ٢

المقرئ : إمتاع الأسماع : ج ١ ص ٤٩٣

(٧) عضاة : شجر له شوك

(٨) يعضد : يقطع . حاشية رقم ١ و ٢ - ابن هشام ج ٤ ص ٢٠

يجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يأخذ فيبلغ به النبي محمدا ، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « وكتب خالد بن سعيد بن العاص بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعده أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(١).

أقبل وفد ثقيف على تعلم شرائع الإسلام بعد أن أسمعهم الرسول بأن الدخول في الدين الإسلامي يستلزم اتباع جميع أحكامه ، ثم وقع اختياره على عثمان بن أبي العاص الثقفي ليكون أميراً عليهم مع أنه أحدثهم سنا ، لما رأى من حرصه على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن ، وقال : « اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً »^(٢).

خرج وفد ثقيف من المدينة - بعد أن تم إسلامهم - قاصدين بلدهم ، لينشروا الدعوة الإسلامية بين قومهم ، وبعث الرسول معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليقوما بهدم اللات ، فلما بلغوا الطائف ، أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى عليه ذلك وقال له : ادخل أنت على قومك ، ثم شرع المغيرة في هدم اللات وقام قومه بحمايته خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود من قبل^(٣).

على أن أهل الطائف الذين حرصوا على التمسك بوثنيتهم سرعان ما دخلوا في دين الله وأصبحوا بعد إسلامهم من أخلص العرب للدين الإسلامي وأشدهم حرصاً على الذود عنه^(٤) ، وقد عبر المغيرة بن شعبة عن تمسك ثقيف بالإسلام بقوله : فدخلوا في الإسلام ، فلا أعلم قوماً من العرب بنى أب ولا قبيلة ، كانوا أصح إسلاماً ولا أبعد أن يوجد فيهم غش الله ولكتابه منهم^(٥).

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٠٠ ، اس سعد . الطبقات الكبير ج ٢ ص ٤٩

(٢) ابن هشام : ج ٨ ص ١٩٧ ، ابن الأثير ج ٢ ص ١٠٩ .

(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٨ ، الطبري ج ٣ ص ٣٦٦ .

(٤) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١١٨ .

(٥) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٨٨ .

٣ - موقف الرسول من يهود الحجاز

كان اليهود قبل ظهور الإسلام قد احتلوا أخصب بقاع الحجاز واستغلوها في الزراعة والصناعة والتجارة ، وقد أدى استعمارهم تلك البقاع واعتدادهم بأنفسهم ودينهم إلى كراهة العرب لهم ورغبتهم في إخراجهم من الحجاز ، ونلاحظ ذلك بصفة خاصة في يثرب حيث كان الأوس والخزرج يبذلون جهدهم للحلول محل اليهود في أراضيهم الخصبة ، فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حرص على تحقيق أحد أمرين : إما أن يجتذب اليهود المقيمين بها إلى الإسلام أو يكتسب صداقتهم وإخلاصهم مع بقائهم على دينهم ، وتحقيقاً لهذه الغاية ، كتب كتاباً بين فيه ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، غير أنهم لم يدركوا حقيقة موقفهم ، فصاروا في عداوة مع الرسول على غير هدى ، وأخذوا يصرحون بالشك في رسالته لالشيء سوى انه عربي والنبوة في نظرهم مقصورة عليهم ، ولأنه أيضاً بعث في الحجاز والنبوة في رأيهم إنما تكون في الشام موطن الأنبياء .

كذلك عمل اليهود على إثارة النزاع بين أصحاب النبي وخاصة أهل المدينة ، فأخذوا يذكرونها بالانتصارات القديمة والحروب التي كانت بين الأوس والخزرج وعلى الأخص « يوم بعاث » الذي انتصرت فيه الأوس وما إلى ذلك من طرق التفرقة ، كما مالوا ناحية قريش حين وقعت الحرب بينها وبين الرسول ، وقد ظهر واضحاً عقب واقعة بدر ؛ إذ قام شعراء من اليهود يرثون قتلى قريش ويعرضون بالمسلمين .



لم يكن اليهود في الحجاز متحدين ، وليس بينهم رابطة سياسية تجمعهم ،

بل كانوا قبائل متفرقة ، تعيش كل منها في حدود نظامها . فلما أظهروا عداؤهم للمسلمين لم يكونوا جبهة واحدة للوقوف أمامهم ، فحاصروهم الرسول قبيلة بعد قبيلة وأجلاهم عن المدينة ، ثم أخذ يتبع حركاتهم بعد أن اجتمع شملهم بخيبر ، فسار إليهم وأضعف شوكتهم .

كانت قبيلة بني قينقاع أول من استهدف من يهود المدينة لمقاومة المسلمين وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل بينه وبينهم أماناً وشرط عليهم شروطاً ، منها : ألا يظاهروا عليه عدواً فلما قدم من بدر ، أظهر بنو قينقاع البغى والحسد ونقضوا العهد الذي عقده معهم^(١) ، فانزل الله على نبيه في سورة الأنفال (آية ٥٨) (وإما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) فجمعهم الرسول بسوق بني قينقاع وقال : « يا معشر يهود . أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » ، فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك من لقيت ، إنك قهرت قوماً غماراً ، وإنا والله أصحاب الحرب ، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا^(٢) .

لم يكن لبني قينقاع حصون ولا معقل . وإنما كانوا تجاراً وصاغة ، وهم حلفاء لعبدالله بن أبي بن سلول . فسار إليهم الرسول وحاصروهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا إلى النزول على حكمه الذي تضمن أن تكون أموالهم غنيمة له ، وتكون النساء والذرية لهم ، ثم أخلى سبيلهم بعد أن شفع فيه عبدالله ابن أبي ، وأمرهم بالجللاء عن المدينة ، فساروا صوب شمال الحجاز حتى نزلوا بأذرعات^(٣) بنسائهم وذرايرهم وقسم الرسول ما غنمه منهم على المسلمين^(٤) .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٦٨ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ٢ ص ١٠٤

(٢) ابن هشام : ج ٢ ص ٤٢٦ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٤ .

(٣) أذرعات : مدينة بأطراف الشام قبل الحجاز

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٦٨ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٥

كذلك توترت العلاقة بين قبيلة بني النضير وبين الرسول بعد واقعة أحد ، ويرجع السبب المباشر في ذلك إلى ما روى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من الأنصار يعرفون بالقراء ليدعوا أهل نجد إلى الإسلام^(١)، فساروا من المدينة حتى نزلوا بئر معونة^(٢)، وأنفذوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل ، فلما قدم عليه لم يقرأ كتابه وقتله ، ثم استعان بقبائل بني سليم في مقاتلة القراء ، فقاتلوهم ، ولم ينج منهم إلا عمرو بن أمية الضمري^(٣)، وبينما كان هذا الرجل عائداً إلى المدينة لقي رجلين من بني عامر فقتلتهما - وكان الرسول قد عقد لهما أماناً وجواراً - ولما علم الرسول بذلك قال لعمرو ابن أمية : بش ما صنعت ، قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار^(٤)، وبعث عامر بن الطفيل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب دية هذين الرجلين العامريين^(٥)، ثم خرج الرسول ومعه بعض أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى إلى بني النضير يستعينهم في ديتهما لأن بني النضير كانوا حلفاء بني عامر ، فوعده بإعانتهم على دفع الدية . ثم خلا بعضهم إلى بعض وتأمرؤا على التخلص منه وذلك بإلقاء حجر عليه من فوق البيت الذي كان يجلس تحته ، غير أن الرسول سرعان ما فطر إلى هذه المؤامرة ؛ فقام

(١) النبهال . الأنوار الحمديدية من المواهب اللدنية ص ٧٩ .

(٢) بئر معونة : ماء لبني عامر بن صعصعة بين مكة وغطقان ، المقرئزي ، امتاع الأسماع ج ١ ص ١٧٠ .

(٣) المقرئزي : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٧١

(٤) المقرئزي : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٥) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٩٥

من فوره عائداً إلى المدينة ولحق به أصحابه^(١). ثم بعث إلى بني النضير رسولا من قبله ، يأمرهم بالجللاء. عن بلده^(٢) لنقضهم العهد بمحاولتهم الغدر به ، وأمهلهم عشرة أيام يجاربون بعدها إذا لم يخرجوا ، فأبوا عليه ذلك فأمر الرسول أصحابه بالتهيؤ لمحاربتهم ، ثم زحف إليهم في ربيع الأول سنة ٤هـ ، فوجدهم مقيمين بحصونهم ، ولم تعنهم قريظة بل اعتزلتهم ، كما أن عبدالله ابن أبي وحلفاءهم من غطفان خذلوهم^(٣) ، فحاصروهم الرسول ، وألقى الله في قلوبهم الرعب ، فلما رأوا أنه ليس لديهم القوة لمحاربة الرسول ، طلبوا منه الصلح^(٤) . فصالحهم - بعد أن ظل يحاصروهم خمسة عشر يوماً - على ألا يتعرض لأحد منهم بسوء ؛ وأن يرحلوا من بلده ولهم ما حملت الإبل من أموالهم ومتاعهم ، ولرسول الله أرضهم ونخلهم وأسلحتهم^(٥) ، فخرجوا من المدينة على ستمائة بعير نقلوا عليها ما استحسنوه من بيوتهم التي خربوها بأيديهم ، ونزل أكثرهم بخيبر وذهبت طائفة منهم إلى الشام^(٥).

أنزل الله تعالى في بني النضير وجلاتهم عن المدينة هذه الآيات في سورة الحشر^(٦) (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ، هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ١٩١ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٩٩ .

(٤) اليعقوبي : ج ٢ ص ٣٧ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١ .

(٦) ابن هشام : ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٨١ .

(٧) آية : ١ - ٥ .

فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شافوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله وإن الله شديد العقاب ، ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) .

كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ، أى أنها خالصة له يضعها حيث يشاء^(١) بقول الله تعالى في سورة الحشر^(٢) : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء) .

فلما غنم الرسول أموال بني النضير ، دعا الأنصار وذكرهم بما صنعوا للمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم ، ثم قال لهم : ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً ، وإن شئتم امسكتكم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة . فقالوا : بل قسم هذه فيهم وأقسم لهم من أموالنا ما شئتم ، فقسم الرسول ما أفاء الله عليه ، على المهاجرين دون الأنصار^(٣) .

لم يبق بالمدينة من اليهود بعد إجلاء بني النضير إلا بنو قريظة . وكان بينهم وبين الرسول عهد فنقضوه وانحازوا إلى قريش في واقعة الخندق^(٤) . فأصبح الرسول يرى بعد موقفهم العدائى منه في هذه الواقعة أن وجودهم بالمدينة خطر عليه . لذلك نجده بعد انصراف الأحزاب يشرع من فوره الى دعوة المسلمين بحاربة بنى قريظة ، فساروا معه وحاصروهم في حصونهم

(١) ابن هشام : « ح ٣ ص ١٩٤ » ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣ .

(٢) البلاذرى : « فتوح البلدان ص ٣٢ - ٣٤ » ، المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٨٢ -

(٤) العسوى : ح ٣٩ .

التي تحصنوا بها . فبعث اليه بنو قريظة رسولا من قبلهم يطلب منه ان يصالحهم كما صالح بنى النضير ، ويخرجون من المدينة بنسائهم وذرائعهم وما حملت ابلهم ، فأبى الرسول لأنه رأى أن بنى النضير بعد أن أجلاهم من المدينة ألجأوا عليه الاحزاب فأتاروا قريشاً وعرب البادية من غطفان وغيرها ، فإذا ما أجلى بنى قريظة كما أجلى بنى النضير فإنهم قد يتحالفون مع بنى جلدتهم من اليهود ضده ويشيرون عليه القبائل العربية التي لم تزل على وثنيها . هذا الى أن بنى قريظة كادت تكون سبباً في إلحاق الهزيمة بالمسلمين بمظاهرتها قريش في واقعة الخندق ، لذلك رأى الرسول أنه لابد من التخلص منهم ، فلما اشتد عليهم الحصار ، نزلوا على حكمه بعد أن ظل يحاصرهم خمسة عشر يوماً ، فأمر باعتقال أسراهم وأبقى النساء والذرائع في ناحية بعد أن أخرجهم من الحصون ، وجمعت أموالهم ومواشيهم وأسلحتهم فطلبت الأوس من الرسول أن يهب لهم بنى قريظة لأنهم حلفاؤهم ، فقال لهم : أما ترضون أن يكون الحكم فيهم الى رجل منكم ؟ فرحبوا بذلك ، ووقع اختيار الرسول على سعد بن معاذ الأوسى ، فلقى هذا الاختبار قبولا منهم وقضى سعد بأن تقتل رجالهم وتسبى النساء والذرية ، وتقسم أموالهم بين المسلمين . فأقر الرسول هذا الحكم وعمل على تنفيذه^(١).

تم للنبي بالقضاء على بنى قريظة السيطرة على المدينة ، وأصبح يأمن فيها على نفسه بعد أن تخلص من العناصر المناوئة ، كما انتفع فقراء المسلمين بصفة خاصة من أنصار ومهاجرين بتلك الأراضي والمنقولات التي كان يمتلكها اليهود .

لم ينته خطر اليهود ببلاد الحجاز بإجلالهم عن المدينة ، فرأى الرسول

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١١٧ - ١٢٠ ، المقرئى ، امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

بعد أن عقد مع قريش صلح الحديبية أن يهاجم خيبر حيث يقيم اليهود الدين كانوا يمتون بصلات كثيرة إلى قبائل بني قينقاع وبني النضير ، وكان الخطر من قبلهم على المدينة لا يزال متوقفاً ؛ فتأهب الرسول للخروج اليهم في السنة السابعة للهجرة وأمر أصحابه بالتهيؤ للغزو ، وأعلن بينهم ألا يخرج معه إلا كل راغب في الجهاد^(١). ثم سار قاصداً خيبر على رأس ألف وأربعمائة من المسلمين الذين كانوا معه في الحديبية .

كان يهود خيبر اذ ذاك يقيمون بحصون على نحو ما كان يفعل بنو جلدتهم بيثرب . ولم يدر بخاطرهم أن الرسول سيغزوهم لمنعتهم ووفرة سلاحهم وكثرة عددهم ، لكن الرسول مالبث أن نزل بساحتهم ليلاً على حين غفلة منهم ، بحيث لم يستطيعوا ان يضموا اليهم حلفاءهم . فلما أصبح الصباح وشرعوا يتأهبون لأداء أعمالهم فوجئوا بمشاهدة المسلمين أمامهم ، فذعروا وولوا هارين الى حصونهم ، ثم دار القتال بين الفريقين وهاجم المسلمون حصون اليهود حصناً ، بعد حصن وتمكنوا من فتح بعضها عنوة ، كما اخذوا البعض الآخر صلحاً ، ومن الحصون التي فتحها المسلمون عنوة حصن الشق والنظاة وحصن ناعم وحصن مصعب بن معاذ ، واستولى المسلمون على حصون الوطيح والكتيبة والسلام صلحاً .

أصبحت الحصون التي فتحت عنوة ملكاً للمسلمين . أما ما أخذ صلحاً ، فقد اتفق الرسول مع أصحابها على أن يبقوا بالأرض يزرعونها مناصفة ، النصف للمسلمين والنصف الآخر لليهود^(٢). ولما سمع أهل فذلك^(٣) بتلك المعاملة الحسنة التي عامل بها الرسول أهالي حصون خيبر ،

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات ج ٣ ص ١٥٢ ، المقرئى . امتاع الاسماع ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢) ابن سعد ج ٣ ص ١٦٠ ، المقرئى . امتاع الاسماع ج ١ ص ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٣) فذلك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . « ياقوت معجم البلدان ج ٦ ص ٤٣٢ .

أرسلوا إليه يطلبون الصلح ، فصالحهم وصاروا يعطونه نصف غلة أرضهم^(١) . وأصبحت فذك خالصة له لأن المسلمين لم يقفوا عليها بخيل ولا ركاب ، أما مغانم خيبر فقسمت على أهل الحديبية^(٢) . يقول الله تعالى في سورة الفتح^(٣) (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه)^(٤) .

كان لانتصار المسلمين في خيبر أهمية خاصة ، فقد ترتب عليه أن أصبح لدولتهم الناشئة أراضى مملوكة خارج المدينة يجبون منها الخراج ، كما أدى إلى وجود جماعة من اليهود يشملها السلطان السياسى للدولة الإسلامية . وهكذا وجد بتلك الدولة لأول مرة أهل ذمة . وقد سمح لهؤلاء الذميين بأن يظلوا على دينهم ويستغلوا أراضيههم وفق الشروط التى تؤخذ عليهم .

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ٣٨٩ .

(٢) القرئزى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢٦ .

(٣) آية ٢٠ .

(٤) يعنى خيبر .

٤ - توجيه الدعوة الإسلامية إلى خارج بلاد الحجاز

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تخلصه من يهود المدينة وعقده صلح الحديبية مع قريش أن يوجه نظره إلى خارج بلاد الحجاز لينشر بها الدعوة الإسلامية ، فأخذ منذ السنة السادسة للهجرة في إرسال رسل من قبله إلى قبائل العرب وأمراء النواحي . بل إلى ملوك الدول المعاصرة له ، وتعد هذه السياسة نقطة تحول هامة في تاريخ بلاد العرب ؛ فبعد أن كانت تلك البلاد مفككة العرى ويخضع بعض أطرافها للنفوذ الأجنبي ، استطاع بسياسته التي اتبعها لتعميم الدعوة الإسلامية أن يمهّد السبيل لتوحيد بلاد العرب سياسياً ودينياً .

(١) كتب الرسول إلى أمراء العرب .

كان من بين أمراء العرب الذين أرسل إليهم الرسول كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام ، المنذر بن ساوى أمير البحرين ، فقد بعث إليه الرسول كتاباً مع العلاء بن الحضرمي ، فكتب إليه المنذر بإسلامه وقال : « فاني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه وبأرضى يهود ومجوس ، فأحدث إلى في ذلك أمرك » . فكتب إليه الرسول : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فاني أذكرك الله عز وجل فإن من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسله ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسله قد أثنوا عليك خيراً ، وإن قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية »^(١).

(١) النبهاني : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٦٩ - ١٩٠ .

وكتب الرسول إلى أميري عمان : جيفر وعباد ابني الجلندي - وهما من الأزد - كتاباً بعثه مع عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان^(١). وحاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبدالله ورسوله إلى جعفر وعباد ابني الجلندي ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوكم بدعاية الإسلام ، أسلموا تسليماً ، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولستكما وإن إبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيل تحمل بساحتكم وتظهر نبوق على ملككما^(٢) » فأجابا إلى الإسلام وصدقاً بالنبى^(٣)

وبعث الرسول سلبط بن عمر العامري إلى هوزة بن علي الحنفي وإلى ثمامة ابن أثال أميري اليمامة يدعوها إلى الإسلام ، فلم يجبا دعوه^(٤)

وكتب الرسول إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق كتاباً بعثه مع شجاع بن وهب^(٥)، حاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده ، لا شريك له يبقى لك ملكك » . فلما أتاه الكتاب ، قال : من ينزع مني ملكي ، أنا سائر إليه (أي محاربه) ولم يسلم . فقال الرسول : ناد وباد ملكه .

كذلك بعث الرسول الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى صاحب بصرى ، فلما نزل مؤتة^(٦) اعترضه شر حليل بن عمرو الغساني وقتله^(٧).

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) النبهان : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٧٠ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٧ .

(٤) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٨٩ ، ابن سعد ج ٢ ص ٢٩ .

(٥) الطبري : ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٦) مؤتة قرية من قرى اللقاء في حدود الشام ، نامت . معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٠ .

(٧) النبهان ، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٠٣ ، المقرئ ، إمتاع الأسماع ج

ص ٣٤٥ .

وكتب الرسول إلى بعض أمراء اليمن ، منهم الحارث بن عبد كلال الحميري وشريح بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال . ونعمان قيل ذى يزن ومعاقر وهمدان ، وزرعة ذى رعين يدعوهم إلى الاسلام ، وأمرهم أن يؤدوا الصدقة والجزية لمعاذ بن جبل ومالك بن مرارة وأوصاهم بها خيرا ، فبعث إليه مالك بن مرارة يخبره باسلامهم ودخولهم طاعته^(١).

(ب) كتب الرسول إلى ملوك وأمراء الدول المعاصرة :

كذلك وجه الرسول إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة لجزيرة العرب كتباً مؤداها الترغيب في الدخول في الدين الإسلامي ، ولم يطلب منهم الخضوع لسلطانه . فأوفد عمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة ، وبعث معه كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام . فكتب إليه النجاشي رسالة يخبره فيها بقبوله دعوته وتصديقه إياها^(٢).

أما هرقل قيصر الروم ، فبعث إليه الرسول كتاباً مع دحية بن خليفة الكلبي ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك أثم الأريسيين^(٣) . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون^(٤) » فقبل هرقل كتاب الرسول وكتب إليه . « إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى ، من قيصر ملك الروم ، انه جاءني كتابك مع رسولك ، واني أشهد أنك رسول الله . نجدك عندنا في الإنجيل ، بشرنا بك عيسى ابن مريم ، واني دعوت الروم أن يؤمنوا بك ، فأبوا ، ولو أطاعون لكان خيراً

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) أي فإن مع إثمك إثم الأتباع والأريسي = الفلاح .

(٤) النبهي : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٦٦ .

لهم ولوددت انى عندك فأخدمك وأغسل قدميك^(١).

وبعث الرسول الى كسرى فارس كتابا مع عبدالله بن حذافة السهمي يدعو فيه الى اعتناق الإسلام ، واليك نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله عز وجل فإني رسول الله الى الناس كلهم لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن توليت فعليك إثم المجوس » ، فلما قرىء عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مزق الله ملكه »^(٢).

كذلك وجه الرسول الى المقوقس حاكم مصر من قبل هرقل امبراطور الروم كتابا مع حاطب بن أبي بلتعة ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبدالله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم القبط ، « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . فأحسن المقوقس استقبال رسول النبي وقبل كتابه وأجابه بقوله : « كنت أعلم أن نبياً قد بقى ، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام - وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله - ، فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعني في اتباعه ، ولا أحب أن يعلموا بمحاوري إياك^(٣) » ، وبعث

(١) العقوب : تاريخ اليعقوب ح ٢ ص ٦٢ -

(٢) الطبري : ج ٢ ص ٢٩٦ ، القرظي : إمتاع الأسماع ح ١ ص ٣٠٩ ، التبهاني ، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٦٦ .

(٣) ابن عبدالحكيم : فتوح مصر ج ٣ ص ٤٢ .

معه بهدية الى النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

فهذه الكتب التي وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم الى أمراء العرب والملوك المعاصرين له توضح لنا سياسته في العمل على تعميم نشر الدعوة الإسلامية ، كما تثبت لنا حرصه على تحقيق ماورد في القرآن من مطالبته الناس جميعاً بقبول الإسلام ، وفيما يلي بعض الآيات التي تشير الى أن الدين الإسلامي أنزل للناس جميعاً .

قال الله تعالى في سورة (ص)^(٢) : ﴿ ان هو الا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ .

وفي سورة (يس) آية ٦٩ : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) .
وفي سورة (الفرقان) آية ١ (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) .

وفي سورة (سبأ) آية ٢٨ : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وفي سورة (الأعراف) آية ١٥٨ (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً) .

(١) المقرئى ، امتاع الاسماع ج ١ ص ٣٠٨ .
(٢) آية ٨٧ و ٨٨ .

٥ - تأمين حدود بلاد العرب الشمالية

وتوطيد سلطان المسلمين عليها

رأى الرسول أن يتبع دعوته السلمية لنشر الإسلام خارج بلاد الحجاز بإعداد جيش لغزو الأراضي الجنوبية لبلاد الشام حيث يقيم الغساسنة . وكان مما دعاه الى ذلك أن الحارث بن عمير الأزدي لما نزل مؤتة بكتابه إلى صاحب بصرى ، اعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني وضرب عنقه ، فأستاء الرسول ، ودعا المسلمين إلى التأهب للحرب ، فسارعوا إلى تلبية دعوته ، وعسكروا بالجرف^(١).

وقع اختيار للرسول على موله زيد بن حارثة الكلبي ليكون أمير الجيش ، وأوصى في حالة موته أن يخلفه جعفر بن أبي طالب ، وإذا قتل جعفر حل محله عبدالله بن رواحة الأنصاري ، وإن أصيب عبدالله بسوء ، فليتنفق المسلمون على إسناد القيادة لرجل منهم^(٢). فخرج هؤلاء الأمراء إلى مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة ، على رأس جيش بلغت عدته ثلاثة آلاف ، وشيئهم رسول الله إلى ثنية الوداع^(٣) ، وأوصى أمراء الجيش بقوله^(٤) «أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لاتغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين ، فادعهم الى احدى ثلاث ، فأيتهم ما أجابوك إليها ، فاقبل منهم . واكف عنهم ، ادعهم

(١) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . ياقوت «معجم البلدان» ج ٣ ص ٨٧ .

(٢) الهعقوب : ج ٢ ص ٤٩ .

(٣) ثنية مشرفة على المدينة . يطؤها من يريد مكة ، وكان الناس في الجاهلية يودعون المسافرين من هذا المكان . ولذا عرف بثنية الوداع . انظر . ياقوت «معجم البلدان»

(٤) المقرئ . إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٤

إلى الدخول في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، . فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم مال المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، إن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، ويجرى عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الفىء ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . . . »

« وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزهم على حكم الله ، فلا تستنزهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإن تخفروا^(١) ذمتكم . وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . »

« وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس ، فلا تتعرضوا لهم ، وستجدون آخرين في رؤوسهم مفاحص^(٢) ، فاقلعوها بالسيوف ، لا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً^(٣) . ولا كبيراً فانياً ، ولا تغرقن نخلاً ، ولا تقلعن شجراً ، ولا تهدموا بيتاً . »

ولما فرغ الرسول من نصيحته لأمرأء الجيش ، قال له عبدالله بن رواحه : « يا رسول الله : مرني بشيء أحفظه عنك ، قال : إنك قادم غداً بلداً ،

(١) أى تنقضوا ذمتكم ولا توفوا بها .

(٢) المقصود بذلك أن الشيطان استوطن في رؤوسهم ، فجعل له فيها كمفاحص كمفاحص الطير ، فالومهم شدة البغى » انظر كتاب امتاع الأسماع ، حاشية رقم ٢ ص ٣٤٦ .

(٣) الضرع : الصغير السن .

السجود فيه قليل ، فأكثر السجود ، قال : زدني يا رسول الله ، قال : اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب .

سار جيش المسلمين إلى تخوم البلقاء . وكانت موطن نفوذ الغساسنة . ولما وصلوا إلى بلدة معان ، بلغهم أن هرقل نزل بمكان يقال له مآب في مائة ألف من الروم ومعه من قبائل بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام مائة ألف ، يتولى قيادتهم رجل من قبيلة بلى يقال له مالك بن رافلة^(١) ، فأخذوا يفكرون في الأمر وأرادوا أن يكتبوا إلى الرسول بكثرة عدد العدو ليعث إليهم مدداً أو يأمرهم بالعودة إلى المدينة . فشجعهم عبدالله بن رواحة على المضي في القتال وقال : « والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول الا بهذا الدين الذي أكرمه الله به ، انطلقوا ، والله لقد رأيتنا يوم بدر مامعنا إلا فرسان ، ويوم أحد فرس واحد فإنما هي إحدى الحسينين ، إما ظهور عليهم ، فذلك ما وعدنا الله ووعد نبينا وليس لوعده خلف ، وإما الشهادة فلنلحق بالأخوان نرافقهم في الجنان^(٢) » ، فتغلبت على المسلمين الحماسة الدينية وعزموا على المضي في سيرهم ، فمضوا إلى بلدة مؤتة حيث وافاهم المشركون معهم مالا قبل لهم من العدد والسلاح والديباج والحرير والذهب^(٣) . ثم دار القتال بين الفريقين ، فأخذ زيد بن حارثة اللواء وظل يقاتل حتى قتل ، فخلفه جعفر بن ابى طالب في القيادة . غير أنه لم يلبث أن استشهد في ميدان القتال وخلفه عبدالله ابن رواحة فقتل^(٤) . ثم ولى المسلمون عليهم خالد بن الوليد^(٥) . فبذل جهده في إنقاذ بقية جند المسلمين وعاد بهم إلى المدينة فقابلهم أهلها بشيء من السخط . غير أن الرسول لم ينظر إلى حادث انهزامهم هذه

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٧ .

(٢) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٨ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٧٥ .

(٤) ابن هشام : ج ٢ ص ٤٣٣ - ٤٣٥ .

(٥) ابن سعد : ج ٢ ص ١٧٥ : الطبرى ج ٢ ص ٢٢ .

النظرة ، بل أظهر أمله في عودتهم لمهاجمة العدو وإحراز النصر عليه .

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقضى على الآثار التي خلفتها غزوة مؤتة ويقوم بعمل حاسم يحول دون حدوث أى تهديد من قبل الروم ، فلما تم له فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة وانصرف عائداً الى المدينة ، عول على غزو حدود بلاد الشام الجنوبية المتاخمة لأعالى الحجاز ليوطد نفوذه بتلك المنطقة ويدعو أهلها إلى الإسلام ، فبين لأنصاره الجهة التي سيفزونها ليتدبروا أمرهم ويأخذوا أمبتهم . وكان قد بلغه أن الروم جمعت جموعاً كثيرة بالشام وضموا اليهم لخم وجذام وغسان وعاملة^(١) ، ثم بعث إلى القبائل ورؤساء العشائر يحثهم على الخروج ويرغبهم في الجهاد^(٢) ، كما حض الرسول المسلمين على بذل المال في سبيل الله^(٣) ، فسارعوا إلى تلبية طلبه . فجاء أبو بكر الصديق بكل ماله ، - وهو أربعة آلاف درهم - ، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله ، كما حمل إليه كل من العباس بن عبدالمطلب ، وطلحة بن عبيدالله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن عباد وعمر بن مسلمه مالا وفيراً . وكان عثمان بن عفان من أكثرهم نفقة ، إذ جهز ثلث الجيش^(٤) . كذلك أقبل أهل الغنى من الرجال والنساء على التبرع ببعض أموالهم .

وكانت حرارة الصيف وقتذاك شديدة ، والثمار قد طابت ، ويؤثر الناس البقاء بجوار ثمارهم^(٥) . فلما دعى الرسول المسلمين الى التهيؤ للغزو وجد ثاقلاً من بعضهم ، فاعتذر جماعة بأعذار واهية منها : مشاق السفر

(١) ابن سعد : ج ٣ ص ٢١٨ ، المقرئى . امتاع الاسماع ج ١ ص ٤٤٦ .

(٢) اليعقوبى : ج ٣ ص ٥١ .

(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ١٧٢ .

(٤) انظر . النبهاى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٢٧ .

(٥) المقرئى : امتاع الاسماع ج ١ ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٦) ابن هشام : ج ٥ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

ومعاجة وشدة الحر ، كما جاءه فريق من المنافقين يستأذنونهم في التخلف عن القتال دون أن يكون بهم غلة يشكون منها ؛ وتشير إلى ذلك هذه الآيات في سورة التوبة :

(يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) (آية ٣٨) .

(لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتعوك ولكن بعدت عليهم الشقة . وسحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون) (آية ٤٣) .

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لاتنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) (آية ٨١) .

(انما يستثدك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتأت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) . (آية ٤٥) .

(وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) (آية ٩٠) .

لما تغلب الرسول على الصعاب التي لاقاها في سبيل إعداد الجيش ، اعتزم المسير إلى حدود بلاد العرب الشمالية ؛ فخرج ومعه ثلاثون ألفاً في أول رجب سنة تسع . وكان عبدالله بن أبي بن سلول إذ ذاك قد عسكر مع انصاره خارج المدينة بمكان يعرف بثنية الوداع وأخذ يشبط عزائمهم بادعائه أن المسلمين لا محالة منهزمون اذا ماوقفوا أمام الروم ، ثم مالبث أن تخلف عن النبي هو واتباعه وعادوا إلى المدينة^(١) .

(١) المقرئى : امتاع الاسماع ج ١ ص ٤٥٥ .

لم يبال الرسول بتخلف هؤلاء المنافقين ومضى في سيره حتى وصل تبوك^(١)، فحط بها رحله وصالحه أهلها على الجزية^(٢)، ثم شاور أصحابه في التقدم شمالاً والسير إلى حدود الشام؛ فقال له عمر بن الخطاب: إن كنت أمرت بالسير فسر، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لو أمرت به ما استشرتكم فيه، فقال له أصحابه: يا رسول الله، إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت منهم حيث ترى وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك في ذلك أمراً^(٣). فاكتمى الرسول بإيفاد بعض سراياه إلى الجهات المجاورة لتبوك.

كان الرسول قد وجه رسالة إلى أحد الأمراء المقيمين على الحدود الشمالية ويدعى ليحنة بن ربيعة - صاحب أيلة - يطلب إليه فيها إما أن يعلن إسلامه أو يؤدي إليه الجزية^(٤)، فأقبل عليه هذا الأمير - بعد وصوله إلى تبوك - ومعه أهل جرباء^(٥) وأذرح^(٦) وبعض أهل الشام واليمن، فصالحهم وفرض عليهم جزية معينة. وكان بأيلة ثلاثمائة رجل، فقرّر عليهم ثلاثمائة دينار، وكتب ليحنة بن ربيعة هذا الكتاب^(٧): بسم الله الرحمن الرحيم. هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن ربيعة وأهل أيلة، سفنهم وسياراتهم في البر، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من

(١) تقع على بعد اثني عشر فرسخاً من المدينة

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٧١.

(٣) المقرئ: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٣.

(٤) ابن سعد: ج ٢ ص ٤٢.

(٥) جرباء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء. ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٧٢.

(٦) أذرح: بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز «ياموت».

(٧) ابن هشام: ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ ابن سعد ج ٢ ص ٥٥.

أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن احدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يجل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

وكتب لأهل جرباء^(١) : « هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم » .

وكتب لأهل أذرح^(٢) : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله ومحمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ، من لجأ إليهم من المسلمين من المخالفة والتعزير^(٣) إذا خشوا على المسلمين وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه » .

وكتب لأهل مقنا^(٤) . وكانوا يهوداً^(٥) « أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم » .

كذلك رأى الرسول أثله إقامته بتبوك أن يبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل^(٦) على رأس حملة خشية خروج ملكها أكيدر بن عبد الملك ومعاونته جيوش الروم إذا ما أتت من ناحيته ، وتحقيقاً لسياسته التي ترمى إلى بسط سلطانه على شمال الحجاز ، وكان أكيدر من كندة يدين بالنصرانية فأمر الرسول خالد بن الوليد بأذ ، يأتي به إليه ونهاه عن قتله فسار إليه خالد وقبض

(١) المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٨ .

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦ ، المقرئى امتاع الأسماع ص ٤٦٩ .

(٣) التعزير : النهرة بالسيف - حاشية رقم ٥ - امتاع الأسماع ص ٤٦٩ .

(٤) مقنا : تقع على مقربة من أيلة « ابن سعد ج ٢ ص ٤١ » .

(٥) ابن سعد : ج ٢ ص ٤١ ، ٤٦ .

(٦) دومة الجندل : واحة خصبة ، يقيم بها بطون كندة ، تقع شمال المدينة على بعد خمس

عشرة ليلة .

(م ١١٠ - قيام الدولة العربية)

عليه^(١)، وأظهر استعداداه ليجيره من القتل حتى يأتى به الرسول على أن يفتح له دومة الجندل ، فقبل أكيدر وفتحت أبواب دومة للمسلمين بعد أن تم الصلح بين خالد وأكيدر على أن يتزل هذا الأخير للمسلمين عن ألفى بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة رمح . ثم قدم خالد بأكيدر على الرسول بالمدينة^(٢)، فصالحه الرسول على أداء الجزية وأخلى سبيله^(٣) ، وكتب له ولأهل دومة كتابا ، وفيها يلي نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر ، حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد^(٤) والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها : أن له الضاحية^(٥) من الضحل^(٦) والبور ، والمعامى^(٧) ، وأغفال^(٨) الأرض ، والحلقة ، والسلاح ، والحاقر والحصن ، ولكم الضامنة^(٩) من النخل ، والمعين^(١٠) من المعمور بعد الخمس ، لاتعدل^(١١) سارحتكم^(١٢) ولا تعد فاردتكم^(١٣) ، ولا يحظر عليكم الثبات ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات^(١٤) . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة

-
- (١) الطبرى : ج ٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
 (٢) ابن سعد : ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، والمقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٥ .
 (٣) ابن سعد : ج ٢ ص ٥٤ - ٥٥ والبلاذرى ، فتوح البلدان ص ٧٢ - ٧٣ .
 (٤) الإنداد : الأمثال والشركاء .
 (٥) الضاحية : الأرض البارزة .
 (٦) والضحل : الماء القليل .
 (٧) المعامى : البلاد المجهولة .
 (٨) اغفال الأرض : التى لا آثار بها .
 (٩) الضامنة : ما حمل من النخل .
 (١٠) المعين : الماء الجارى .
 (١١) لاتعدل : لاتصرف عن مرعى ثريده .
 (١٢) السارحة : الماشية التى تسرح فى المراعى .
 (١٣) الفاردة : مالا تجب فيه الصدقة .
 (١٤) الثبات : النخل القديم الذى ضرب عروقه الأرض وثبت راجع ابن سعد ج ٢ =

بحقها . عليكم بذلك العهد والميثاق . ولكم بذلك الصديق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين » .

انصرف الرسول من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة^(١) وعاد إلى المدينة دون أن يتابع السير إلى حدود الشام ولم يقع قتال بينه وبين الروم كما كان متوقعا ، بل اكتفى بتوطيد سلطانه السياسي على شمال الحجاز . وقد تم له ذلك بعد أن أقبلت عليه وفود المستعمرات النصرانية واليهودية من المنطقة الواقعة على مقربة من الحدود الشمالية لبلاد الحجاز ، واتفق معها على أن يؤدوا إليه جزية معينة ؛ وبذلك تيسر له إخضاع اهالى تلك المنطقة لنفوذه لساسى وأصبحت بلاد الحجاز بأكملها تحت سلطانه .

ولما أدى الرسول حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة ، وعاد مع أصحابه إلى المدينة ، أصبح لا يخشى شيئا من ناحية جزيرة العرب لسيادة الدين الاسلامى على أقاليمها ومدنها ؛ لكنه كان يرى أن دولته الاسلامية لا تزال مهددة بالخطر من ناحية الشمال حيث كان الروم يربطون على حدود الشام الجنوبية ، لذلك وجه اهتمامه إلى تأمين حدود بلاد العرب الشمالية ؛ فأمر بتجهيز جيش لغزو أطراف الشام الجنوبية ، أسند قيادته إلى أسامة بن زيد بن حارثة^(٢) . وأوصاه بقوله^(٣) : « أغز باسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا تمنوا لقاء العدو ، فإنكم لا تدرون لعلكم تبطلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم أكفناهم ، واكفف بأسهم عما ، فإن لقوكم قد أجابوا وصيحو ، فعليكم بالسكينة والصمت ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وقولوا اللهم إنا عبادك ، نواصينا

= ص ٥٤ و ٥٥ : حواشى « المقرئى : امتاع الأسماع ج١ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ، حاشية رقم ١ اللادري : فتوح البلدان ص ٧٣ .

(١) المقرئى : امتاع الأسماع ج١ ص ١٢ ص ٤٧٣ .

(٢) الطبرى : ج ٢٢ ص ٤٢٩ .

(٣) المقرئى : امتاع الأسماع ج١ ص ١٢ ص ٥٣٦ - ٥٣٧ .

ونواصيهم بيدك وإنما تغلبهم أنت ، واعلموا أن اللجنة تحت البارقة (١) .

لقت الدعوة التي وجهها الرسول الى المسلمين للاستراك في حملة أسامة قبولاً من كثير من وجوه المهاجرين الاولين والابصار كعمر بن الخطاب وابي عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وسعد بن زيد وقتادة بن النعمان . غير أن بعض المهاجرين ساءه تولية أسامة قيادة الحملة لحداته سنه (٢) ، فقد كان وقتذاك لاينحاوز العشرين من عمره . فلما بلغ ذلك الرسول - وكان قد بدأ يشتكى من المرض الذي ألم به ، غضب غضباً شديداً ، وألقى على المسلمين خطبة في المسجد ، قال فيها (٣) : « أما بعد ، أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله ، إن كان للامارة لخليقاً ، وإن ابنه من بعده لخليق للامارة ، وإن كان من أحب الناس إلى ، وإنهما لمخيلان لكل خير ؛ فاسووصوا به حيراً ، فإنه من خياركم »

حرص الرسول صلى الله عليه وسلم - غم المرض الذي المضى في إعداد حملة أسامة بن زيد ؛ فقال للمسلمين الذين جاءوا يودعونهم قبل خروجهم مع أسامة : « أنفذوا بعث أسامة » « فأخذ المسلمون يتهيئون للعز وركب أسامة إلى معسكره - خارج المدينة - ، وطلب من أصحابه اللحاق به . غير أنه لم يكد يشرع في السير بحملته حتى أتاه خبر اشتداد المرض على الرسول ؛ فأقبل إلى المدينة بصحبه عمر بن الخطاب وأبي عبيدة وبعد فترة قصيرة من وصوله إليها ، انتقل الرسول -

(١) البارقة : السيوف ، حاسية رقم ١ - لفريرى ، ص ١٥٧ .

(٢)

(٣) ج ٤٢ ص ٣ - ، المقرئى ، امتاع الاسماع ج ١٢ ص ٣٧ .

إلى جوار به وذلك في يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ^(١).

لما نوبع أبو بكر الصديق بالخلافة ، بدأ عمله بإنفاذ بعث أسامة بن زيد لغزو أطراف الشام الجنوبية تحقيقاً لما أمر به الرسول . فخرج أسامة في أول ربيع الثاني سنة إحدى عشرة على رأس الحملة التي أعدت في حياة الرسول ، ولم يتخلف عنه سوى عمر بن الخطاب الذي رأى أبو بكر إبقاءه بحواره في المدينة ليشر عليه . وبلغ من اهتمام أبي بكر بهذه الحملة أن خرج بنفسه يودع أسامة وقال له : « استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، إني سمعت رسول الله يوصيك ، فأنفذ لأمر أمر به رسول الله ، فإنني لست أمرك ولا أناك عنه ، إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله »^(٢).

مضى أسامة في سيره قاصداً البلقاء ، فلما وصل أبنى^(٣) ش الغارة على أهلها وقضى على كل من تعرض له منهم ، كما حرق منازلهم وحرثهم ونخلهم^(٤) ، وغنم بعض الغنائم ، ثم عاد ظافراً إلى المدينة بعد ما يقرب من شهرين^(٥).

كانت حملة أسامة عظيمة الأثر ، فقد أوقفت القبائل العربية التي تقيم في أطراف الشام الجنوبية على قوة المسلمين ، كما أثارت الرعب في قلوب الروم - رغم أن أسامة لم يلق جيشهم - فاضطروا إلى إرسال حامية قوية لترابط في البلقاء ، وفضلاً عن ذلك ، فإنها مهدت السبيل للحملة التي أرسلت فيما لغزو بلاد الشام .

(١) ابن سعد . ج ٤ ص ٤ ، المقرئ ، . امتاع الاسماع ج ٤ ص ٥٣٧ - ٥٣٩

(٢) المقرئ ، امتاع الاسماع ج ١ ص ٥٣٩ - ٥٤٠

(٣) أنى . موضع بالشام من جهة البلقاء ، ويقال إنها قرية عمّوته « ياقوت : معجم البلدان .

ج ١ ص ٩٧ .

(٤) النهاية . الأنوار المحمدية ص ١٣٤ .

(٥) المقرئ . امتاع الاسماع ج ١ ص ٥٤٠ .

٦ - تحقيق الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب

ظهرت بوادر الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب بعد عودة الرسول من تبوك في السنة التاسعة للهجرة حيث أخذت القبائل العربية تفد اليه معلنة إسلامها عن طوع واختيار . وفي ذلك يقول ابن هشام^(١) : « ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه »

كان وفد ثقيف اسبق الوفود العربية في القدوم على الرسول ؛ فلما سم اسلام قبيلتهم أصبحت الحجاز كلها تدين بالإسلام ، وأخذت القبائل العربية الأخرى التي كانت لاتزال محتفظة بوثنيتها تحذو حذو ثقيف ، كما تهأت كلها للدخول في الدين الجديد

ولاشك أن فتح مكة وخضوع قريش للدولة الإسلامية الناشئة التي أقامها الرسول بالمدينة أدى إلى حدوث تطور كبير في موقف القبائل العربية الأخرى من الدعوة الإسلامية ؛ فبعد أن كانت من أشد المعارضين لها أخذت وفدها تسير من جهات جزيرة العرب المختلفة قاصدة المدينة لتعلن دخولها في الإسلام وطاعتها للرسول - لأنها رأت أنه لاقبل لها بمحاربة المسلمين الذين واصلوا الجهاد سنين طويلة دون أن تفتر عزيمتهم^(٢) .

روى ابن هشام^(٣) عن ابن اسحق انه « لما افتتحت مكة ودانت له (أى للرسول) قريش ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته . فدخلوا في دين الله كما قال الله - عز وجل - أفواجاً ، يضربون اليه من كل وجه . يقول الله تعالى

(١) سيرة النبي : ج ٤ ص ٢٢١

(٢) المقرئى : امتاع الأسماع ج ٤ ص ٤٩٥

(٣) سيرة النبي : ج ٤ ص ٢٢٢

لنبيه. صلى الله عليه وسلم : (إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ؛ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً)^(١).

عرفت سنة تسع هجرية بعام الوفود لأن عدداً كبيراً من القبائل العربية وأهالي المدن ، أخذت توفد من قبلها في هذه السنة وفوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلن خضوعها وحرصها على الدخول في الإسلام^(٢).

كان الرسول يكرم وفادة رسل القبائل العربية ويعلمهم شرائع الإسلام ويميزهم ببعض الجوائز عند انصرافهم من المدينة عائدين إلى بلادهم ؛ كما كان يلبس أحسن ثيابه عند مقابلة الوفود ، ويأمر أصحابه بالاقضاء به^(٣).

كان أعضاء الوفود العربية الذين يأتون إلى المدينة ليحظوا بمقابلة الرسول يمثلون قبائلهم في أغلب الأحيان ، في التعبير عن رغبتهم الصادقة في اعتناق الإسلام والدخول في طاعة الرسول ، فإذا ما عادوا إلى موطنهم نشروا الدعوة الإسلامية بين أهاليهم وقاموا بتعليمهم فرائض الإسلام وأحكامه . وكان بعض هذه الوفود يعودون حاملين كتباً من الرسول مبيناً بها ما يفرضه عليهم الإسلام من واجبات .

ومن بين هذه الوفود التي وفدت إلى الرسول في سنة تسع وفد بني أسد بن خزيمة الذين قالوا له حين قابلوه : أتيناك في ظلمة الليل في سنة جدباء ، ولم تبعث إلينا بعثاً^(٤)؛ فنزلت فيهم هذه الآية في سورة الحجرات (آية ١٧) (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان (إن كنتم صادقين) .

(١) سورة النصر : آية ١ - ٣ .

(٢) أنولد : الدعوة إلى الإسلام «ترجمة» ص ٤٢ .

(٣) المقرئ : امتاع الأسماع ج١ ص ٥٠٩ .

(٤) ابن سعد : ج١ ص ٥٨ .

كذلك قدم بعض أشرف بني تميم - وعلى رأسهم - عطارد ابن حاجب بن زرارة الى المدينة سعياً وراء مقابلة الرسول ، فانتظروا في المسجد ، ولما استبطأه نادوه من وراء حجراته : يا محمد أخرج الينا ، فأذى ذلك الرسول وخرج اليهم وأسلموا بين يديه ومنحهم العطايا^(١) ، وقد نزلت فيهم هذه الآية في سورة الحجرات (آية ٤) : (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) .

ولما استجاب ملوك حمير - وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبيد كلال والتعمان قيل ذو رعين ومعاقر وهمدان - لدعوة الرسول - وكان قد كتب اليهم يدعوهم الى الدخول في الإسلام ، بعثوا إليه بعد عودته من تبوك كتاباً مع مالك بن مرارة الرهاوي يقرون فيه بإسلامهم^(٢) . فلما قدم مالك بكتابهم على الرسول ، رحب به وأضافه ، ثم كتب اليهم الرسول كتاباً جاء فيه^(٣) : « أما بعد ذلكم فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، وأما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم ، فبلغ ما أرسلتم وخبر عما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، فإن الله تبارك وتعالى قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغنم خمس الله وخمس نبيه وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة » .

توالى قدوم الوفود العربية على الرسول في السنة التاسعة للهجرة ، ومن هذه الوفود : وفد بني فزارة - وعلى رأسهم - خارجة بن حصن ، جاءوا يعلنون إسلام قبيلتهم . كما جاء وفد بني مرة وقالوا له : يا رسول الله

(١) ابن سعد : ج ٢ ص ٦٠ ابن الأثير ج ٢ ص ١١١

(٢) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٣) ابن سعد : ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩



الروضة الشريفة بالحرم النبوي الشريف

« إنا قومك وعشيرتك ونحن قوم من بنى لؤى بن غالب ، وأظهروا له إسلامهم ، فمنحهم بعض العطايا ، وقدم على الرسول أيضاً وفد بنى كلاب - وهم ثلاثة عشر رجلاً - فسلموا عليه بتحية الإسلام وقالوا : « إن الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله وسنته التي أمرته ، وأنه دعانا إلى الله فاستجبنا لله ورسوله وأنه أخذ الصدقة من أغنيائنا فرد على فقرائنا^(١) » كذلك أكرم الرسول وفد تجيب حين قدموا عليه مسلمين ومعهم صدقات أموالهم .

هناك وفود أخرى قدمت على الرسول لتؤكد له استعدادها للدخول في الإسلام ، منها : وفد بلى ، بهراء ، ووفد عذرة ووفد الدارميين من لخم^(٢) . وقد أسلمت كل هذه الوفود بين يدي الرسول وتعلموا شرائع الإسلام ، ثم انصرفوا إلى أهلها بعد أن منحهم الرسول الجوائز التي اعتاد أن يمنحها لوفود القبائل العربية^(٣) .

أخذت ظاهرة الوحدة العربية شكلاً محسوساً في سنة تسع ؛ وقد ساعد انتشار الدين الإسلامي بين العرب على إظهار هذه الوحدة . على أن الأمة العربية لم تدخل بأسرها في الإسلام ، بل ظل هناك فريق يحرص على الاحتفاظ بنظامه القديم ، وهذا الفريق كان أقلية لا يؤبه لها كثيراً ، ولم يلبث أن سارع إلى الدخول في دين الله بعد أن نزلت سورة التوبة قبيل موسم الحج في السنة التاسعة للهجرة ، وتضمنت بعض آياتها أن المشركين - وهم ممن يشملون هذه الأقلية - سيمهلون أربعة أشهر يحاربون بعدها إن لم يدخلوا في الدين الإسلامي ، وأن الله ورسوله قد برئاً منهم ، يقول الله تعالى : (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة

(١) ابن سعد : ج ٢ ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) المقرئى : امتاع الأسماع ج ٢ ص ٤٥٩ .

(٣) ابن سعد : ج ١ ص ٩٤ - ٩٥ .

اشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله محزى الكافرين ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ، فإن تتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ، إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ، فإذا انسلخ لأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم . وإن أحد من المشركين استحارك فأحره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون .

كان بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين فريق من المشركين عهد عام ، يتضمن « ألا يصد عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام » ، كما كانت بينه وبين قبائل من العرب عهود خاصة لأحال معينة^(١) فلما نزلت عليه سورة التوبة وحل موسم الحج في السنة التاسعة للهجرة : رأى ألا يحج هذا العام حتى يرد إلى كل من عهد إليه من المشركين عهده ، كما كره الخروج للحج أيضاً لأن المشركين كانوا إلى ذلك الوقت يحجون مع المسلمين ويطوف رجال منهم بالكعبة عراة ، ليس على أحد منهم ثوب ، ويزعمون أنهم بذلك يعظمون حرمة بيت الله الحرام فيقول أحدهم : اطوف بالبيت كما ولدتنى أمى لس على شيء من الدنيا خالطه الظلم .

لذلك ولى الرسول انا بكر الصديق أمراً على الحج ، وأمره أن يخالف المشركين في أداء مناسك الحج ، فيقف في اليوم التاسع من ذى الحجة .

(١) سورة التوبة : آية ١ - ٦ .

(٢) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٠١ .

بعرفة^(١) ولا يقف بالمزدلفة^(٢) ولا يصرف من عرفة في ذلك اليوم إلى المزدلفة إلا بعد غروب الشمس ، ويبت ليلة ثم يفيض منها قبل شروق الشمس يوم^(٣) النحر إلى منى^(٤) .

وكذلك رأى الرسول أن موسم الحج أنسب وقت لإبلاغ المشركين بعض آيات سورة التوبة التي نزلت في نفس ما بينه وبين المشركين من عهد إلا ما عفا لأجل معين فإنه يبقى إلى أجله^(٥) فوقع اختياره على بن أبي طالب ليقرأ هذه الآيات ، لأنه هو الذي عاهد المشركين نيابة عنه^(٦) ، وقال له ، « اخرج بهذه القصة من صدر براءة^(٧) ، وأذن^(٨) في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته » .^(٩) فلحق على بن أبي طالب بأبي بكر حتى إذا كان يوم عيد الأصحى قام وأذن في الناس عند جرة العقبة بمنى^(١٠) بما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم . فلم يطف بالبيت عريان بعد ذلك العام . كما لم يحج مشركاً تنفيذاً لقول الله تعالى في سورة التوبة . (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يهربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم)

(١) عرفه يقال فيه أيضاً عرفات على الجميع ، وبه جاء المراد في قوله تعالى : « فإذا انصتم من عرفات ، الفلقشندي . صبح الأعشى ١٠ ص ٢٥٧

(٢) المزدلفه . موضع على يسر ، انده من منى إلى عرفه ، ويعرف أيضاً بالمشعر الحرام ويبت فيه الحجاج إذا فاضوا من عرفات « ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ص ٤٥ ، الفلقشندي ج ٣ ص ٣٥٧

(٣) يوم النحر : هو اليوم العاشر من ذي الحجة

(٤) المنبري : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٠

(٥) ابن مسعود . ج ١ ص ٢٠١

(٦) المنبري : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠١

(٧) براءة : هي سورة التوبة .

(٨) أذن . ناد

(٩) ابن هشام . ج ٢ ص ٢٠٣

(١٠) جرة العقبة تقع على يسار الداخل إلى منى من جهة مكة المكرمة .

لما كانت عقيدة الدولة الإسلامية الناشئة هي الإيمان بالله وحده ، لذلك أصبح من المحتتم ألا يكون بينها وبين أعدائها من المشركين عهد^(١) ويجب أن تحاربهم هذه الدولة . وقد وقف المشركون على تلك الحقيقة حين تلا عليهم على بن أبي طالب بعض آيات سورة التوبة ، فلام بعضهم بعضاً - بعد أن رجعوا من حجهم - على احتفاظهم بوثنيتهم إلى ذلك الوقت^(٢) ، وعولوا على اعتناق الإسلام .

أخذت وفود القبائل العربية في السنة العاشرة للهجرة تسير من أنحاء جزيرة العرب المختلفة قاصدة المدينة ليعلنوا للرسول إسلامهم وولاءهم له ؛ ومن هذه الوفود وفد الأزد برئاسة صرد بن عبدالله الأزدي الذي قدم على الرسول في بضعة عشر رجلاً ، فأسلموا جميعاً وحسن إسلامهم . وولى الرسول صرد بن عبدالله أميراً على المسلمين من قومه وأمره أن يحاربهم المشركين من قبائل اليمن^(٣) ؛ فخرج من المدينة عائداً إلى بلده ، فلما وصل جرش - وهي من مدن اليمن الحصينة - دعا أهلها إلى الإسلام ، فأبوا ، فحاصروهم شهراً ، ودار القتال بينه وبينهم . ثم سار وفد من أهل جرش إلى الرسول وأظهروا له إسلامهم^(٤) . كما قدم عليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في عشرة نفر من زبيد ، وأسلم بين يديه هو ومن معه ؛ ثم منحهم الرسول الجوائز وانصرفوا إلى بلدهم^(٥) وجاء وفد خولان إلى الرسول يؤكدون له إسلامهم فقالوا له « يارسول الله نحن ، مؤمنون بالله ومصدقون برسوله . ونحن على من ورائنا من قومنا ، وقد ضربنا إليك أباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها والمنة لله ورسوله وقدمنا زائرين

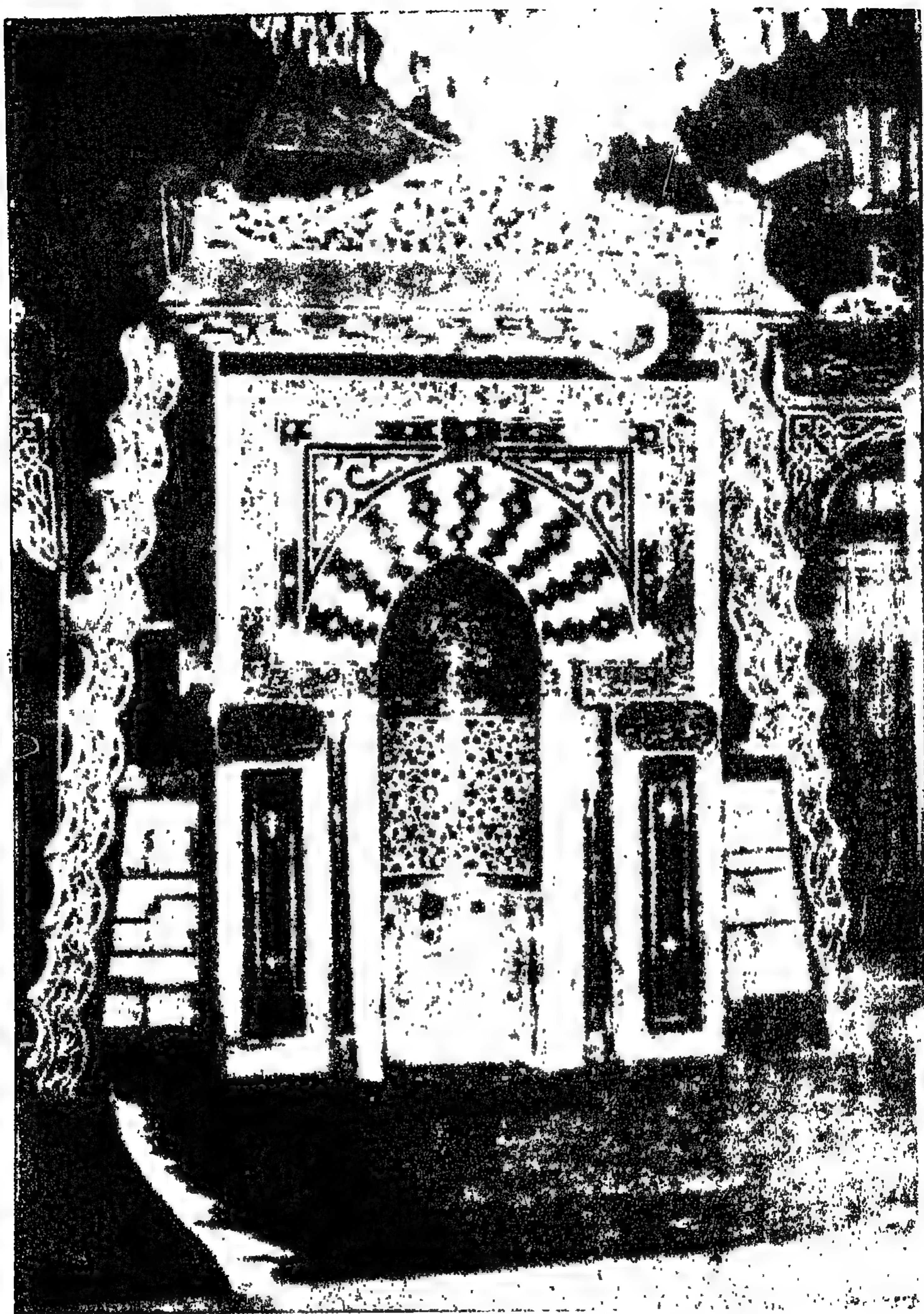
(١) أنظر : كتاب حياة محمد لهيكل ص ٤٥٢ .

(٢) المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠١ .

(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٦٥ ، النهران ، الأنوار المحمدية - ١٨٣ .

(٤) ابن سعد : ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ ، المقرئى . امتاع الأسماع ج ١ ص ٥٥ .

(٥) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٥٢ ، ابن سعد ج ٢ ص ٩٢ .



محراب الرسول مسجده بالمدينة

لك « فقال عليه الصلاة والسلام » أما ما ذكرت من مسيركم إلى فإن لكم بكل خطوة خطاها بغير أحدكم حسنة ، وأما قولكم زائرين لك ، فإنه « من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة » ثم علمهم شرائع الإسلام وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار ولا يظلموا أحداً^(١). فعادوا إلى قومهم ونشروا الدعوة الإسلامية بينهم ، وحرّموا ما حرم عليهم الرسول ، وأحلوا ما أحل لهم^(٢).

كذلك قدم وفد مراد مع فروة بن مُسيك بن الحارث بن سلمة المرادي مفارقاً ملوك كندة وأعلن إسلامه ، فولاه الرسول على مراد وزبيد ومذحج ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص ليجبى الصدقات^(٣).

هناك وفود أخرى أوفدتها القبائل العربية إلى الرسول ، منها : وفد الرهاويين^(٤) - وكانوا خمسة عشر رجلاً - فأسلموا وأجازهم الرسول ، وظلوا بالمدينة حتى تعلموا القرآن والفرائض ، ثم عادوا إلى بلدهم ، وقدم منهم نفر حجوا مع الرسول^(٥).

ومن الوفود العربية التي أقبلت إلى المدينة في السنة العاشرة للهجرة ، وقد بنى حنيفة ، وكانوا بضعة عشر رجلاً فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى ، فأسلموا وعادوا إلى موطنهم باليمامة . وادعى مسيلمة بعد عودته إلى بلده أنه شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة ، فافتتن به بعض الناس من قومه . وكتب مسيلمة إلى الرسول : « من مسيلمة إلى محمد رسول الله . أما بعد ، فإنى قد أشركت معك في الأمر ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن نريشاً نرى بعندون ، نكتب اليك الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم ،

(١) النبهان : الأنوار المحمدية ص ١٩٠ .

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ٨٨ .

(٣) ابن هشام : ج ٤٢ ص ٢٤٩ - ٢٥١ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥٥٥ -

(٤) الرهاويون : بطن من مذحج ، ينسبون إلى دماء من حرب القطحان

(٥) ابن سعد : ج ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥٥٧
(م ١٢ - قيام الدولة العربية)

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فالسلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^(١).

كذلك رأت قبيلة كندة ان تنبذ ديانتها القديمة وتتحول الى الإسلام ، فأرسلت وفداً الى المدينة يتكون من ستين رجلاً يرأسهم الأشعث بن قيس الكندى . وقد أقرروا بإسلامهم بين يدي الرسول ثم عادوا إلى بلادهم^(٢).

قدم أيضاً على الرسول وفد حضرموت ، ليعلنوا اسلام قومهم ورحب الرسول بقدوم وائل بن حجر الحضرمي ، وكتب له حين أزمع العودة إلى بلاده^(٣) : « هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حجر . قيل حضرموت ، إنك أسلمت وجعلت لك ماقى يدك من الأرضين والحصون وأن يؤخذ من كل عشرة واحد ينظر في ذلك ذو عدل وجعلت لك ألا تظلم فيها ماقام الدين والنبي والمؤمنون عليه أنصاره » .

ومن الوفود التي جاءت المدينة رغبة في لقاء الرسول والدخول في الإسلام ، وفد غسان ، ووفد غامد ، ووفد طيء . وكان وفد غسان ثلاثة نفر ، فلما قابلوا الرسول ، أسلموا وشهدوا أن ما جاء به حق ، ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم غير أن قومهم لم يستجيبوا لهم حين دعوهم الى الإسلام^(٤) . أما وفد غامد فأقروا بالإسلام وكتب لهم الرسول كتاباً بين فيه شرائع الدين الإسلامي ، كما عهد إلى أبي بن كعب بتعليمهم القرآن^(٥) . وكان وفد طيء خمسة عشر برئاسة زيد الخيل بن زيد بن منب الطائي ، فعرض عليهم الرسول

(١) القرطبي : امتاع الأسماع ج١ ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

(٢) ابن سعد : ج١ ص ٩٢ - ٩٣ ، القرطبي ، امتاع الأسماع ج١ ص ٥٠٩ - ٥١٠ .

(٣) ابن سعد : ج١ ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤) ابن سعد : ج١ ص ١١٢ - ١١٣ .

(٥) ابن سعد : ج١ ص ١٠٩ ، البهاني ، الأنوار المحمدية ص ١٩١ .

الإسلام فأسلوا وقال : « ماذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيت دونه ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه » . ثم سماه زيد الخير واقطع له بعض الأراضي في ناحيته^(١).

كان الرسول صلى الله وسلم قد بعث خالد بن الوليد إلى بنى الحارث ابن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، فإن استجابوا إليه فعليه أن يعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الإسلام وإن أبوا قاتلهم ، فلما قدم عليهم خالد ودعاهم إلى الإسلام ، فاجابوا وأسلموا ، وأقام بينهم يعلمهم شرائع الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وكتب إلى الرسول يعلمه بإسلامهم^(٢) وإليك كتابه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمته الله وبركاته ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك . فإنك بعثني إلى الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام . وإن أدعوه إلى الإسلام فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإن قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركبانا ، قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته » .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد ، سلام عليك ، فإنني أحمد إليك

(١) الطبري : ج١ ص ٣٩٩ ، القرطبي : امتاع الأسماح ج١ ص ٥٠٨ .

(٢) ابن هشام : ج١ ص ٢٥٢ - ٢٦٣ الطبري ج١ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبداً لله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(١) .

أقبل خالد بن الوليد إلى المدينة ومعه وفد بني الحارث بن كعب برئاسة قيس ابن الحصين بن يزيد بن شداد . ويقال له ابن ذي الغصة^(٢) ، فلما رأهم الرسول قال : « من هؤلاء الفوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل « يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب ، فسلموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله . فقال الرسول : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » ثم ولي عليهم قيس بن الحصين وانصرفوا إلى قومهم^(٣) . وعهد الرسول إلى عمرو بن حزم بالخروج إليهم ليعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في الدين ويجبي منهم الصدقات ، وكتب له كتاباً بين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات^(٤) .

كذلك أرسل نصارى نجران إلى الرسول صلى الله عليه وسلم العاقب - وهو أميرهم وصاحب مشورتهم - ، والسيد وهو صاحب رحلتهم - في نفر من أشرافهم ، فلما قدموا عليه دعاهم إلى الإسلام فأبوا وانصرفوا ، وفي الغد حضر إليه ثلاثة من ذوى الرأي من رجالهم وقالوا له : احكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك ، فصالحهم على ألفى حلة ، ألف في رجب وألف في صفر ، ثمن كل حلة أربعون درهماً ، وعلى أن يضيفوا رسل

(١) ابن هشام : ج١ ص ٢٦٣ .

(٢) المقرئى : امتاع الأسماع ج١ ص ٥٠١ .

(٣) ابن سعد : ج١ ص ١٠٣ ، ج٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

(٤) ابن هشام : ج١ ص ٢٦٥ ، المقرئى ، امتاع الأسماع ج١ ص ٥٠١ - ٥٠٢ .

(٥) ابن سعد : ج ١٢٩ .

رسول الله صلى الله عليه شهراً فما دونه ، وعلى أن عليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا وقعت باليمن حرب . وجعل لهم عليه الصلاة والسلام ذمة الله وعهده على ألا يفتنوا ، ولا يؤخذ عشر أموالهم ولا يندبون للحروب ، ولا يفرض عليهم البعوث ، واشترط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به^(١).

على أن العاقب والسيد لم يلبثا إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي وأسلما ، وظل نصارى نجران على ما كتب لهم النبي حتى توفي^(٢).

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن انتشر الإسلام في بلاد اليمن أن يوفد إلى أهالي تلك البلاد أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ليعلماهم أمور دينهم وأوصاهما بقوله : « يسرا ، ولا تعسرا وبشرا ، ولا تنفرا » وقال لمعاذ « ائتك ستان قوماً أهل كتاب ، فإذا جثتهم ، فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا هم أطاعوا لك بذلك . فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب^(٣) » .

ولما وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن جماعة من أهل اليمن لا يزالون على ديانتهم القديمة ، أرسل علي بن أبي طالب بدعوهم إلى الإسلام . كما بعث خالد بن الوليد من قبل لنفس هذا الغرض^(٤) ، وأوصاهم بقوله^(٥) « أمض ولا تلتفت ، إذ نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك » .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٥ - ٧٦ ، اليعقوبي ج ٢ ص ٦٧ : المقرئ : إسماع ج ٥٠٢ .

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ١٢٥ .

(٣) النبهاني : الأنوار المجددة ص ١٣٢ .

(٤) ابن الأثير : ج ١ ص ١١ .

(٥) ابن سعد : ج ٢ ص ٢٢٢ .

خروج على بن أبي طالب من المدينة في رمضان سنة عشر قاصداً بلاد اليمن في ثلاثمائة فارس . فلما وصل ارض مذحج لقي فريقاً من اليمنيين أبوا قبول دعوته في بادئ الأمر وهاجموه ؛ غير أنه لم يلبث أن حمل عليهم بمن معه وألحق بهم الهزيمة ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأجابوا دعوته ، وبايعه نفر من رؤسائهم ، وقالوا : نحن على من وراثنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا ، فخذ منها حق الله^(١) .

كتب على بن أبي طالب إلى الرسول يخبره بما أحرزه من نصر في بلاد اليمن وإقبال أهلها على الإسلام ، فسر الرسول بذلك ، وأمره بالشخص إلى به . فلقية بمكة وكان قد قدم إليها للحج^(٢) .

وهكذا نجحت البعوث التي أوفدها الرسول إلى بلاد اليمن في أداء رسالتها فتتابع أهالي تلك البلاد على اعتناق الإسلام^(٣) ، وأرسلوا الوفود لمقابلة الرسول ليعلنوا له إسلامهم . وكان آخر تلك الوفود وفد النخع - وهم مائتا رجل - قدموا إلى المدينة في المحرم من سنة إحدى عشر وأقروا باسلامهم بين يدي الرسول ، وكانوا عن بايع معاذ بن جبل باليمن^(٤) .

أصبحت بلاد العرب بعد انتشار الإسلام فيها . تجمع بينها عقيدة واحدة . كما ظهر بين أهلها شعور بالوحدة القومية بعد أن دخلوا تحت لواء الرسول^(٥) مما ساعد على قيام الدولة العربية الإسلامية على أساس الوحدة الدينية والسياسية .

(١) ابن سعد : ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، المقرئى . امتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٣ .

(٢) المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥١٠ .

(٣) المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠١ .

(٤) ابن سعد : ج ١ ص ١١٠ ، السهان - الأنوار المحمدية ص ١٩٣ .

(٥) راجع ، كتاب الدعوة إلى الإسلام ص ٤٣ (ترجمة) .

وقد تمتعت مدن العرب وقبائلها بعد أن تحولت الى الاسلام بقسط وافر من الاستقلال الذاتي داخل نطاق الدولة العربية الإسلامية ، فصار الرسول يبعث عماله الى البلاد التي تدين بالاسلام ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في الدين ويحبون منهم الصدقات ، ثم يوزعونها بين الفقراء من أهل تلك البلاد ، أو يرسلونها الى المدينة ، وترك الرسول للأمراء الذين أسلموا ما كان لهم من سلطان في بلادهم قبل اسلامهم .

أما عن المدينة ، فظفرت بمركز ممتاز في حياة الرسول ، فهي التي آوته ونصرته ، واجتمع بها المهاجرون والأنصار ، ونزل فيها من القرآن أكثر مما نزل بمكة^(١) ، فأصبحت بذلك مصدر التشريع الإسلامي ، هذا إلى أن الرسول اتخذها مركزاً لدولته ، فوجه منها رسله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ، كما أقبلت إليها وفود القبائل العربية تعلن إسلامها وولاءها للرسول ، ومن ثم علا شأنها وأصبح العرب ينظرون اليها على أنها حاضرة دولتهم ومصدر سياستهم^(٢) .

حجة الوداع :

لما أطمأن الرسول إلى أن خزيرة العرب أصبحت كلها تنضوي تحت لواء الإسلام استقر رأيه على الخروج للحج ، ودعا المسلمين إلى أداء هذه الفريضة معه ، فلقيت دعوته قبولا من نفوسهم ، فوفد إلى المدينة كثير من الناس يريدون أن يأتوا برسول الله في حجته^(٣) .

وفي الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة ، سار الرسول من المدينة في جمع كبير من المهاجرين والأنصار وبعض قبائل

(١) البعقري : ج٢ ص ٣٢ .

(٢) راجع ماأورده هيكل في كتابه : الصديق ابوبكر ص ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣٠ ، الفاروق

عمر . ج٢ . ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج٢ ص ٢٢٥

العرب وأخلاق من الناس ، بلغ عددهم ما يقرب من مائة ألف^(١) ، تملأ قلوبهم الغبطة لذهابهم إلى بيت الله الحرام ، ولما بلغوا ذا الحليفة^(٢) ، أحرم^(٣) الرسول والمسلمون جميعاً ، ونادى الرسول ملبياً والمسلمون من ورائه : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وانطلق ركب الرسول يقطع الطريق إلى مكة ، فلما انتهى الحجيج إليها في اليوم الرابع من ذى الحجة ، دخل الرسول يتبعه سائر المسلمين المسجد الحرام من باب بنى شيبة ، ورفع يديه حين رأى البيت وقال : « اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً ، وزد من عظمه ممن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً ومهابةً وتعظيماً وبراً »^(٤) . ثم طاف حول الكعبة سبع مرات ، وصلى خلف مقام إبراهيم ركعتين ، وبعد فراغه من الصلاة خرج من المسجد إلى الصفا والمروة ، وفي اليوم الثامن من ذى الحجة سار إلى منى ، فأقام بها ليلة ، ثم خرج في صباح اليوم التاسع إلى جبل عرفات والمسلمون يتبعونه^(٥) ، وهناك ألقى خطبته التي كان يعتبرها المسلمون دستور الإسلام ، واليك نصها :

« أيها الناس ، إني والله ما أدري لعل لا ألقاكم بمكان هذا ، بعد يومكم هذا ، رحم الله امرءاً سَمِعَ مقالتي فرعاها ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كخزينة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، واعلموا أن الصدور لا تغل على ثلاث : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أهل الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من

(١) النبهاني : الأنوار المحمدية ص ١٠٢ .

(٢) ذو الحليفة : تقع على مقربة من المدينة ، وبها أبار ، تسمى آبار على ومنها يحرم أهل المدينة إذا أرادوا الخروج للحج أو العمرة .

(٣) أحرم : أي لبس ملابس الإحرام وهي إزاء ورداء .

(٤) ابن سعد : ج ٢ ص ٢٢٥ ، المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥١٧ .

(٥) المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥١٠ - ٥١٢ .

ورائهم ، ألا ان كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، وأول دماء الجاهلية أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب - كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر فقتلته هذيل - وربا الجاهلية موضوع كله ، وأول رباً أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ، اتقوا الله في النساء ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت^(١).

تمت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة حيث أنزل الله تعالى عليه هذه الآية (٢) في سورة المائدة : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . وقد تلاها الرسول على المسلمين حين نزولها ، فكان لها أبلغ الأثر في نفوسهم .

أفاض الرسول من عزفات بعد غروب الشمس إلى المزدلفة ، ف قضى بها ليلة ، ثم خرج منها قبل طلوع الشمس إلى منى حيث رمى جمرة العقبة يوم النحر ، ثم نحر الهدى ، وسار إلى مكة في هذا اليوم ليطوف بيت الله الحرام طواف الإفاضة ، ثم عاد إلى منى ، فأقام بها ليالي أيام التشريق^(٣) ، وكان يرمى الجمار في هذه الأيام عند زوال الشمس ، ونهى أن يبني أحد ليالي منى خارجها ، وفي اليوم الرابع من أيام عيد الأضحى ، ركب الرسول إلى مكة ،

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٧٥ - ٢٢٧ ، المقرئ ، امتاع الأسماع ج ٣ ص ٥٢٢ -

٥٢٣ .

(٢) المقرئ : امتاع الأسماع ج ١ ص ٥٢٤ ، النبهازي : الأنوار المحمدية ص ٥٥٩ .

(٣) أيام التشريق هي الأيام الثلاثة الأخيرة من عيد الأضحى . وقد وصفها الرسول بقوله

« إنها أيام أكل وشرب وذكر الله » ابن سعد : ج ٢ ص ٢٣٨ .

فطاف بالبيت طواف الوداع ، وبعد أن قضى بمكة بضعة أيام انصرف راجعاً إلى المدينة^(١).

وهكذا أتم الرسول حجه ، وأدى الناس مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم^(٢).

شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء حجه كيف علت كلمة الإسلام وانهار صرح الوثنية في جزيرة العرب حتى أنه لم يحضر موسم الحج في السنة العاشرة للهجرة وثني مطلقاً ، كما تحقق من إخلاص أمراء العرب وزعماء قبائلهم له ، وانضوائهم تحت لوائه ، وبذلك رجع إلى المدينة وهو مطمئن إلى ذبوع الدين الإسلامي في أرجاء جزيرة العرب .

لم يكد يمضي شهران على عودة الرسول من حجة الوداع حتى اعتراه المرض ، لكن ذلك لم يمنعه من أن يسير إلى المسجد ليصلي بالناس . وظل على هذه الحال حتى اشتد به المرض . فطلب من أبي بكر الصديق أن يصلي بالناس ، فصلى بهم عدة أيام^(٣).

ويروى ابن هشام^(٤) أنه لما كان يوم الإثنين الذي قبض الله فيه رسوله خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح ، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم به عندما رآه . ولم يلبث أن توفي في ضحى ذلك اليوم لاثنى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة^(٥) (٨ يونيو سنة ٦٣٢ م) ، وهو في الثالثة والستين من عمره ، بعد أن بلغ رسالة ربه ، وجمع شتات قبائل العرب تحت لوائه .

(١) المقرئى : امتاع الاسماع ج١ ص ٥٢٤ - ٥٢٩ ، النيهان : الأنوار المحمدية ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .

(٢) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٧٨ .

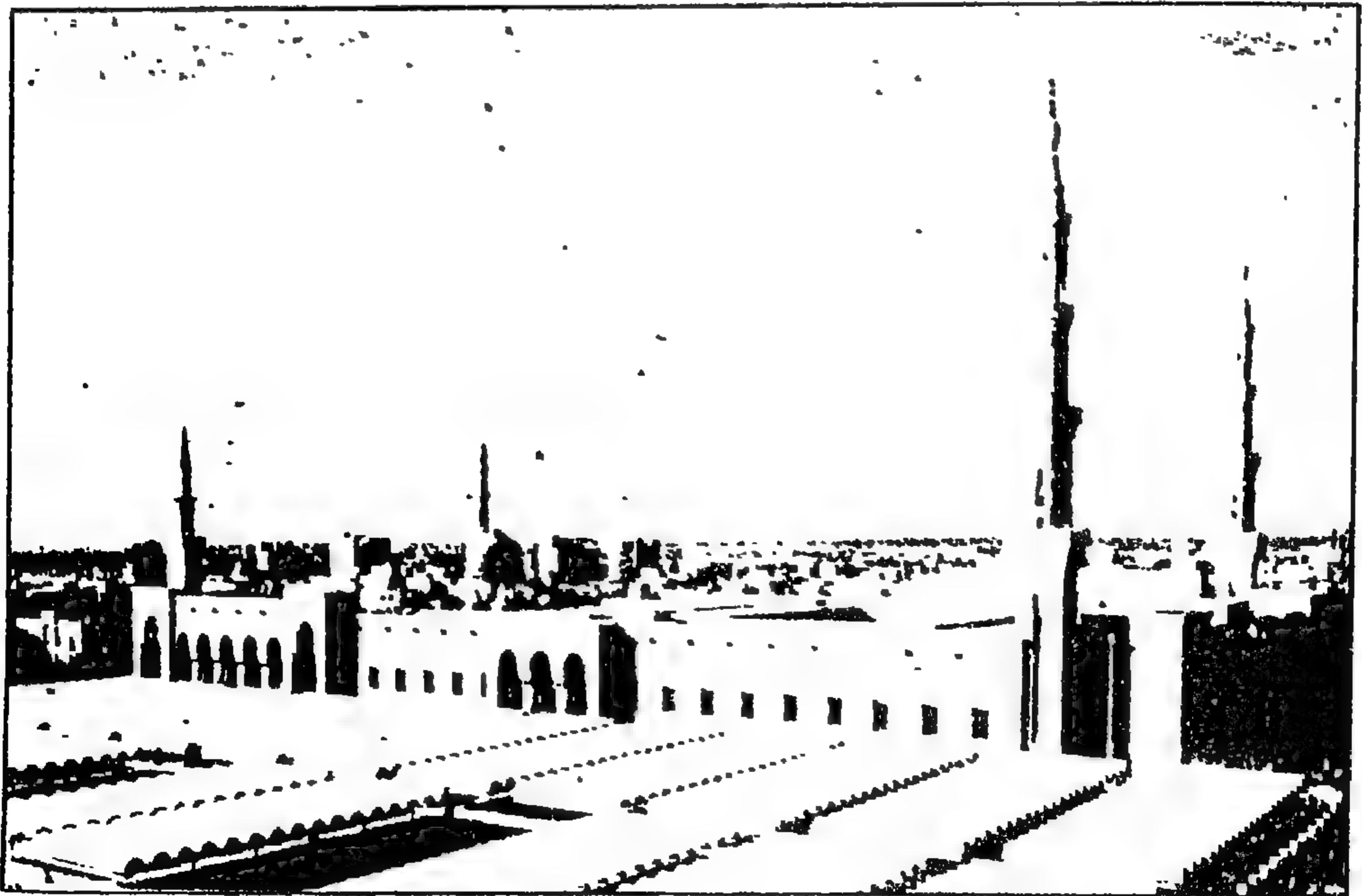
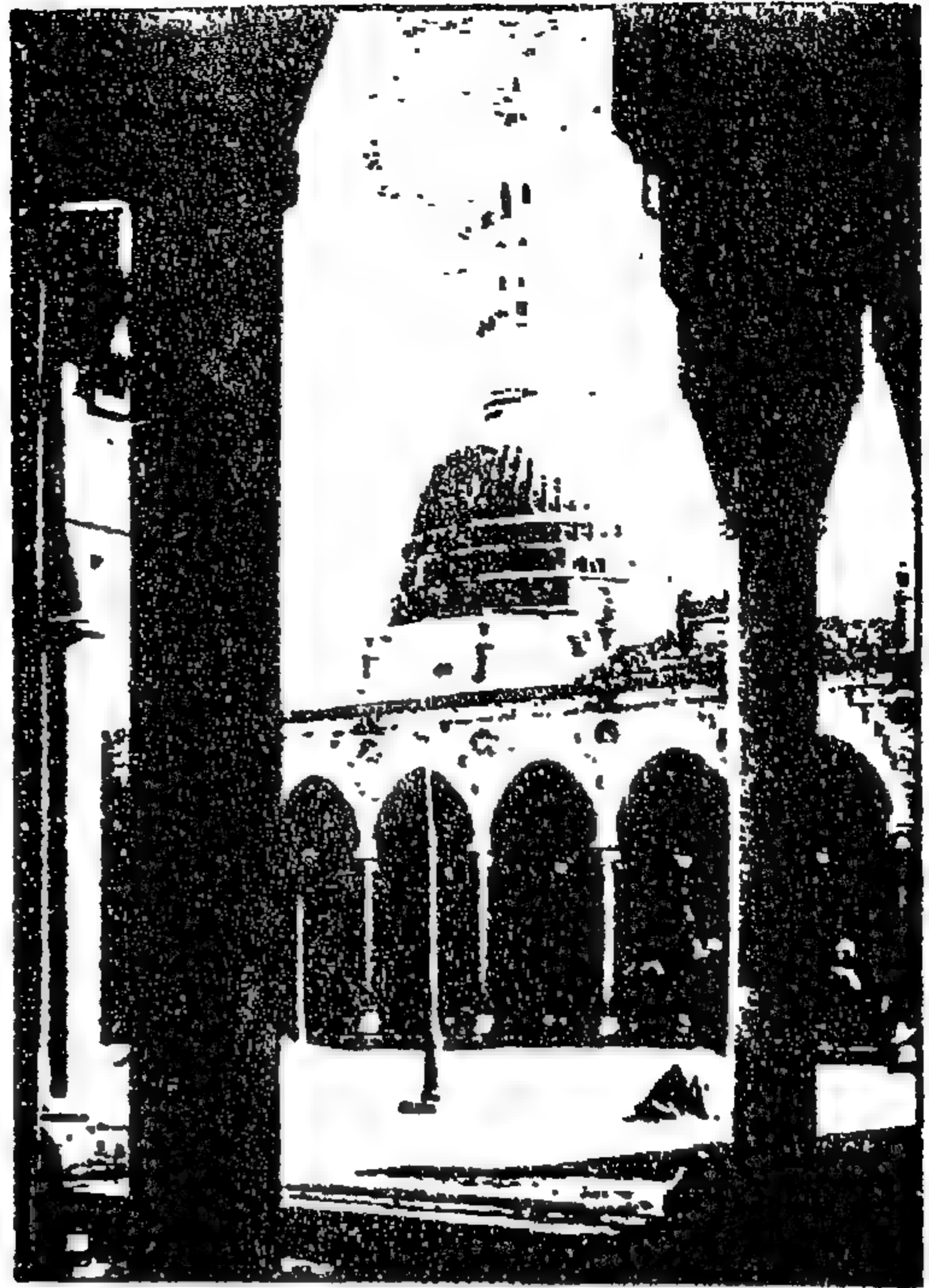
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبير ج ٤ ص ٢٣ - ٢٤ .

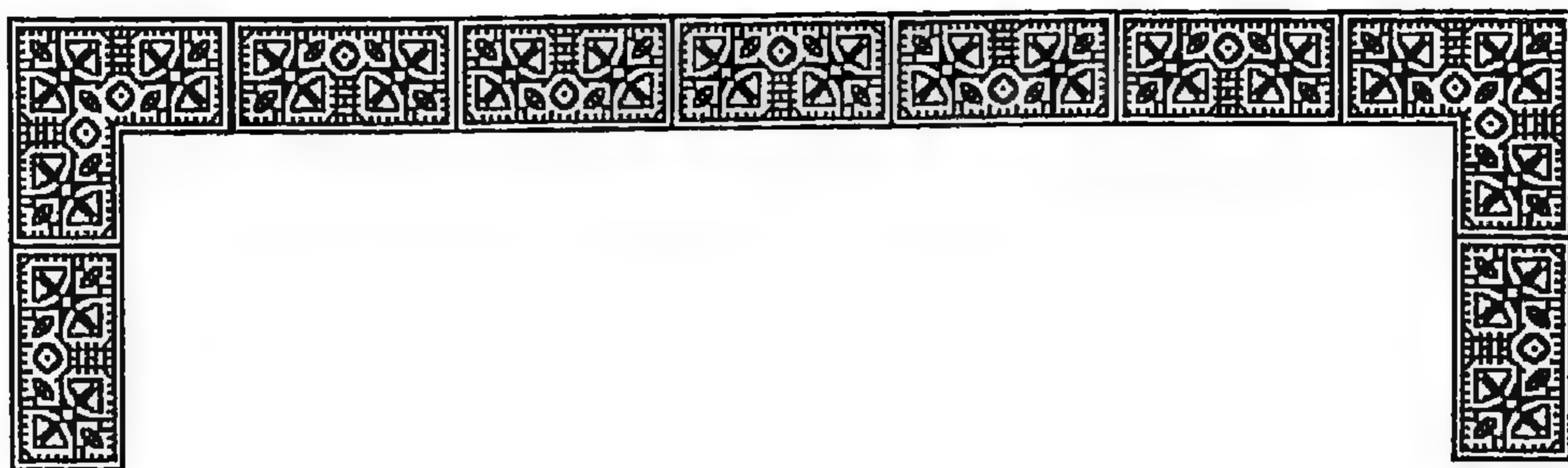
(٤) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج١ ص ٢٢١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبير ج١ ص ٨٩ .

المقرئى : امتاع الاسماع ج١ ص ٥٣٩ و ٥٤٨ .

مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

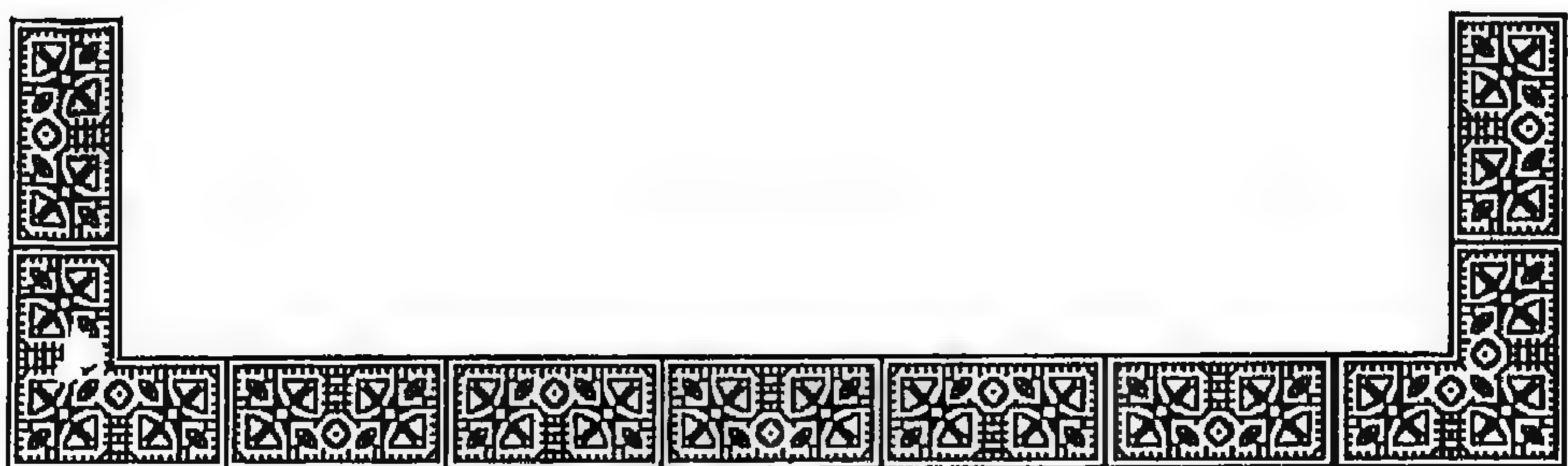
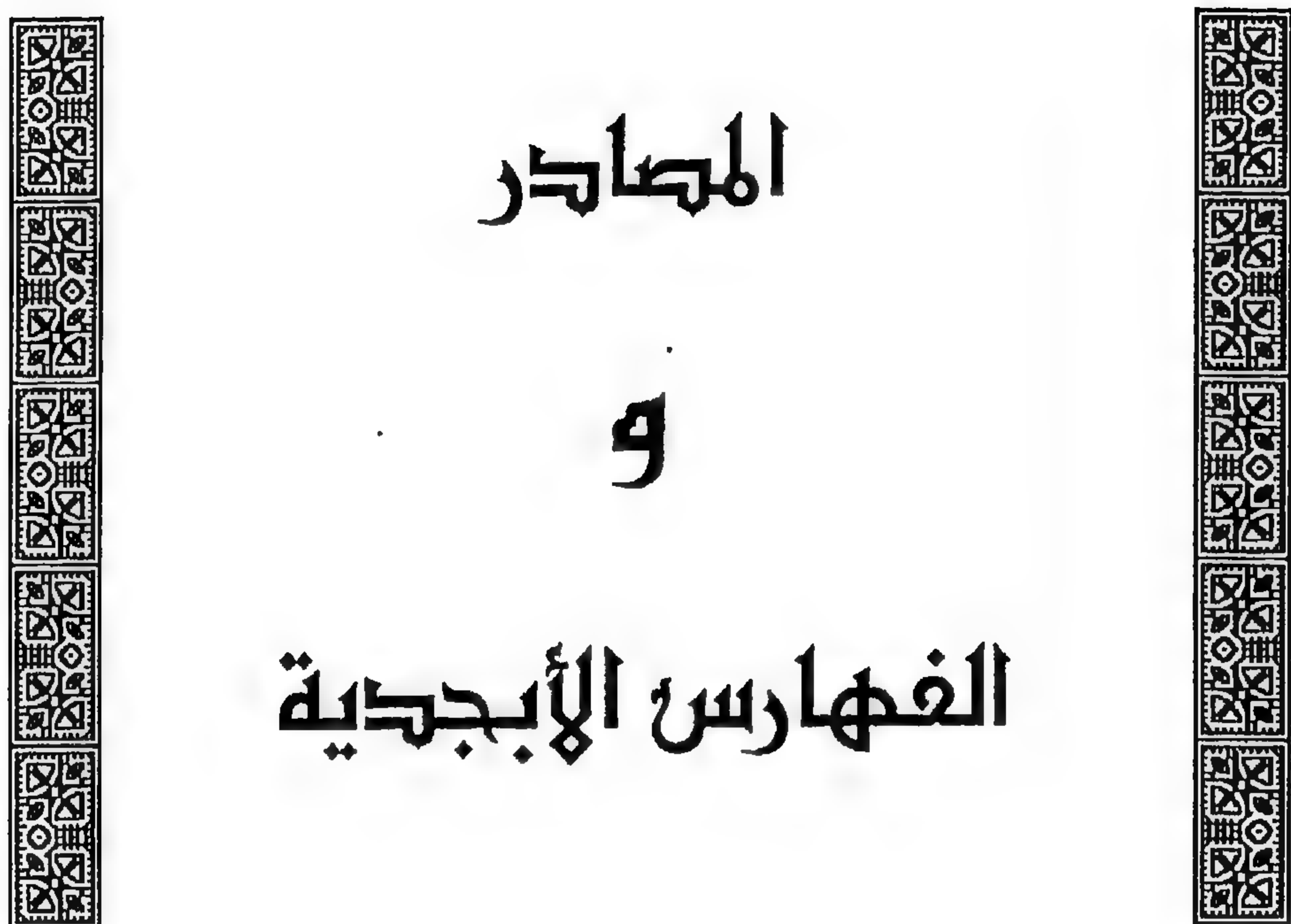




المصادر

و

الفهارس الأبجدية



- ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ و ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبي الكرم .
 ١ - الكامل في التاريخ (١٢ جزءاً) .
 أحمد أمين .
 ٢ - فجر الإسلام (الجزء الأول - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٣٥ م)
 أرنولد - Arnold , Thomas W .
 ٣ - The Preaching of Islam
 نقله إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن بالاشتراك مع الأستاذين
 عبدالمجيد عابدين واسماعيل النحراوى تحت عنوان « الدعوة إلى الإسلام »
 الأزرقى : (٢٣٣ هـ) أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد .
 ٤ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (جزآن) (المطبعة المأجدية
 بمكة المكرمة سنة ١٣٥٢ هـ)
 الأصبهاني : (٣٥٦ هـ و ٩٦٧ م) أبو الفرج .
 ٥ - كتاب الأغاني (٢١ جزءاً)
 الألوسى : السيد محمود شكرى البغدادى .
 ٦ - بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (ثلاثة أجزاء)
 مطبعة دار السلام . ببغداد
 أوليرى : دى ليسى - O , Leary : De Lacy
 ٧ - Arabia Before Muhammad
 البكرى : (ت ٤٨٧ هـ و ١٠٩٧ م) أبو عبيدة بن عبدالعزيز .
 ٨ - معجم ما استعجم .

- البلاذرى : (ت ٢٧٩ و ٨٩٢ م) احمد بن يحيى بن جابر .
- ٩ - فتوح البلدان (القاهرة ١٣١٨ هـ) .
- جاء المولى : (محمد احمد) .
- ١٠ - محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل .
- ١١ - أيام العرب في الجاهلية .
- بالاشتراك مع الأستاذين على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم جويدي : Cuidi
- ١٢ - L'Arbie Ant'eislamique
- حتى : فليب Hitti Philip
- ١٣ - History of the Arabs
- نقله إلى العربية الدكتور فيليب حتى بالاشتراك مع الدكتور إدوارد جرجى والدكتور جبرائيل جبور تحت عنوان « تاريخ العرب » (الجزء الأول) .
- ابن حجر : (ت ٧٥٣ هـ و ١٤٤٩ م) شهاب الدين أحمد بن العسقلاني .
- ١٤ - الإصابة في تمييز الصحابة : (أربعة أجزاء - القاهرة ١٣٥٨ هـ) .
- حسن ابراهيم حسن .
- ١٥ - تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافى والاجتماعى (الجزء الأول - الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ م) .
- حمزة الأصفهاني : (ت ٣٠٦ هـ) ابو عبدالله حمزة بن الحسن الأصفهاني .
- ١٦ - تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء .
- ابن خلدون : (٨٠٨ هـ و ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) عبدالرحمن بن محمد .
- ١٧ - الغبر وديوان المبتدأ والخبر (٧ أجزاء) : جرجى زيدان .
- ١٨ - العرب قبل الإسلام (الجزء الأول - القاهرة ١٩٠٨ م)

- ابن سعد : (ت ٢٣٠ هـ) محمد .
 ١٩ - كتاب الطبقات الكبير (طبعته لجنة نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة) .
 السمعوني : أبو المحاسن بن عبدالله .
 ٢٠ - كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم (جزءان - القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
 انشهرستان : (ت ٥٤٨ هـ و ١١٥٣ م) أبو الفتح محمد بن عبدالكريم :
 ٢١ - الملل والنحل (٥ أجزاء) .
 الطبري : (ت ٣١٠ هـ و ٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير .
 ٢٢ - تاريخ الأمم والملوك (٨ أجزاء - القاهرة ١٩٣٩ م) .
 ابن عبدالحكم : (ت ٢٥٧) أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ابن عبدالحكم القرشي .
 ٢٣ - فتوح مصر .
 ابن عبد ربه : (ت ٣٤٩ هـ و ٩٤٠ م) شهاب الدين أحمد .
 ٢٤ - العقد الفريد (٤ أجزاء) .
 غنيمة : يوسف رزق الله .
 ٢٥ - الحيرة المدينة والمملكة العربية (بغداد - سنة ٩٣٦ م) .
 أبو الفدا : (٧٣٢ هـ و ١٢٣١ م) اسماعيل بن علي عماد الدين .
 ٢٦ - المختصر في أخبار البشر (٤ أجزاء) .
 ابن فضل الله العمري : (٧٤٢ هـ و ١٢٣١ م) .
 ٢٧ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .
 الجزء الأول - طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) .

(ت) ابن قتيبة : (ت ٢٧٦ هـ و ٨٨٩ م) أبو محمد عبدالله بن مسلم .
٢٩ - كتاب المعارف .

القلقشندي : (ت ٨٢١ هـ و ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد .

٣٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١٤ جزء) .

٣١ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان .

(مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة) .

الكلبي : (ت ٢٠٤ هـ) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب .

٣٢ - كتاب الأصنام .

لامانس - P'ere.Henri .

٣٣ - L. Arabie Occidentale avant L. Heqire

٣٤ - Le Berceau de L. Islam . Vol. I

مرحليوث - D. S. Matgliuth

The Relations between Arabs and Isracites Prior the Rise of Islam

المسعودي : (ت ٣٤٦ هـ و ٩٥٦ م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .

٣٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر (أربعة أجزاء) .

المقريزي : (ت ٨٤٥ هـ و ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن علي .

٣٧ - امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع .

(صحة وشرحه الأستاذ محمود محمد شاكر - القاهرة ١٩٤١ م) .

النبهاني : يوسف بن اسماعيل .

١٨ - الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية .

نيكلسون - A. Freynold Nidholson

(م ١٣ - قيام الدولة العربية)

ابن هشام : (ت ٢١٨ هـ و ٨٣٢ م) ابو محمد عبد الملك بن هشام بن
أيوب
العافري الحميري .

٤٠ - كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .
(أربعة أجزاء - القاهرة ١٣٥٦ هـ) .

٤١ - التيجان في ملوك حمير .
الهمداني : (ت ٣٤٣ هـ ، ٩٤٦ م) ابو محمد الحسن احمد بن يعقوب
ابن يوسف بن داود .

٤٢ - صفة جزيرة العرب : (جزآن) .
هيكل : الدكتور محمد حسين .

٤٣ - حياة محمد (الطبعة الثالثة) - القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .
ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ و ١٢٢٩ م) شهاب الدين ابو عبدالله الحموي
الرومي .

٤٤ - معجم البلدان : (١٠ أجزاء - القاهرة سنة ١٩٠٦ م) .
اليقوت : (ت ٢٨٢ هـ و ٨٩٥ م) احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن
وهب بن واضح .

٤٥ - تاريخ اليقوت : (٣ أجزاء) (نشر المكتبة المرتضوية
بالنجف - سنة ١٣٥٨ هـ) .

فهرس الأعلام

أسعد ابو كرب - ٦٩	(١)
آمنة بنت وهب - ٦٧ ، ٧٤	اسماعيل عليه السلام - ٤١
أبان بن سعيد بن العاص - ١١٩	الأسود بن المنذر - ٣٢
ابراهيم عليه السلام - ٤١ ، ٦٣ ، ٦٨	اسيد بن حضير - ١١٤
أبرهة - ٣٠	الأشعث بن القيس الكندي - ١٧٨
أبي بن كعب - ١٧٨	الأصم عمرو بن قيس بن مسعود
أحمد رسول الله - محمد بن عبدالله	الشياني ابو مفروق - ١٥
« صلى الله عليه وسلم »	اكنم بن صيفى الأسدي - ١٧
أحيحة بن الجلاح الأوسي - ٢١ ، ٥٤	اكيدر بن عبد الملك - ١٦١ ، ١٦٢
الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف - ١٤٠	أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - ٢٣ ، ٤٥
أرياط - ٣٠	إياس بن ربيعة بن الحارث - ١٨٥
أزاذبه - ٣٥	إياس بن قبيصة الطائي - ٣٤ ، ٣٥
اسامة بن زيد بن حارثة - ١٦٣ ، ٨٨	إياس بن معاذ - ٨١
أسد بن عبد العزى - ٤٤	أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري - ١٦٤ ، ١٦٥

« تنبيه » : اعتمدنا في ترتيب الأسماء على اول الأسم دون المبالاة بأداة التعريف ، وبالألفاظ : الأب والابن والأم . مثال ذلك : (ابن حبشية) فقد ذكرناه في حرف الحاء ، (أبو سفيان) نجده في حرف السين (وأبو طالب) في حرف الطاء ، (أم عمرو بن المنذر) تجدها في حرف العين وهلم جرا .

(ب)

- بازان (آخر ولاية الفرس باليمن) - ٣١
بحيرا الراهب - ٦٧
أبو براء عامر بن مالك بن جعفر
ابن كلاب (سيد قيس) - ١٣
البراء بن معرور - ٨٢
البراض قيس بن رافع الكنانى - ٢٣
بسطام بن قيس - ١٤ ، ١٥
البسوس بنت منقذ - ١٨
أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) -
٢٢ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٤ ،
١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ،
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٦
أبو بكر عبدالله بن أبي قحافة القرشى
التمى = أبو بكر الصديق
بلال - ٧٥
بليزار يوس - ٣٧ ، ٣٨
(ت)
تيم بن مرة - ٤٤ ، ٤٧
(ث)
ثعلبة بن عمرو بن عامر - ٤١
ثمامة بن أثال - ١٥١
ثيوفلس - ٦١

(ج)

- جبريل عليه السلام - ٦٧ ، ٧١
جبله بن الأيهم - ٤٠
جساس بن مرة - ١٨ ، ١٩
جستيان (الإمبراطور الرومان) - ٣٢ ،
٣٨

- جعفر بن أبي طالب - ٧٢ ، ٧٧ ، ١٥٥ ،
١٥٧
جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيان ابن بكر -
١٨ ، ٢٠
جمع - ٤٤
جندب بن عوف - ٥٣
أبو جهل بن هشام بن المغيرة - ٧٥ ، ٧٧
جيفر بن الجلتدى - ١٥١

(ح)

- حاجب بن زرارة - ١٧ ، ٦٠
الحارث بن أبي شمر الغساني - ١٥١
الحارث بن جبلة - ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩
الحارث بن عبد كلال الحميرى - ١٥٢ ،
١٦٨
الحارث بن عمير الأزدي - ١٥١ ، ١٥٥
الحارث بن فهر - ٤٤
الحارث بن كعب - ١٧٦
الحارث بن مرة (رئيس شيان) - ٢٠٠
حاطب بن أبي بلتعة - ١٥٣
الحباب بن منذر - ١٠٢ ، ١٠٣
حبيب بن عمرو بن عمير - ٧٩
حذيفة بن بدر (سيد ذبيان) - ٢١ ، ٢٢
حرام بن ملحان - ١٤٤
حروب بن أمية - ٢٤
الحكم بن عمرو بن وهب - ١٢٩
حمزة الأصفيان - ٣٦
حمزة بن عبدالمطلب - ٧٨ ، ٩٤
حنظلة بن مالك - ١٧
الحوفزان بن شريك - ١٥
حصى بن أخطب النضرى - ١١١ ، ١١٢ ،
١١٣ ، ١١٦

عامر العدواني - ٥٢ ، ٥٣
 عامر بن فهيرة - ٧٥
 عباد بن الجندى - ١٥١
 العباس بن عبدالمطلب - ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٢ ،
 ٨٢ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٨٥
 عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة - ١٠٩
 عبدالله بن أبي ربيعة - ٧٧
 عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي - ٥١ ،
 ٨٣ ، ١٠٦ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٩
 عبدالله بن جبير - ١٩
 عبدالله بن جحش - ٧٢ ، ١٠٠
 عبدالله بن جدعان - ٢١ ، ٢٣ ، ٤٧ ،
 ٧٢
 عبدالله بن حذافة السهمي - ١٥٣
 عبدالله بن رواحة الأنصاري - ١٥٥ ،
 ١٥٧ ، ١٥٦
 عبدالله بن عبدالمطلب - ٤٣ ، ٦٧
 عبدالدار بن قصي - ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤
 عبد الرحمن بن عوف - ٧١ ، ١٥٨
 عبد شمس بن عبد مناف - ٤٣ ، ٤٤ ،
 ٤٥
 عبدالعزيز بن قصي - ٤٢ ، ٤٣
 عبدالمطلب بن هاشم - ٤٦ ، ٤٧ ، ١٢٧
 عبد مناف بن عبد الدار - ٤٦
 عبد مناف بن قصي - ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤
 عبد ياليل بن عمرو بن عمير - ٧٩
 أبو عبيدة عامر بن الجراح - ٧١ ، ١٦٤
 عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب بن عبد
 مناف - ٧٢
 عتاب بن أسيد - ١٣٩
 عتيبة بن الحارث اليربوعي - ١٤

سببط بن عمرو العامري - ١٥١
 السموءل بن عادية - ٤٩
 سمية (أم عمار بن ياسر) - ٧٥
 سهم - ٤٤
 سهيل بن عمرو - ١٢٠ ، ١٢١
 السيد ٦٢ ، ١٨١
 سيف بن ذى يزن الحميري - ٣٠
 (ش)
 شجاع بن وهب - ١٥١ ، ١٥٦
 شرحبيل بن عمرو الفسائي - ١٥٥
 شرحبيل بن غيلان - ١٣٩
 شريح بن عبد كلال - ١٥٢
 شمر يرهش - ٢٨
 (شيبة) = عبدالمطلب بن هاشم - ٤٦ ،
 ١٣٧ ، ٤٧
 (ص)
 صرد بن عبدالله الأزدي - ١٧٤
 صهيب مولى عبدالله بن جدعان - ٧٢
 (ض)
 الضبحاك بن سفيان - ٧١
 (ط)
 أبو طالب بن عبدالمطلب - ٤٣ ، ٦٧ ،
 ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩
 طلحة بن عبيد الله - ٧١ ، ١٥٨
 (ع)
 أبو العاص
 العاقب - ١٨٠ ، ١٨١
 عامر بن الطفيل - ١٤٤

عثمان بن أبي العاص الثقفي - ١٣٩ ،

١٤١

عثمان بن عوف الخويرث - ٦٢

عثمان بن طلحة - ٤٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣

عثمان بن عبدالدار - ٤٦

عثمان بن عفان - ٧١ ، ٧٦ ، ١١٩ ،

١٢٠ ، ١٥٨

عثمان بن مظعون - ٧٢

عدي بن زيد العبادي - ٢٢ ، ٢٣

عدي بن كعب - ٤٤

عروة بن عتية الكلابي - ٢٣

عروة بن مسعود الثقفي - ١١٩ ، ١٣٩ ،

١٤١

عطارد بن حاجب بن زرارة - ١٦٨

عفيف بن عوف بن عباد النضري - ٥٣

عقبة بن أبي معيط - ٧٨ ، ١٠٥

عكرمة بن أبي جهل - ١٠٩ ، ١١٠

العلاء بن الحضرمي - ١٥٠

علي بن أبي طالب - ٥٦ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٨٤ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٢٩ ،

١٤٤ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ،

١٨٢

عمر بن الخطاب - ٧٨ ، ١٢١ ،

١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ،

١٦٥

عمرو بن أمية الضمري - ١٤٤ ، ١٥٢

عمرو بن حزم - ١٨٠

عمرو بن العاص - ٧٧ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،

١٥١

عمر بن لحي الخزاعي - ٤١ ، ٥٤

عمرو بن معد يكرب الزبدي - ١٧٤

ام عمرو بن المنذر (قند) - ٦٠

عيسى بن مريم عليه السلام - ٧٧ ، ١٥٢

عينه بن حصن الفزاري - ١٢

(ف)

فاطمة بنت عمرو - ٤٢

فروة بن مسيك بن الحارث بن مسلم

المرادي - ١٧٧

فيميون - ٦١

(ق)

قابوس بن المنذر (ملك الحيرة) - ٣٩

قتادة بن النعمان - ١٦٤

قتادة بن مسه بن بكر بن هوازن - ٥٢

قصي بن كلاب - ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤

قيس بن الحسين بن يزيد - ١٨٠

قيس بن زهير - ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤

قيس بن عاصم المنقري - ١٦

(ك)

أبو كبشة - ٥٦ ، ٥٩

كرب بن صفوان - ١٦

كسرى (فارس) - ٣٠ ، ٣٥ ، ١١٩ ،

١٥٣

كسرى ابرويز بن هرمز - ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠

كسرى أنو شروان - ٣٠ ، ٣٢

كعب بن اسد القرظي - ٥١ ، ١١٣

كعب بن لؤي بن غالب - ٤٣ ، ٦٣

كلاب بن مرة - ٤٢

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ،
 ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
 ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،

١٨٥ ، ١٨٦ :

محمد بن مسلمة - ١١٩ ، ١٥٨
 مخزوم بن يقظة - ٤٤

مرة بن ذهل بن شيان - ١٨

مسعود بن معتب - ٥٣ ، ٥٤

مسيلم بن جبيب الحنسي - ١٧٧

مصعب بن عمير بن هاشم ٨١

المطعم بن عدى - ٧٩

المطلب بن عبد مناف بن قصي - ٤٣ ،

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

معاذ بن جبل - ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٨١ ،

١٨٢

المغيرة بن شعبة - ١٤٠ ، ١٤١

ابو مفروق = الأصم عمرو بن قيس بن

مسعود الشيباني

المقوقس (حاكم مصر) - ١٥٣

المنذر الثالث بن امرئ القيس

(ابن ماء السماء) - ٣٢ ، ٣٧ ،

٣٨ ، ٣٩

المنذر بن ساوى (امير البحرين) ١٥٠

المنذر بن عمرو - ١٤٤

المنذر بن النعمان ابو قابوس - ٣٥

كليب بن ربيعة = وائل بن ربيعة - ١٢ ،

١٣ ، ١٨ ، ١٩

(ل)

لحى = ربيعة بن حارثة بن عمرو

لقيط بن زرار - ١٦

أبو لهب عبدالعزيز بن عبدالمطلب - ٧٣ ،

٧٨

(م)

ابن ماء السماء = المنذر الثالث بن امرئ

القيس

مالك بن الحارث بن عبيد - ٥١

مالك بن رافلة - ١٥٧

مالك بن عوف المصري - ١٣٥

مالك بن مرارة الرهاوي - ١٥٣ ، ١٦٨

محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ٣٤ ،

٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ،

٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ،

٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ،

٩٤ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ،

١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

مهلهل بن ربيعة - ١٢ ، ١٩ ، ٢٠
ابو موسى الأشعري - ١٣٩
موسى بن عمران عليه السلام - ٤٨
ميسرة - ٦٨

(ن)

نجاشي الحبشة - ٢٩ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
٧٨ ، ١١٩ ، ١٥٢

النضر بن الحارث - ١٠٥
نعمان (قيل ذى وزن) - ١٥٢
النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) -
٢٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٩

النعمان الثالث ابو قابوس بن المنذر الرابع -
٦١

نعيم بن عبد كلال - ١٥٢ - ١٦٨
نعيم بن مسعود الغطفاني - ١١٥ ، ١١٩

نمير بن خرشة - ١٤٠
نوح عليه السلام - ٥٥
نوفل بن عبد مناف - ٤٣ ، ٤٤

(هـ)

هاجر ام اسماعيل عليه السلام - ٤١
هاشم بن عبد مناف - ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
٤٦

هانء بن مسعود الشيباني - ٣٣ ، ٣٤
هرقل (قيصر الروم) - ١٥٢ ، ١٥٣ ،
١٥٧

هشام بن المغيرة المخزومي - ٢٣
همام بن مرة - ١٨

هشام بن العاص - ١٣٤
هشام بن المغيرة المخزومي - ٢٣
همام بن مرة - ١٨
هوزة بن علي الحنفى - ١٥١
ابو الهيثم مالك بن التيهان - ٨٢

(و)

وائل بن حجر (قيل حضرموت) - ١٧٨
وائل بن ربيعة (كليب) - ١٨
الوادك بن الحارث - ١٥
وج بن عبدالحى - ٥١
ورد بن مالك - ٢١
ورقة بن نوفل - ٦٢
وهرز - ٣٠ ، ٣٩

(ى)

يحنة بن رؤية - ١٦٠
اليربوعى - ٥٣
يعقوب البردعى - ٣٨

فهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والطوائف

بنو اسد - ١٦ ، ٢٢
 بنو أسد بن خزيمه - ١٦٧
 بنو اسد بن عبدالعزى - ٤٧ ، ٦٢
 بنو إسرائيل = اليهود
 بنو اسماعيل بن ابراهيم - ٤١
 بنو امرىء القيس بن زيد مائة - ٦٢
 بنو أمية بن عبد شمس - ٤٥
 بنو بدر بن فزارة - ٢١
 بنو تغلب - ١٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٤ ، ٦٢
 بنو تميم - ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٦٢ ، ١٦٨
 بنو تيم بن مرة - ٤٧
 بنو الحارث بن كعب - ٦٠ ، ٨٠ ، ١٨٠
 بنو حمير - ٢٩
 بنو حنيفة - ٨٠ ، ١٧٧
 بنو ذبيان - ٢٠ ، ٢٢
 بنو زهرة بن كلاب - ٤٧
 بنو سعد بن بكر - ١٨٥
 بنو سليم - ٨٠ ، ١٤٤
 بنو شيان - ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٣٤
 بنو عامر بن صعصعة - ١٤ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٨٠ ، ١٤٤
 بنو عبد الدار بن قصى - ٤٤ ، ٤٦
 بنو عبدالدار بن الريان الحارثى - ٦٢
 بنو عبد شمس - ٤٧
 بنو عبد المطلب - ٧٨ ، ١٣٧
 بنو عبد مناف بن قصى - ٤٤ ، ٤٥

(أ)

الأحباش - ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٨
 احبار اليهود - ٧٥
 الأحباش - ٢٩ ، ٣٠
 الأحلاف - ٤٤ ، ٥٣
 الأزد - ٣٥
 أسلم - ١٢٩
 اشجع - ١٢٩
 اهل البادية - ١٢ ، ١٢٩
 اهل البحرين - ١٥٠
 اهل تهامة - ٢٣
 اهل الحديبية - ١٤٩
 اهل الصفة - ٩٤
 اهل الطائف - ١٣٦ ، ١٣٧
 اهل فذك - ١٤٨
 اهل مكة - ٣١ ، ١٣٣
 اهل نجد - ٢٣ ، ١٤٤
 اهل اليمن - ١٨١ ، ١٨٢
 الأوس - ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦
 ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٣
 ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٤٧
 إباد - ١٣ ، ٣٤

(ب)

بكر بن وائل - ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ١١٢
 ١٢٩٠ ، ١٥٧
 بنو ابن طلحة - ٤٦

بنو نوفل بن عبد مناف - ٤٧
بنو هاشم بن عبد مناف - ٤٧ ، ٦٧
٨٩ ، ٧٨ ، ٧٤
بنو الهون بن خزيمه - ١٠٦
بنو يربوع - ١٤ ، ٥٣
بهرام - ١٥٧

(ت)

تغلب = بنو تغلب
تميم = بنو تميم
تنوخ - ٣١
تهامة - ١٠٦ - ١١٢

(ث)

ثقف ٢٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٩
١٠٦ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥
١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١
١٦٦

(ج)

جبله - ١٦
جذام - ١٥٧ ، ١٥٨
جرهم اليمنية - ٤١
جهينة - ٢٩

(ح)

حمير - ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ١٦٨

(خ)

خثعم - ٥٣
خزاعة - ٤١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦
٧٩ ، ١٢١ ، ١٢٩

بنو عيس - ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٨٠
بنو عثمان بن عبدالدار - ٤٦
بنو عدوة - ٨٠

بنو غسان - ١١ ، ١٢ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٨٠
١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٨

بنو فرارة - ٢١ ، ٨٠ ، ١٦٨
بنو قريظة - ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٦ ، ١٤٧

بنو قيس بن ثعلبة - ١٨
بنو قينقاع ، - ١١١ ، ١٤٣ ، ١٤٨٠

بنو كلاب - ١٧١
بنو كنانة - ٢٣ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ٢١٢

بنو كنده - ١٨٠ ، ١٧١
بنو لحم - ٢٧

بنو لؤي بن غالب - ١٧٨
بنو مالك بن حنظلة - ١٤ ، ٥٣ ، ٥٤
بنو مالك - ١٣٩

بنو مرة - ٨٠ ، ١٦٨
بنو المصطلق - ١٠٦

بنو المطلب - ٤٧ ، ٧٤ ، ٧٩
بنو مغيث - ٥٥

بنو الجار - ٨٤ ، ٨٨
بنو نصر - ٨٠

بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ٢٢ ، ٥٣

بنو النضير - ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٤٨ ، ١٤٧

(ط)	الخزرج - ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١٤٢
الطلقاء = اهل مكة	خولان - ١٧٤
طيء - ٣٤ ، ١٧٨	(د)
(ع)	الدارميون - ١٧١
عاملة - ١٥٨	دوس - ٥٣
العباد - ٣١	(ذ)
عبس = بنو عبس	ذبيان = بنو ذبيان
العجم - ٣٤	(ر)
عذرة = بنو عذرة	ربيعة - ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨
العدنانية - ١٣	الرهاويون - ١٧٧
العرب - ١١ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،	الروم - ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٥٥ ،
٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ،	٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦١ ، ١٥٢ ،
٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،	١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ،	١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨
٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٠ ،	الرومان - ٤٩
٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٧ ،	(ز)
٩٩ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٨ ،	زبيد - ١٧٤ ، ١٧٧
١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ،	الزراذشتية - ٥٩
١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،	(س)
١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،	الساسانيون - ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥
١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦	السامريون - ٣٧
عرب اليمن - ٣٢ ، ٣٩	السبثيون - ٢٦ ، ٢٧
العمالقة - ٤١ ، ٤٨ ، ٥١	(ش)
(غ)	شيبان = بنو شيبان
غامد - ١٧٨	(ص)
غسان = بنو غسان	الضجاعة - ٣٥
الغساسنة = بنو غسان	

كثانة = بنو كثانة
 كنده - ٨٠ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٨
 (ل)
 لحم - ٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨
 (م)
 مذحج - ١٧ ، ٧٧
 مراد - ١٧٧
 مضر - ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٢
 معافر - ١٥٢
 معذ - ١٧
 المعينون - ٢٥ ، ٤٤
 المادرة - ١٢ ، ٣٥ ، ٣٧
 (ن)
 النخع - ١٨٢
 نزار - ١٠ ، ١٣٠
 نصارى الحيرة - ٦٠
 نصارى - نجران - ١٧
 (هـ)
 هذيل بن مدركة - ٥٥ ، ١٨٥
 همدان - ٥٥ ، ١٦٨
 هوار - ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩
 (ي)
 اليربوعيون = بنو يربوع
 اليمانيون - ١٣ ، ١٨ ، ١٢٨
 اليهود - ٣٠ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢
 ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨٢
 ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٧ ، ١٢٣
 ١٥٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨
 ١٤٩ ، ١٥٠

غطفان - ٦٦ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣٥
 غفار - ١٢٩

(ف)

الفرس - ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٩ ، ٦١

(ق)

قحطانيون - ١٧
 قريش - ٢٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٧٧
 قضاة - ١٣ ، ١٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٥

قيس عيلان - ٢٣ ، ٢٤

(ك)

كلب - ٨٠

فهرس البلاد والمدن والمواضع والجبال والأنهار

بيت الله الحرام (الكعبة) - ٣٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٣ ، ٦٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٥

البيت المعمور = البيت الحرام
بيت المقدس - ٤١ ، ٧٩ ، ١٢٧
بيزنطة - ٣٧
بئر معونة - ١٤٤

(ت)

تبوك - ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨
تخوم اللقاء - ٥٧
تدمر - ٣٧
تهامة - ٢٣
تياء - ٤٨ ، ٦٠ ، ٨٧

(ث)

ثنية الوداع ١٥٩ - ١٩٥
ثيتل - ١٦

(ج)

جبل احد - ١٠٩
جبل ثور - ٨٧
جبل سلع - سلع

(ا)

آبار على - ١١٨
اسيا الصغرى - ٢٧
أبني - ١٦٥
أحد - ١٥٧
أذرح - ١٦٠ ، ١٦١
أذرعات - ١٤٣
أصبهان - ١١٢
اوطاس - ١١٢
أيلة - ١١ ، ١٦

(ب)

باب بني شيبه - ١٨٤
بادية الشام - ٣٥ ، ٤٠
البحرين - بلاد البحرين
بدر - ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٧
براقش - ٢٥
بصرى - ٣٦ ، ٦٧ ، ١٥١ ، ١٥٥
بعاث - ٥١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٤٢
بكة = مكة
بلاد البحرين - ١١ ، ٥٦ ، ١٥٠
بلاد الحبشة - ٢٨
بلاد حمير - ٣٠
البلاد السورية - ٢٧
بلاد العرب - ١١ ، ٥٢ ، ٦١ ، ١١٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٢
بلاد الفرس - ٣٨
اللقاء - ٣٥ ، ٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٥

- جبل الصفا - ٧٢
 جبل عرفات - ١٨٤
 جرباء - ١٦ ، ١٦١
 جرش - ١٧٤
 الجرف - ١٥٥
 جزيرة العرب ١١ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٤
 ١٨٣ ، ١٨٩
 الجعرانة - ١٣٦ ، ١٣٧
 جمرة العقبة - ١٧٣ ، ١٨٥
 الجوف - ٢٦
 (ح)
 الحبشة - ٧٦ ، ٧٧
 الحجاز - ١١ ، ١٣ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥١ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٦
 الحجر الأسود - ١٢٧
 الحديدية - ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠
 حراء - ٧٩
 حران - ٥٦
 الحرم الآمن = البيت الحرام
 حصن السلام - ١٤٨
 حصن الشق - ١٤٨
 حصن الصعب بن معاذ - ١٤٨
 حصن الكيتبية - ١٤٨
 حصن ناعم - ١٤٨
- حصن النطا - ١٤٨
 حصن الوطاح - ١٤٨
 حضرموت - ٢٨ ، ١٧٨
 حنين - ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧
 حوران - ٢٧ ، ٣٦
 الحيرة - ٢٣ ، ٢٧٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١
 (خ)
 خراسان - ٢٨
 الخليج الفارسي - ٢٨ ، ٢٩
 الخندق (حول المدينة) - ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٤٦ ، ١٤٧
 الخندمة - ١٣٣
 خير - ٢٣ - ٦٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩
 خيوان - ٥٥
 (د)
 دار الندوة - ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٨٤
 دمشق - ٤٠ - ١٥١
 الدهناء - ١٧
 دومة الجندل - ١٦١ - ١٦٢
 دير هند الصغرى - ٦٠ ، ٦١
 دير هند الكبرى (أم عمرو بن المنذر) - ٦٠
 (ذ)
 الذئاب - ٢٠
 ذو الحليفة - ١١٨
 ذو ريان - ٢٨

الصند - ٣٨	ذو قار - ٢٣ ، ٣٥
صقلية - ٢٩	(ر)
صنعاء - ٥٥	الروضة الشريفة - ١٦٩
(ط)	ريدان = ظفار
الطائف - ١٤٠ ، ٥١ ، ٣٢ ، ٥٣	(س)
٥٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ١٠٠	ساحل البحر الأحمر - ١٠١
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤١	سد العرم - سد مأرب
(ظ)	سد مأرب - ٢٧ ، ٣٥
ظفار - ٢٧ ، ٢٨ ، ٦١	سدرة المنتهى - ٨٠
(ع)	سلحين - ٢٥
عدن - ٦١	سلع - ١١٣
العراق - ٥٢ ، ١١٢	السواد - ٣٣
عرفات = عرفة	سورة - ٦١ ، ٦٠ ، ٤٩
عرفة - ١٣٤ ، ١٧٣ ، ١٨٥	سوق عكاظ - ٢٢
عرفة - ١٣٥	(ش)
العزى - ١٣٤	الشام - ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١
العقة (بني) - ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣	٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢
عكاظ - ٢٤	٥٤ ، ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٠١
عمان - ١١ ، ١٥١	١١٢ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٥٥
عين أباغ - ٣٨	١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣
(غ)	١٦٥
غار حراء - ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١	شعب جبلة - ١٦ ، ١٧
الغيظ - ١٤	الشعبية - ٨٦
غيظ المدرة - ١٤	شمرقند ٢٨
غسان - ٢٥	الشوط - ١٠٩
غمدان - ٢٥	(ص)
(ف)	صحراء البحرين - ١١
فارس - ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣	صحراء فلج - ١٤
فدك - ٢٣ ، ٤٨ ، ٦٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩	الصخرة المقدسة - ٧٩
انقرات - ٣١	الصفاء - ١٢٤ ، ١٨٤

مصر - ١٤٣
معان - ١٥٧
معين - ٢٥ ، ٢٦
مقام إبراهيم عليه السلام - ١٧٤
مقنا - ١٦١
مكة - ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٨٦
مناة - ١٧
منى - ٤٢ ، ٨١ ، ١٧٣ ، ١٨٥
مؤنة - ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٨
(ن)
ناعط - ٢٥
النباح - ١٥ ، ١٦
نجد - ١١ ، ١٣ ، ٢٣ ، ١١٧ ، ١١٤
نجران - ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٧١ ، ١٨٠ ، ١٨٥
نخلة - ٢٤ ، ٥٦ ، ١٠٠ ، ١٢٤ ، ٦٢٦
نهر جيحون - ٢٨

(ق)

قبا - ٨٧
القبة الخضراء - ١٨٧
قرناو - ٣٦
القسطنطينية - ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩
قلعة صراوح - ٢٦
قنسرين - ٣٨
(ك)
الكعبة - البيت الحرام
كعبة نجران - ٦٢
الكلاب - ٧١
الكوفة - ٣١

(م)

المدينة - ٥٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦
المروة - ١٢٤ ، ١٨٤ ، المزلفة - ١٨٣ ، ١٨٦
المسجد الأقصى - ٧٩ ، ٨٠
المسجد الحرام - البيت الحرام
مسجد قبا - ٨٥
المشعر الحرام - المزلفة

<p>٨٧ ، ٩٥ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٤٢ ، اليرموك - ٤٠ يلملم - ١٣٤ اليمامة - ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٥١ ، ١٧٧ اليمن - ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٢١ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٢ يمنات - ٢٨ ينبع - ٢٨ ينبع - ٥٥</p>	<p>(هـ) هجـ ١٥ (و) وادي القرات - ٣١ وادي القرى - ٥٢ ، ٦٠ ، ١١٢ وج = الطائف (ي) يثرب - ٤٠ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣</p>
---	--

